محمد عصمت

رواية

# منيجيل

" معسكر الموت "





منـيـجيـل

# منيجيل

محمد عصمت





الكتاب : منيجيل

المؤلف : محمد عصمت

تصميم الغلاف : كريم آدم

مراجعة لغوية : ريهام النجار

رقم الإيداع : 2016/26884

الترقيم الدولي : 5-099-778-977-978



20 عمارات منتصر – الهرم – الجيزة

ت-35860372-02 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com



## إهـــــــــــــــــــــــداء

لمن ملكت روحي وشكلت وجداني

لمن يدق قلبي باسمها وأتنفس حبها

لمن ملكت سنين عمري بين أناملها الرقيقة

لمن تضحك لي الدنيا بابتسامتها

ولمن يحلو لي العيش بها ولها وفيها

لكِ ولكِ وحدك

(ربنا يخليكِ ليا)



## إهـــــــــــــــــــداء

لقطعة السكر التي جعلت طعم حياتي حُلوًا،

وأعطت الفرحة لبيتنا الصغير

إلى من أنار لي طريقًا، لم أكن أراه،

وعرفني طعمًا جديدًا للحب، لم أكن أعرف عنه مسبقًا

(منور يا هادي)

(ربنا يخليك ليا)



## (( 0 – مقدمة ))

توتر الوضع بشدة، انقلبت الآية وأصبح الجلاد بين يدي الضحية وأضحت الضحية جلادًا قاسيًا، لم يعد هناك المزيد من الوقت، فتح الخزينة بسرعةٍ شديدة، وهو يسمع الضوضاء و يرى ما يحدث أمامه في كاميرات المراقبة، مازالوا بعيدين عنه، مازال يملك القليل من الوقت، فتحت الخزينة أبوابها أمامه كاشفة عن أحشائها، لم يُضِع الوقت في تأملها، يجب أن يخرج من هذا المكان الآن ، وسريعًا قبل أن يحدث ما لا يُحمد عقباه؛ أمسك بالنقود ووضعها في جيب حلته بسرعة، خلع معطفه الأبيض كي لا يحد من حرية حركته، شهقت زوجته وهي تراقب الشاشة، كاميرا ( 4 ) تلطخت ببضع قطرات دماء، فخُلع قلبها من مكانه، لقد اقتربوا؛ صرخت به بهيستيريا : " هيا، لا وقت للنقود، الأوراق أهم".

أنهت كلماتها، وهي تركض لتضع مقبس ماكينة تمزيق الأوراق في الكهرباء؛ دون أن تتخلى عيناها عن مراقبة الكاميرا، ما يحدث أمامهم الآن لا مجال لوصفه، بل بالأحرى لا وقت لوصفه، بدأت الماكينة تلتهم الأوراق لتلفظها ممزقة شر تمزيق، وضع المزيد و المزيد قبل أن تقع عيناه على الشاشة.

اقتربوا جدًّا، لا مجال للمزيد



رمى الورق أرضًا وهو يخرج قداحته؛ حاول بيدٍ مرتعشة أن يشعلها مرة تلو الأخرى إلا أنها أبت. تنفس بعمقٍ وهو يحاول مرة أخرى؛ سرعان ما تكللت بالنجاح المتمثل في زهرةٍ برتقالية صغيرة تتراقص على فوهتها.

رماها أرضًا وراقب الأوراق وهي تبدأ في الاشتعال قبل أن يفتح الباب ويخرج راكضًا، رآهم في بداية الممر؛ يقتربون ببطء. نظر خلفه فوجد أن شعلة النيران تحتضر. زوجته تمسك القداحة، و تحاول إلا أنها ترفض و كأنها تأبى مساعدتهم، وصلوا إلى منتصف الممر؛ نظر لها و هو يصرخ بها: "هيا".

نظرت له، وهي تحاول مرة أخرى. تردد للحظة، ولكنه سرعان ما اتخذ قراره، تركها وركض؛ ركض كما لم يركض من قبل متخليًا عنها. راقبهم وهم يزدحمون علي باب الغرفة، سمع صرختها وسمعها تنادي اسمه بحروفٍ من لوعة و ألم؛ إلا أن تجاهلها وهو يشكرها بينه وبين نفسه؛ لأنها تمنحه المزيد من الوقت؛ قفز درجات السلم مثنى و ثلاث و رباع، قبل أن يصل للباب الخارجي.

فتحه بالكارت الممغنط الذي أخرجه من جيبه وخرج للبهو الخارجي، ركض كالمجذوب قبل أن يصل للباب الخارجي و يفتحه. استقبله عم (ربيع) الصعيدي الذي أحرقت الشمس بشرته ولوحتها تلويحًا، بأعينٍ تتقد فزعًا وبدون كلماتٍ؛ تبادلوا نظراتٍ تكفي لقص كل ما يحدث



بالداخل، قبل أن يغلق الباب الخارجي جيدًا، وهو يقول: " احرق هذا المكان يا عم ربيع ، احرقه حرقًا".

تردد (ربيع)، وهو يراقب بعضهم ينظر من خلف زجاج النوافذ، قبل أن يقول بأعينٍ دامعة: "ولكنهم ضحايا".

صرخ به بوحشية: "ليسوا ضحايا؛ هم قتلة".

قال (ربيع) بصوتٍ خافتٍ؛ بضع كلمات لم يسمعها وهو يركض؛ صرخ به للمرة الثانية: "هل سمعت ما قلت؟ احرق هذا المكان".

هز ربيع رأسه، وهو يتمتم بخفوت: "حسنًا".

فر بسيارته ذات الدفع الرباعي؛ مثيرًا خلفه عاصفة صغيرة؛ تأملها ربيع قبل أن يذهب لتأدية عمله. بعد عدة أمتار؛ خلع نظارته الشمسية، وهو يتأمل شعلة النيران التي تتوهج من خلفه والصحراء الشاسعة التي تلسع من أمامه، قبل أن يغلق عينيه للحظةٍ يتذكر فيها زوجته التي احتسبها عقله شهيدة الواجب، واحتسبها قلبه شهيدة الخيانة. فتح عينيه ليفاجأ بجملٍ شارد يتوقف أمامه في سماجةٍ يحسد عليها؛ حاول أن يتفاداه إلا أن تلةً رملية صغيرة ظهرت أمامه فجأة، و بسرعته العالية حدث ما يمكن أن نتوقعه جميعًا.

انقلبت السيارة عدة مرات علي ظهرها وجانبيها، قبل أن تستقر على إطاراتها وهي مهشمة تمامًا، كان مربوطًا بحزام الأمان لكنه لم يحميه شر



الصدمات، كان ينزف من كل مكانٍ ومغطى بالدماء، يبدو أنه على وشك لفظ أنفاسه الأخيرة. توقف صدره عن العلو والانخفاض وانقطع عمله من الدنيا، كان يمكن أن نقول أنه توفي تمامًا لولا رعشة صغيرة في إصبعه الصغير لا يراها إلا مدققٍ صاحب نظر قوي. بعد بضع دقائق؛ اندلع حريق صغير في السيارة، وبمرور المزيد من الوقت دوى الانفجار الثاني في هذه الليلة.



## (( 1 - Arbeit Macht Frei ))

أعلن القطار عن وصوله لوجهته الأخيرة بنفيرٍ حاد؛ شق الصمت فأحاله ضوضاء. بدأ البعض يهبطون من عربات القطار بإرادتهم، والبعض الآخر مجبرًا بسبب قوة الدفع تارة و ضرب الحراس المبرح تارة أخرى. توقف الصغير، وهو يمسك يد شقيقته و يتأمل المكان. مكان واسع للغاية مستطيل الشكل، مساحته تقترب بشدة من أن تكون ستين ألف مترًا تنقسم بين ثلاثمائة متر طولًا و مئتين أخريتين عرضًا. هدير الماء المتصاعد ينبئنا أننا بجوار نهرٍ ما، سياج كهربائي يفرض حصارًا قاسيًا علي المعسكر ويرتفع لقارب الأربعة أمتار طولًا، يتناثر في أرضه عشرون أو ثلاثون مبنى يقفون في شموخ.

تأمل البوابة في صمتٍ بأعين ترتجف هلعًا، مكتوب عليها جملة ما بلغةٍ لم يفهمها بلسانه وعقله، وإنما فهمها بقلبه حينما رأى الأمل يطفأ في أعين الآخرين حين يقرأونها : "Arbeit Macht Frei"

فيما بعد سيعرف الصغير أن معناها: " العمل يُحرر."

بعد هبوط الجميع من القطار؛ وقفوا لبرهةٍ أمام مجموعة من الجنود الذين يتأملونهم و يعبثون بأجسادهم بعض الشيء، قبل أن يتم تقسيمهم لعدة أقسام. لاحظ الفتى، وقد كان ذكيًا أن هناك فئة من



الفئات أكثر من غيرها، وهي التي تضم المرضى والكهول والمعاقين بطريقةٍ أو بأخرى؛ بينما المجموعات الأخرى تسير إلى داخل المعسكر بصحبة مجموعات من الجنود. أمسك يد شقيقته بثقةٍ؛ بينما استجاب للجندي الفظ الذي جذبه من ياقة سترته ليهبط على الرصيف، كان الرصيف منخفضًا، فزلت قدمه وكاد يسقط؛ إلا أن تمالك نفسه واعتدل. وبنظرةٍ بلا كلمات؛ تبادل عبارات الاطمئنان مع شقيقته. التفت ليرى أمه وهي تهبط، كانت تمسك بيدها منديلًا قماشيًّا أبيض اللون، وإن كان قد اصطبغ باللون الأحمر بسبب الدماء التي تفقدها نتيجة سعالها الدموي، تقول أنها بخير وتردد أن الأمر طبيعيًّا، لكن بكاءها ليلًا وشربها للخمر يقولان العكس تمامًا.

أخفت المنديل في كم قميصها؛ لتخفيه عن عيني الجندي. إلا أنه لاحظ، فجذبها من شعرها بعنفٍ و تجاهل صرخة الصبي تمامًا، وهو يمسك المنديل باشمئزاز بأطراف أصابعه، قبل أن يلقيه في وجهها وهو يصيح بزميله ليضمها إلى كومة العجزة؛ صرخ به الصبي. ابتسم الجندي بسخرية وهو يصفع الصبي على وجهه؛ برغم قوة الصفعة وخط الدماء الذي سال من أنفه؛ إلا أن نظرته للجندي كانت أقوى منها، تملصت أمه من قبضة زميله، وهي تعدو محاولة الوصول إلى أبنائها، وقبل أن تصل إليهم؛ فاجأها ضابط قوي البنية بأن مد قبضة يده أمامها، فاصطدمت بها وسقطت أرضًا.



تألمت وسعلت المزيد من الدماء لتلطخ وجهها هذه المرة، لكنها رفضت أن تستسلم؛ حاولت الوقوف مرة أخرى. وقفت مترنحة للحظة قبل أن تمشي تجاههم، لكن هذه المرة عاجلها بضربةٍ قوية على ساقها بعصا خشبية ضخمة لُف حولها سلك شائك، رسم وجهها لوحة عالمية عنوانها الألم.

صرخت الفتاة الصغيرة للمرة الأولي تقريبًا وهي تضع يدها على فمها؛ ثارت الأجواء و بدأت الهمسات تتصاعد من بين المساجين نتيجة التعامل الوحشي مع المرأة ، أخرج الضابط سلاحه ووزع بضع طلقاتٍ نارية في الهواء على مقربة من الرؤوس، فحضر الصمت ليفرض نفسه أمرًا عليهم جميعًا. صمت الجميع تمامًا إلا من رعشات القلوب الوَجِلة، تجول الضابط بنظرةٍ وحشية على وجوه الواقفين جنودًا وأسرى، قبل أن يرفع فوهة مسدسه ويصوبه تجاه المرأة، وقبل أن يضغط على الزناد؛ سمع الجميع صوتًا قويًا يمتلئ بالثقة وتفيض منه القوة؛ تجمد الجميع في أماكنهم وشد الضابط والجنود قاماتهم في احترام. ظهر صاحب الصوت أخيرًا؛ أبيض البشرة نحيل القامة وسيم الهيئة. يتقدم في هدوء و شعره القصير يطير بفعل الهواء البارد، شيطان العبقرية يرقص في عينيه رقصة ماجنة، شارب صغير يزين شفته العليا و يرتدي حلة كاملة يطغى عليها سواد الليل.



وقف أمام الضابط وهو يتأمله في صمتٍ، قبل أن يميل على أذنه ويهمس له بشيء، ارتبك الضابط إلا انه أدى التحية العسكرية الشهيرة للنازية، قبل أن يتنحى جانبًا دون أن يعيد مسدسه لجرابه، تأمل الرجل المرأة الساقطة أرضًا؛ تئن ألمًا وتنزف دمًا ممزوجًا بالمهانة قبل أن تقع عيناه على الطفلين. لمعت عيناه بقوةٍ قبل أن يهبط على ركبتيه وهو يتأملهم عن قرب؛ مد يده محاولًا أن يمس وجه الفتاة إلا أن الفتى زجره وهو يدفع يده بعيدًا؛ ابتسم و مد يده يعبث في غياهب جيبه قبل أن يخرج كنزًا صغيرًا مكونًا من قطعتي حلوى؛ أعطى واحدة لكل طفلٍ قبل أن يربت على رأس الصغير برفق. فض الطفلان غلاف الحلوى قبل أن يلتهماها في سرعة. الجوع شعور غريزي؛ إذا حضر ذهبت باقي الغرائز لتتنحى جانبًا. لذا تناسى الطفلان شعور الخوف أمام إغراء الحلوى؛ ابتسم الرجل وهو يشير لأحد الجنود أن يقود الطفلين بعيدًا. ظهر الاختلاف في المعاملة على الجندي وهو يسير بالطفلين بعيدًا، ويحيطهما بذراعين من حنان واحترام، و قبل أن يمرًا عبر البوابة؛ سمعا شهقة مكتومة. ميزاها جيدًا قبل أن يدوي صوت رصاصةٍ؛ انتزع الأمان انتزاعًا من قلبيهما. حاولت الفتاة أن تنظر خلفها إلا أن الفتى بأيدٍ مرتعشة وأعين تفيض دمعًا؛ منعها قبل أن يبتسم لها بفمٍ يقطر ألمًا.

*****



بعد ما يقارب العشر دقائق مشيًا داخل المعسكر؛ انعطفا أخيرًا ليجدا مبنى ضخم ينتظرهما؛ دلفا إليه ليجدا طبيبًا متجهمًا يتسلمهما من يد الحارس. تأملهما قبل أن يمشي وهو يمسك بيد كل منهما إلى أن وصلا لغرفةٍ قذرة؛ يقف على بابها العديد من التوائم، كل ينتظر دوره. تسلمهما منه حارس بخشونةٍ وأوقفهما في دورهما بالطابور؛ بدأ التوائم يدخلون إلى الغرفة تباعًا، و من يدخل لا يخرج؛ دق قلب الفتى، فحاول أن يمسك يد شقيقته إلا أن ضربةً قوية من عصا يحملها الحارس؛ نبهته إلى أن حتى الحركة منذ ذاك الوقت ستكون بإذنٍ أو بأمر. نظر لها وهو يطمئنها بعينيه القويتين، فاستنجدت به بعينيها الدامعتين؛ احتضنها بعينين من ثقة.

اطمأنت وجف الدمع وحلت ابتسامة حزينة على شفتيها الصغيرتين، أخيرًا جاء دورهما. بالداخل كانت الغرفة مقسمة لعدة أقسام. أمسكت بهما طبيبة شابة شقراء؛ ابتسمت في وجهيهما برفق، قبل أن تقودهما لغرفة كشفٍ صغيرة. شدت غطاء ضخم يغطيهما ويفصلهما عن باقي غرف الكشف.

تأكدت أن الكاميرا الموضوعة بجوار سرير الكشف تعمل وأن مصباحها الصغير الأحمر يومض في تأكيد أنه بخير. بدأت تخلع للفتاة ملابسها، تمنعت الفتاة في خجل لكنها رضخت بعد سبة ألمانية عاجلتها



بها الطبيبة مصحوبة بنظرةٍ نارية. وقفت عارية كيوم ولدتها أمها و أيدي الطبيبة تفتش في جسدها عن علةٍ ما، لم تجد بها ما قد يعيق استكمال المسيرة؛ أشارت لها أن ترتدي ملابسها بينما خلعت للفتى المستسلم ملابسه؛ لاحظت أنه ينظر لأخته ولكن في عينيها؛ يطمئنها ويشد أزرها.

فحصته الطبيبة جيدًا، فحصًا مهينًا لكنه لم يكترث سوى لتوأمه التي تبسمت له مشجعة، كان كلاهما خائفًا وكلاهما مطمئنًا، كلاهما مسؤولًا عن الآخر وكلاهما في حاجةٍ للآخر. علاقة غريبة متناقضة تجمع بينهما، بالتأكيد فريدة من نوعها.

انتهت الطبيبة من فحصه، وأشارت له أن يرتدي ملابسه ويقف بجوار شقيقته، لم تكن تتحدث لغته ولم يكن يتحدث لغتها وكان كلاهما يتحدثان بلغة الإشارة، ارتدي ملابسه وأمسك يد شقيقته برفق وهو يتبسم لها.

أطفأت الكاميرا قبل أن تكتب بضع جُملٍ في ورقةٍ ما وتذيلها بتوقيعٍ وتمسكها بيدها وهي تبتسم لهما أخيرًا وتشير لهما أن يتبعاها. خرجا من غرفة الكشف، فوجدا العديد من التوائم كل منهم يتجه لمكان؛ مشيًا معها حتى وصلا أخيرًا لرجلٍ يجلس على مكتبٍ يفحص الأوراق التي يأتيه بها الأطباء و يتأمل التوائم ويتحدث معهم برفقٍ ولين، وتبسم قبل أن يأخذهما حارس ما لمكانٍ آخر لم يتبيناه. أخيرًا جاء دورهما، تأملهما الضابط قبل أن يسأل سؤالًا بلغةٍ لم يتبيناها. هز الفتى رأسه فتبسم



الضابط للفتي الذكي؛ كرر سؤاله بلغةٍ أخرى فهز الفتى رأسه؛ سأله الضابط للمرة الثالثة: "ما اسمك؟"

تبسم الفتى وهو يقول بلغةٍ عربية اصطبغت بلهجةٍ شامية: "سامي الكردي، وهذه شقيقتي (لينا الكردي)".

كتب الرجل خلفه وهو يسأله: "السن؟"

قال الفتى: "أربعة عشر عامًا".

أشار لهم الرجل أن يمشيا مع الحارس الذي أمسك بيديهما وهو يفتح بابًا يليه ممر، انتهى الممر كما بدأ ببابٍ آخر؛ فتح الحارس الباب ليستقبله حارسان. أعطى الفتى لأحدهما وأعطى الفتاة للآخر، تبادل معهما عدة كلمات وهو يعطيهما الوريقات التي خطها الضابط. للمرة الأولى يفترقان، لم ينتبه أحد لصرخاتهما؛ لبكائهما. لدموعهما . لصوتيهما الذي بح من الصراخ ولا لقلبيهما الذين انخلعا من الفراق. أخيرًا وصل الحارس الذي يمسك الفتى لبوابةٍ جديدة قذرة فتحها ليلقيه خلفها. وقع الفتى أرضًا قبل أن يقف بسرعةٍ؛ محاولًا الخروج إلا أن أوان الخروج قد فات و وَلى. نفض الغبار عن ملابسه وهو يلتفت ليتأمل القادم. خلفه كانت الزنزانة تحوي عشر أشخاصٍ مختلفي الأعمار وكلهم يلتمع الفضول في أعينهم والفزع في حدقاتهم؛ ابتلع ريقه بصعوبة وهو يتجه



للحائط و يجلس باكيًا دافنًا رأسه بين ركبتيه مناديًا بلوعةٍ على أخته دون مجيب.



## (2 – أمور عادية) .

ألقت جسدها بجوار زوجها على الفراش. تقلب ليتجنب الحديث معها قبل أن يتظاهر بالنوم، لكن أنفاسه المتقطعة وفوران جسده بالغضب فضحه. وضعت يدها على كتفيه وبأيدٍ حانية بدأت تمسد جسده؛ تأوه برفق، كانت تعلم أنه حينما يغضب تتصلب عضلات جسده ولا يفك تصلبها إلا تمسيد يدها الحانية. التفت لها وهو يعلم أنها كشفت خطته؛ نظرت له بأعينٍ توجه له اللوم سلاحًا قائلة: "هل يجوز ما حدث منك اليوم؟"

التمع الغضب في عينيه لوهلة، قبل أن يحل محله نظرة عتاب وهو يقول: " تعلمين جيدًا أنني لم أخطئ".

وضعت يدها على الفراش؛ تبحث عن يده لتمسكها بحنوٍ وهي تتأمل الشعر الأبيض الذي بدأ يغزو شعره قائلةً: " أخطأت وأنت تعلم هذا جيدًا. هذا أمر لا نقاش فيه، ولكن السؤال الأهم هو: هل سنتناقش أم أنك ستدعي أنك على صوابٍ لوقتٍ طويل".

اعتدل علي الفراش وهو يدس الوسادة خلف جسده؛ لتصنع حائلًا قطنيًا بين ظهره والخشب الصلب وهو يضيء (الأباجورة) الصغيرة التي



كانت تنام على (كومود) بجوار الفراش. اعتدلت وهي تحكم ربط غطاء شعرها؛ مد يده ليفض الغطاء وهو ينظر لشعرها الأبيض، ويقول بحبٍ صادق: " تعلمين أنني أحب شعرك".

قالت بخجل: " ولكن الشيب أكل فيه وشرب، فأصبحت عجوزًا".

مسح بيده على وجنتها، وهو يرفع وجهها ليلاقي عينيها بنظرة حب و يقول: " أحببتك صبية وعشقتك فتاة وهويتك امرأة وذبت بكِ شوقًا ناضجة".

قالت بدلال: " قلت ناضجة ولم تقل عجوز"!

"مثلك لن تكون عجوزًا أبدًا يا ملاكي".

ابتسمت بخجلٍ، قبل أن تقول له بجدية: "لماذا ؟"

فهم على الفور سؤالها، قبل أن يبتلع ريقه وهو يقول بصوتٍ خافت: " أنتِ تعلمين، مذ كنت صغيرًا وأنا أحلم بدخول كلية الطب، أحلم أن أكون طبيبًا ماهرًا؛ يعالج الناس و يخفف آلامهم، ولكنْ أبي وافته المنية قبل أن أحقق حلمي، فتركت دراستي التي كنت بها متفوقًا وخضت غمار مصاعب الحياة التي قست عليّ كثيرًا، وأخيرًا وبعد وقتٍ طويل؛ جاءت الفرصة مرة أخرى لأحقق حلمي و أرى ولدي طبيبًا. خصوصًا وأنه أنهى دراسته بكلية الطب متفوقًا، بل و بتقدير امتياز أيضًا".



نظرت له بلومٍ وهي تقول: " ولكنك لست إيادًا وإياد ليس أنت".

نظر لها بغضبٍ خجول، وهو يقول: " و لكنه ابني، ولدي و فلذة كبدي، ربيته وأنفقت عليه وعلمته ودعمته ماديًّا ومعنويًا طوال حياته. اخترت أن أجوع ليشبع وأن أسهر لينام. من حقي ... بل من أقل حقوقي عليه أن يجعلني أفتخر به".

"سيجعلك فخورًا به، ولكن في المجال الذي سيختاره، وعليك أن تجعله فخورًا بك بدعمه فيما اختار. طفلك ليس عبدك".

"لم أقل هذا، ولكنني أحلم له بمستقبلٍ أفضل في ظل الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها البلاد".

قالت بلهجة أم: "سيرتفع عماد هذا البلد حين يفعل المرء ما يحب فقط، وليس حينما يفعل ما يجبر عليه".

هز رأسه متفهمًا وهو يهرب بعينيه من عينيها؛ بعد أن أقنعته –كعادتها– بصواب رأيها، أمسكت يده وقبلتها برفق وهي تقول: " هيا، قُم وطيب خاطره؛ ابنك تخرج في كليته بتقديرٍ جيد. مارس الطب أم لم يمارسه فهذا شأنه".

قام وهو يستعيذ بالله من شيطانٍ رجيم تملكه، فجعله يُغضب ابنه يوم نجاحه، وقبل أن يفتح باب الغرفة؛ قالت له وهي تمدد جسدها على الفراش: " لا تنس أن تخبره أن يفعل ما يحب".



هز رأسه، وتمتم بصوتٍ خافت لا يسمعه سواه وهي تستطرد لتقول: " ولا تنس طرق الباب قبل الدخول يا حاج خليل".

ابتسم وهو يخرج من الغرفة.

***

سمع (إياد) طرقاتٍ خافتة على باب غرفته، فمسح عبراته بكم منامته قبل أن يقول: " تفضلي يا أمي بالدخول".

دخل أبيه إلى الغرفة وهو يقول: " ما كانت أمك قبيحة يومًا بهذا القدر".

ابتسم (إياد) بين دموعه التي زادت حين لمح والده؛ شعر بجزءٍ من روحه يبكي حين تذكر كلماته الجارحة التي رماه بها قبل قليل. هرع إليه (خليل) وهو يجلس بجواره على الفراش قائلًا: " لم أبك يومًا بقدرك إلا يوم وفاة أبي؛ هل ستبكي عليّ يا إياد حين أموت؟"

مسح دموعه و هو يقول بلهفة: " بعيد الشر عنك يا أبي، اللهم احفظك لنا وبارك لنا فيك".

ابتسم (خليل) من حنو ابنه وهو يقول: " قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم" ... –



قال (إياد) بصوتٍ خافت: " عليه الصلاة و السلام"

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ... صدق رسول الله - صلي الله عليه و سلم- و كما تعلم فأنا لم أنل القدر اللائق من العلم كي أترك علمًا ينتفع به ولا مالًا لدي لأترك خلفي صدقة جارية. و كما ترى أنت مفقود الأمل فيك يا إياد".

ضحك (إياد) وهو يقول: " أطال الله في عمرك يا أبي".

ربت (خليل) على رأس ولده وهو يقول: " كبرت يا ولدي وصرت رجلًا؛ أريدك أن تعلم أنني أخطأت في حقك اليوم وأنا آسف لك. من حقك أن تشق طريقك بالوسيلة التي ترغب بها، ويجب أن تعلم أنني سأكون فخورًا بك مهما حدث ومهما اخترت".

ابتسم (إياد) وهو يقول: " مازالت أمي تثبت أنها الأقوى في هذا البيت".

"وغد صغير، ولكنني أحبك".

احتضن (خليل) ابنه وهو يعتدل علي الفراش، ويقول له: " حدثني عن حلمك يا ولدي".



ابتسم (إياد) وهو يقول: " رأيت فيما يرى النائم: أنني أرتدي ملابس بيضاء وأمشي في زقاق .... "

قاطعه (خليل) وهو يقف بجوار الفراش في غضبٍ ضاحك: " تصبح على خير يا إياد، و أنا آسف أنني اعتذرت لك، و من الغد ستعمل في الطب".

ضحك (إياد) و أبوه حتى دمعت عيناهما، و(إياد) يقول: " في الغد سأحدثك عن كل شيء، و لكن الآن ميعاد نوم وأنت تعلم أن أمي في انتظارك كي تطمئن عن حديثنا... طمئنها، وقل لها أنني مرتاح البال".

"نومًا هنيئًا يا صغيري".

"أحلامًا سعيدة يا حاج خليل، أعرف أنك ستحلم بمدام (عفاف) جارتنا التي تسكن في الثالث".

ضحك (خليل) وهو يغلق باب غرفة ابنه، ويتنهد بصوتٍ خافت: " آه يا عفاف... أقصد آه يا إياد... كم أحبك يا ولدي".

***



ضغط زر إيقاف اللعب، وهو ينظر لزميله الذي قام بخطواتٍ متعثرة يحضر المزيد من البيرة. فتح زميله الثلاجة وهو يتأملها، قبل أن يقول: " سأحضر لك زجاجة".

هز (محمد أشرف) رأسه رافضًا، وهو يرفع قدميه لتناما على الطاولة الخشبية الصغيرة التي يضعا عليها (الشيبسي، والسجائر) الخاصة بزميله، وبعض قطعٍ من مخدر الحشيش، وأشياءً أخرى ملفوفة في حقيبة جلدية لم يعرف كنهها. بعض الأوراق و(لاب توب) قديم مطفأ. حضر زميله وتأمل الوضع قبل أن يضع الزجاجتين ويحمل الحاسب المحمول ليضعه أرضًا، وهو يقول: " لماذا أخرجت هذا الحاسوب؟"

ضغط زر تشغيل اللعبة مرة أخري؛ بعد أن لمح زميله يمسك بذراع التحكم واندلعت صافرة الحكم تبدأ المباراة الافتراضية، وهو يقول: " اليوم ظهرت نتيجتي".

نظر له زميله بطرف عينه وهو يقول: " و ... "

ابتسم وهو يتحدث؛ بينما عينيه مثبتتان على الشاشة، وأصابعه تضغط بجنونٍ على مزيجٍ من الأزرار؛ ليعطي مجموعاتٍ مختلفة من الأوامر: " كالعادة أنا نجحت وأتممت تخرجي؛ بينما أنت لا تزال في السنة الثانية للمرة الثالثة".



"لا يهم... المهم أنني لم أفصل بعد. سامحني يا صديقي لن أستكمل معك السهرة، فلدي موعد هام للغاية".

"موعد مع من؟"

أمسك صديقه بالحقيبة الجلدية وهو يخرج منها بعض المسحوق الأبيض وهو يتشممه في تلذذٍ وحقنة وولاعة ومعلقة صدئة. انهمك في تفريغ المخدر على المعلقة، وهو يشعل الولاعة أسفله حتى تحول للحالة السائلة. نظر له (محمد) بدهشة وهو يقول: "هيروين؟"!

ابتسم له زميله وهو يقول: "مخدر السعادة".

وقف (محمد) بحزم وهو يقول لصديقه المنهمك في سحب السائل بالحقنة، قبل أن يدسها في ذراعه: "منذ اليوم أنا بطريق، وأنت في طريقٍ آخر".

قبل أن يفتح باب الشقة ويهبط؛ تجهم (محمد) وهو يركب سيارته ويتذكر؛ كيف اتصل فرحًا ليخبر والده عن تخرجه، لكن والده المقيم بدولة الإمارات كالعادة لم يعط الموضوع قدر أهميته؛ سأله عن رصيده في البنك كم بلغ؟ طمأنه أن المبلغ قد قارب الخمسة أصفار.. سأله عن احتياجاته المادية ؟ أخبره أنه مرتاح للغاية وأن برصيده الشخصي مبلغًا محترمًا. سمع صوت أمه فاطمأن أخيرًا أن هناك من سيفرح لفرحه لكنها كعادتهما لم تهتم. تعجب منهما؛ كيف كانا وكيف صارا!



كانا مواطنين عاديين يعيشان حياة طبيعية متنها العمل والروتين والبيت. ولكن بعد حين؛ سنحت لوالده فرصة لزيارة المملكة العربية السعودية فلم يرفضها. رحل على أول طائرة يناسبه موعدها، قبل أن يستقدم أمه. ومن وقتها تحولا لآلات صرف نقود؛ يكنزا المال ويحولاه لحسابهما في البنوك؛ تاركا ابنهما الوحيد في سن خطرة.

مراهق وحيد يتخبط بين جوانب حياةٍ قاسية؛ يمتطي طوفًا من تربيةٍ محكمة في بحر أمواجه القمار والمخدرات والغواني، لكنه ينجح و بطريقةٍ ما في سبر أغوار هذا البحر الهائج ليرسو علي بر الأمان؛ متفوقًا في دراسته وجادًا في حياته. رغم وحدته الضارية؛ تفوق في دراسته وجازاه الله بتخرجه في الكلية التي يحلم بها، منذ قليل علم أن زميله وصديقه ورفيق دربه (إياد خليل) نال قدرًا من اللوم والغضب من والده؛ رغم تخرجه بامتياز في كلية الطب. ابتسم بسخريةٍ وهو يتذكر؛ كيف حكى لوالده عن حلمه الضخم الذي تلاقت خطوطه مع حلم (إياد) قبل أن يسفه والده من حلمه، دون انتباه.

كيف صمم (محمد) على تحقيق حلمه مهما كلفه الأمر، قراءات عديدة، طلبات لأشياءٍ غريبة عبر البحار، قصاصات ورقية من كتب وروايات وصحف عبر العالم متعددة اللغات تتراص جوار بعضها البعض على لوحةٍ بيضاء في إحدى الغرف التي وضع عليها علامة تعريف (معمل الدكتور محمد أشرف) قبل أن يلحقها بعبارة أخرى ( المتخصص



بالماورائيات والأمور الغريبة ) قبل أن يخط بخطٍّ متعرج كلمةً واحدة يضيفها للوحة ( والميتافيزيقيات ).

لا يجمع بينه وبين صديقه الذي تركه منذ قليل: سوى الفراغ والوقت الضائع بلا طائل.

يستغل وقته في شحذ موهبته وصقلها: بينما يقضي صديقه أوقات فراغه في شرب المخدرات ومعاكسة الفتيات، ولكن برغم صداقتهما لم يتلاق طريقهما ولو مرة واحدة.. كل منهما في فلكٍ يسبح بعيدًا عن الآخر. أمسك بهاتفه وبحث عن رقمها قبل أن يضع السماعة الخارجية لتعانق أذنيه، وهو يضع الهاتف بجواره ويستكمل قيادة سيارته بسرعة متوسطة.

حين سمع صوتها اختفى الطريق وأعمدة الإنارة وحتى إشارات المرور: تاركين له (فريدة ) ، أميرة في مملكته تحتل جوانح عالمه. سمع صوتها رقيقًا يأتيه عبر السماعات، فعشق مخترع الهواتف قدر عشقها..!

***

(فريدة المالكي) فتاة صغيرة لم تبلغ من عمرها الثالثة والعشرين بعد، ولكن قلبها منغمس حتى النخاع في عوالم العشق وحكايات الحب الأسطورية، تُحِب أن تُحِب و تُحِب أن تُحَب وتعشق أن تُعشق وتتدلل،



ماإنها عبارة عن تنهيدات عشقٍ ممتزجة بآهات ولهٍ؛ ممزوجة بكلمات حب بنت منها قلاعًا يختبئ بها قلبها من غدر الرجال، لم تفتح قلبها إلا لشخصٍ واحد، وبرغم صغر سنهما إلا أنها تعرف أنه هو، المختار، الواحد الأحد الذي ستعطيه قلبها بكامل إرادتها دونما تأخير، تتجاوز بخطواتٍ خجولة مرحلة الشباب إلى الأنوثة؛ صوتها، خجلها، استدارة جسدها. كلها أشياء ستعطيها حق العبور لعالم النساء، وهو أمر لو تعلمون تستحقه جيدًا وعن جدارة، فهي أنثى منذ يوم ولادتها لولا أن السن أخرها قليلًا، وهو يتخطى عوالم المراهقة وصولًا للرجولة بخطواتٍ جريئة واثقة؛ متسلحًا بكلمته التي لا يردها، وقراراته الواثقة، والمسؤولية التي تحملها منذ صغره

رن هاتفها، فطارت جنيات العشق وفاضت نوافير الهوى. امتلأ الهواء بهبارٍ؛ ترميه عليها جنيات السعادة. ابتسمت، وهي تمسك بهاتفها وتنظر لباب غرفتها لتتأكد أنه مغلق، وهي تقول بسعادة: "مرحبًا... أوحشتني"

صمت محدثها للحظاتٍ، قبل أن يقول بصوتٍ ذاب من الهوى: " أوحشتني أيضًا يا جميلتي".

"ماذا تفعل ؟"

"أحدث أجمل فتاة، وأنبل طفلة خلقها الله".



توردت وجنتاها في خجلٍ، و شعرت بحرارة جسدها ترتفع، وهي تقول: "كم أتمنى ألا تمل من عشقي، أو أن تتعب من وصفي بكلمات الهوى".

"أيمل المرء من نفسه يا ملاكي؟"

ابتسمت بخجلٍ، قبل أن تشعر أن جسدها على وشك الذوبان، وأن روحها الآن تحلق في سماواتٍ عالية. غيرت دفة الحديث قائلة: " مبارك لك على التخرج".

شعرت به يبتسم؛ رغم أن الأثير لا ينقل إلا الكلمات، لكن للهوى رسول ينقل لنا الأحاسيس كما ينبغي. لم يطل صمته قبل أن يقول: " أحلم أن نكون بصحبة (إياد) أكبر مجموعة مصرية وأهم فريق محقق في أمور الماورائيات، أحلم أن نتولى قضايا غريبة لنسبر أغوارها ونكشف خباياها، وأنا بالفعل بدأت في تحقيق الحلم؛ معدات على أحدث طراز؛ مسلحين بها وبعلمنا وخبرتنا بصحبة شغفنا وحماسنا. صدقيني سنصبح ذو شأنٍ عالٍ في هذا المجال".

"لا تنس يا حبيبي، أننا ينقصنا القضية التي سنعمل بها".

"و من قال أنها تنقصنا. غدًا سأقابلكما أنتِ و (إياد) لأشرح لكما كل شيء. أريدكما أن تأتيا للشقة كي تريا كل شيء على أرض الواقع، لكني أخشى أن تفهمي طلبي بشكلٍ خاطئ".



"لن آتي بمفردي، ولن نجلس بمفردنا في مكانٍ مغلق. سأنتظر (إياد) وسنعد لك سويًّا".

ضحك، وهو يقول لها: " حسنًا ستفعلين. سأنتظركما بالغد لتعرفا كل شيء، فسنبدأ قريبًا للغاية".

"تصبح على خيرٍ يا حبيبي".

"وأنتِ الخير ذاته يا صغيرتي، نومًا هنيئًا".

وضعت هاتفها بجوارها، وهي تتنهد بشوقٍ قبل أن تنام على فراشها والتحف بغطائها، وتترك قلبها يقفز فرحًا وهو يقودها لحلمٍ جميل؛ تلقى فيه حبيبها في عالم الأحلام. حيث لا غش ولا خداع ولا شيء سوى الحب الصادق فقط.

***

فتح والدها الباب، وتأمل ابنته النائمة قبل أن يرحل لغرفته. تخرجت اليوم في كليتها، ولكن لا يهمه الأمر حقيقةً؛ يهمه أن أنوثتها بدأت تظهر ويبدو أن أرضها خصبة وليست بورًا، وهذا من حسن حظه.

يحتاج أن يزوجها لمن يدفع أكثر لأن ظروفه المادية متعسرة للغاية. أغلق ورشة الحدادة الخاصة به بعد أن سرقه ابن الملاعين (سيد) الآتي



من إحدى قرى الأرياف من محافظةٍ لا يعلم إذا كانت صحيحة أم كان يكذب عليه.

سرق كل شيء حتى المقعد الخشبي وترك له ديونًا هائلة، وشيكات اقترب ميعاد استحقاقها، وقضبان سجنٍ تقترب لتقتص من حريته، لم يترك له سوى ابنته التي استدارت لتصبح عروسًا كما يقولون. يعلم أنها كانت تحدث شابًا في الهاتف؛ سمعها تهمس بشوقٍ ميزه جيدًا ولكنه لم يحدثها في الأمر. قريبًا سيقام المزاد وعلى فتاها العاشق أن يثبت أنه يستحق أن ينالها. تأمل صورة والدتها وابنة عمه، كان متأكدًا أنها لو ربت شاربًا لأصبحت نسخة من عمه.

شكر الله على أن النساء لا تنمو لها شوارب، قبل أن يقول بصوتٍ خشن متأملًا صورتها: "الحمد لله في حياتك مصنعًا لأجود أنواع النكد والهم، وفي مماتك حملًا ثقيلًا لا أقوى عليه بمفردي".

رحل إلى غرفته حيث تقبع نارجيلته وتلفازه وزجاجات البيرة التي تتراص بجوار بعضهما البعض؛ تناديه ليتناولها الواحدة تلو الأخرى قبل أن يفكر أن الحاج (شكري) لا يعطيه إياه بدون مقابل، فقد لاحظ من قبل نظراته الحيوانية الشهوانية لمؤخرة ابنته يومًا، قبل أن يبرم شاربه قائلًا: " الآنسة فريدة أضحت عروسًا. يلزمها رجلًا بحق".



تجاهل الأب تلميحه البذيء، وهو يرجوه أن يضيف الزجاجات على حساب لا ينتهي ولن ينتهي إلا بابنته ترتدي فستانًا أبيضًا بجوار هذا الرجل، كان هذا سببًا أدعى ليزوجها شابًا ثريًا؛ كي لا ينضب مخزونه من البيرة لكن هذه حكايات أخري. الأهم الآن البيرة والنارجيلة وليذهب العالم للجحيم.



## ((3- تجارب))

نظر لهم بأعينٍ اغرورقت دمعًا، فأضحت الرؤية بها متعسرة.

حاول مسح دموعه بكم قميصه إلا أن هطولها كان أغزر من أن يمنعه طرف قميصٍ قماشي، قبل أن يمسح دموعه بالكامل شعر بضربة قوية على رأسه من الخلف، وقبل أن يستدير ليرى ما الذي صدمه؛ فوجئ بيدين قويتين تقبضان عليه وتحملانه عاليًا لتلقيه بعيدًا، يراقب بأعينٍ تتسع هلعًا الحائط وهو يقترب، ولكن هذا لم يكن يخيفه. الأمر الذي أثار اشمئزازه و سويًا؛ هو ذاك الوعاء المليء بالبول الذي يتجه له بسرعةٍ شديدة، وبالفعل لم تمر ثواني معدودة حتى اصطدم جسده الصغير به؛ لينقلب الوعاء وتملأ رائحة البول المكان، بأعينٍ تعبث بها الحيرة نظر؛ ليجد شابًا مفتول العضلات ينخر في غضب. بينما هناك عدة أشخاص حوله يحاولون منعه، هدأ الشخص قليلًا لكنه نظر للفتى بأعينٍ مليئة بالغضب وهو يسبه بصوتٍ خافت، قبل أن ينتحي جانبًا ويسكن أحد أركان الزنزانة ليجلس فيها وحيدًا؛ دافنًا رأسه بين ركبتيه دون أي حراك كأنه تمثالًا شمعيًّا.

مشى رجل يكاد يقارب الأربعين من عمره، وهو يمد يده للفتى كي يقف قبل أن يبتسم له.



أعطاه الفتى يده ووقف مستندًا عليه؛ هاجم قدمه ألم قوي نتاج استخدامها بالدلو المعدني، عرج مستندًا عليه حتى أجلسه عل حائطٍ بعيد عن الشاب الذي ضربه دون سبب.

ابتسامته طمأنته قليلًا فابتسم له ابتسامةً حزينة منكسرة، حدثه الرجل بلغةٍ إنجليزية يسأله سؤالًا لم يفهمه، فهز رأسه دون رد.

عاد الرجل يسأل بعدة لغات، نفس الموقف يتكرر معه مرة أخرى، لكنه قرر التصرف سريعًا تلك المرة رافضًا إضاعة المزيد من الوقت: "عفوًا، أتحدث العربية فقط".

ابتسم الرجل، وهو يكرر سؤاله بلغةٍ عربية ركيكة: "أنتِ عربية ؟"

ابتسم هذه المرة من قلبه، وهز رأسه قائلًا: " أنا عربي سوري".

تبدلت ملامح الرجل للقلق، وهو يقول محاولًا تقبل الأمر: " لا تقلق، نحن هنا مختلفي الديانات ومختلفي الجنسيات".

صاح شاب أشقر - بلهجةٍ صادمة أشبه بالزئير- بلغةٍ أخرى، لم يفهمها الفتى. فرد عليه الرجل بنفس اللغة قبل أن ينظر للفتى قائلًا: " يسألني متى سننتهي من الحديث لكي يتعرفوا عليك ويعرفوا قصتك؟"

ابتسم الفتى للأشقر الذي بادله الابتسام في توترٍ وعصبية. جلس الرجل بجوار (سامي) بينما التف الآخرون حوله. بدأ (سامي) يتأملهم



بحيرةٍ وقلق، وقلبه يشعر ببعض الخوف من تكرار تجربة الضرب مرة أخرى. خصوصًا، وأنه بنظرةٍ سريعة عرف أنه أصغرهم سنًّا وأقلهم حجمًا، لكن وجود الرجل بجواره طمأن قلبه بعض الشيء.

بدأ يتأملهم: كلهم ذكور، أعمارهم تتراوح بين العشرين والخمسين، هو أصغرهم والشاب الوحيد هناك أقواهم. كلهم يرتدون ملابس عادية متشابهة الشكل واللون: بنطالًا أزرقًا بحمالاتٍ ترقد على أكتافهم متمسكة بها، وأسفلها قمصان بيضاء بعضها كساه الغبار وبعضها خضبه الدم، وجوه أرهقها الألم واغتصب قسماتها الوجع. عددهم يتراوح بين العشرة والخمسة عشر، لا يستطيع أن يحصيهم لتجمعهم بشكلٍ عشوائي حوله في شكلٍ نصف دائري، بينهم أسود البشرة، مجعد الشعر، وبينهم الأبيض صاحب الشعر الأشقر، بينهم الطويل القامة و قصيرها، قوي البنيان و ضعيفه. بدأ الرجل حديثه قائلًا: "سنتحدث لأن الحديث هو ما يزجي الوقت، لا نملك طريقة لتزجية الوقت سواه".

صمت قليلًا قبل أن يقول: " ستتحدث وستحدثون، وسأتولى أنا مهمة الترجمة لك ولهم".

ابتسم لهم (سامي) في ود، قبل أن يستكمل الرجل حديثه: " نحن ضحايا عنصرية آرية، جنس لا يرى إلا نفسه، يرفض التعامل مع باقي البشر بحجة أنهم في خانة أقل منه، لكن الحقيقة أنه غبي، لا ينظر إلا تحت قدميه وسيفاجأ قريبًا بأن جنسه الآري مجرد وهمٍ عاش، وسيموت



في عقل مريض مشبع بالضعف والكراهية. أغلبنا (بولنديين) و بعضنا (سوفييتي)، أنت من العرب القلائل الذين نراهم ها هنا، معسكر (اوشفيتز) الشهير بمعسكر الموت.

مجرد وجودك هنا علي قيد الحياة، لم تُقتل ولم تتوقف أنفاسك؛ معناه أنك سيئ الحظ لدرجة لا يمكن أن تتصورها، لك أن تتخيل كل القسوة وكل العذاب الذي تعرفه وأن تتخيل الذي لا تعرفه. أن تسافر مع خيالك المريض في رحلات تعذيبٍ وبشاعة تشيب لها الولدان، ثم خذ كل هذا لتنحيه جانبًا؛ لأنك بسبب ما ستراه هنا سيكون هذا هلاكك".

صمت قليلًا ليرى تأثير كلماته على الصبي، قبل أن يستكمل: " تعذيب وتجارب شيطانية ووحشية وضرب وإهانة، لكن ما يخفف علينا الوقت هو الكلام، سنتحدث وسنقص كل ما رأينا وما نري هاهنا لكي يوثقه التاريخ. إذا خرج أحدنا من هنا يجب أن يكتب الأمر بكل تفاصيله، وأن يكن أمينًا في كشف كل الفظاعة والوحشية التي تحدث هنا؛ هل تسمعني ؟"

ابتلع الفتى ريقه بصعوبةٍ، وهو يهز رأسه بالإيجاب.

استكمل الرجل حديثه بلغةٍ عربية مهدمة الأوصال، لكنها كانت كافية لكي تحفر في ذاكرة الفتى: "أعلم أنك خائف؛ لأطمئنك قليلًا كلنا



خائفين، قلوبنا ترتعد خوفًا وهلعًا، لكننا هنا نتكاتف سويًا كي لا يشعر أحدنا بالخوف أو يتملكه الهلع. تجربة قاسية وسن صغير، معادلة صعبة للغاية، لكنني أرالقوة بعينيك؛ أتعرف؟، منذ رأيناك ونحن عرفنا، هذا الفتى الصغير..."

قاطعه الفتى قائلًا: "سامي.. اسمي سامي".

"سامي، أنت ستكون الناجي، الناجي الذي يحمل أسرارًا لابد أن تكشف، أنت أصغرنا سنًا وأحقنا بالحياة".

عدة همهمات موافقة شجعت الرجل على الاستكمال: "ستقضي وقتك هنا في السماع والحفظ، سنقص عليك كل ما رأينا، أو سمعنا أو حتى شعرنا، وعليك أن تتحول لآلة لاهم لها إلا الحفظ والحفظ فقط، عليك أن تنجو لتنقل آلامنا للخارج، يجب أن يعرف الجميع أننا نهلك بسبب هؤلاء المجانين، سامي، أنت الأمل؛ هل تفهمني؟"

هز (سامي) رأسه، وهو يشعر بالخوف يتسلل إلى قلبه الصغير، فاغرورقت عيناه بالدماء وهو يقول: "نعم".

ربت الرجل على كتفه بود صادق، وهو يقول: " لا تخشى شيئًا؛ سنحاول حمايتك قدر الإمكان إذا وعدتنا وعدًا صادقًا أنك ستنقل كلماتنا بالتفصيل؛ كي تكشف وحشيتهم وشيطانيتهم".



ظهر الحماس والتصميم في عيني (سامي) وأذنيه تسترجعان صوت الرصاصة التي أنهت حياة أمه وهو يقول: " أعدكم و أقسم على هذا برحمة أمي، رحمها الله".

ابلسموا وهم يجلسون أمامه، ويبدأون الحديث واحدًا تلو الآخر، بدأ الحديث من شخصٍ أبيض البشرة ناعم الشعر، عسلي العينين، يكاد ينهي سنواته العشرين ليبدأ أولى خطواته الثلاثينية، أسنان نخرها السوس وشفاه أكلها الجفاف وأعين ماتت من قلة الأمل، و بصوتٍ واضح بدأ يحكي تجربته بالتفصيل، وببطء كي يستطيع الرجل أن يترجم الأمر كاملًا، وبآذان تلتهم الحديث التهامًا بدأ (سامي) يسمع ويحفظ.



## ((4- مقالات، قصاصات، أوراق وأشياء أخرى))

جرس الباب في هذا الوقت، كان يعني له تغريد بلابل العشق، لم لا وجزء منه يقف على الباب منتظرًا إذنه بالدخول، ضلعه الذي تحول لنصفٍ آخر يكمله، الفارق الوحيد بينهم أنها نصف رقيق حالم، يشفي كل جراح الزمن، بينما هو نصف خشن جاف يطرد ملائكة العشق والهوى، لولاها لخرب عالمه، فتح الباب وهو ينظر في عينيها، استقبلته بنظرة خجلٍ قبل أن تهرب منه لتنظر أرضًا، ابتسم بعشقٍ وهو يقول لها بصوتٍ خافت: " تفضلي بالدخول يا أميرتي، أنيري حياتي وأضفي الألوان لعالمي".

دلفت للشقة بتردد، وظهر (إياد) خلفها وهو يقول بسخرية: "هل تسمح لي بالدخول ؟"

نظر له (محمد) وحاول أن يغلق الباب، لكن طرقة من (إياد) نبهته من عوالم الهوى، الذائب فيها قلبه ليفتح له الباب، وهو يرمقه بنظرةٍ مغموسة بالغل، أغلق (إياد) باب الشقة خلفه، وهو يتشمم الهواء من حوله قائلًا: " يبدو أن حماتي تحبني، أشم رائحة دجاجٍ مشوي وملوخية بالتقلية وأرز بالخلطة، يا لي من محظوظ".



ضربه (محمد) على كتفه، وهو يقول: " يبدو أن حماتك لا تحبك. لأن طعام الغداء اليوم: لحم بقري و بسلة بالجزر و أرز".

ابتسم (إياد) وهو يربت على بطنه ويقول: " لا يهم، المهم أنني سآكل".

سحبه (محمد) من يده، وهو يقول: " لا أكل إلا بعد أن ننتهي تمامًا".

جلست أميرته على كرسي بخجلٍ، فاقترب منها مبتسمًا ونبرة صوته الهادئة وهو يسألها: " قبل البدء في العمل؛ أتريدين أن تشربي شيئًا؟ لدي عصائر طازجة ومياه غازية، فقط عليكِ أن تأمريني".

هزت رأسها رافضة بخجل؛ بينما جاء صوت (إياد) من الخلف قائلًا: " أريد القليل من العصير الطازج من فضلك".

نظر له (محمد) بغيظٍ ، وهو يقول: "جميع الأكواب متسخة، ليس لدينا إلا الماء".

"أعطني كوبًا من الماء".

"لديك الصنبور بالداخل، اشرب وتعال".

ضحكوا جميعًا، قبل أن يشير لهم بالدخول إلى أحدى الغرف، سبقهم قليلًا وهو يضغط زر الإضاءة لينير الغرفة، كانت غرفة متوسطة الحجم، فارغة تمامًا إلا من مقعدين ولوحة بيضاء ضخمة معلق عليها العديد من الأوراق والمقالات، أجزاء من رواياتٍ وكتب وأبحاث علمية،



أوراق بالعربية وأخري بالإنجليزية، صور قديمة وغيرها حديثة، أوراق متهالكة وأخرى جديدة، خريطة لمصر تزينها علامة تقف وحيدة في صحراء مصر الغربية، خطوط متشابكة موزعة يمينًا ويسارًا تتشابك تارة وتفترق تارة أخرى، بضع كراتين ضخمة مصفوفة بعناية بجوار حائط بعيد عن اللوحة، وجهاز حاسوب من الطراز القديم ينام وحيدًا يكسوه الغبار، ونافذة مغلقة منذ حين تزينها شباك عنكبوت يراقبهم بفضول.

أشار لهم (محمد) أن يجلسا فجلسا و(فريدة) تنظر في ساعتها لتتأكد أنها لم تتأخر، أخبرت والدها أن أم أحدى زميلاتها مريضة قليلًا، وأنها محجوزة في غرفة العناية المركزة الخاصة بأحد المستشفيات؛ لذا تريد ألا يسرقها الوقت كي لا ينفضح أمرها وينكشف سرها.

أمسك (محمد) بالأوراق و بدأ ينزعها عن اللوحة بترتيبٍ معين يحفظه عن ظهر قلب وبدأ بالقراءة...

***

جزء من بحث علمي بعنوان " المصحات النفسية.. بين مكان للعلاج و مكان للموت." للطبيب النفسي الفرنسي ( ديفيد كالتوان ).



"الكثير من المصحات النفسية هذه الأيام أصبحت تدار بواسطة فرق مجهزة من الأطباء، لكن نسبة كبيرة من هؤلاء الأطباء بداخلهم وحوش كاسرة لا تعرف للرحمة شكلًا، يصعقون مرضاهم، يحرمونهم من النوم، يحرمونهم من الضوء، يسجنونهم بغرفهم لعدة أيام، يمنعون عنهم الدواء والطعام، وأخيرًا يضربونهم بقسوة.. هذا الأمر الذي أدى طبقًا الدراسات والإحصائيات التي أجريت في الفترة الأخيرة؛ لمقتل العديد من المرضى النفسيين، وبطبيعة الحال فإن الأمر ينتهي في سجلات هذه المستشفيات بتدهور حالاتهم الصحية، دون إشارةٍ عن تعرضهم للصعق بالكهرباء أو الضرب بعصي حديدية وخشبية أو حتى الحرق بالنار في بعض الأحيان، تستخرج المستشفيات تصاريح الدفن و تدفن المرضى أولًا، ثم تخبر عائلاتهم أنهم يحاولون الاتصال بهم منذ حين، وبطبيعة الأمر بنسبة 90 % من العائلات لا تهتم بمرضاهم، بل وأغلبهم يشعر بالراحة لسماع خبر موت المريض لأنه يخلصهم من حمل مادي قاسٍ".

***

*"جزء من خبر بجريدة صحيفة ( Correio Braziliense ) البرازيلية"*

الصفحة العاشرة.



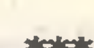
*( فريق من المهتمين بالظواهر العلمية الخارقة و الماورائيات يختفي بشكلٍ غامض أثناء رحلةٍ بأحد المستشفيات المهجورة من الخمسينات)*

كتب Mariana Laboissière :

"فريق الظواهر العلمية الخارقة المعروف بمحاربي الأشباح بقيادة العالم (روبيرتو لارينا) اختفوا بشكلٍ غامض خلال مهمتهم الجديدة التي أرادوا بها سبر الأغوار عن أسطورةٍ تتعلق بمشفى مهجور منذ فترةٍ كبيرة، لكن يبدو أن مهمتهم التي كان يتابعهم بها الآلاف من عشاقهم قد انتهت بشكلٍ خاطئ للغاية. فطبقًا لآخر فيديو سجلوه ظهر الدكتور (روبيرتو) متوترًا للغاية وهو يتحدث للكاميرا التي تنقل كلامه لمتابعيهم، ظهر محمر العينين مرتجف الجسد، يدخن سيجارة قاربت على النفاذ وهو يتحدث عن مشكلةٍ في الضوء وأخرى في الخرائط، قبل أن يشير إلى مجموعةٍ من الأصوات المجهولة التي تتردد كل حين.

بعدها بثوانٍ معدودة تدخل إلى نطاق الرؤية: زميلته وخطيبته الطبيبة (إيزابيلا) والتي يعرفها متابعي الفريق عن ظهر قلب لتخبره أن هناك أمرًا ما من الهام أن يراه، يغلق الكاميرا وتسود الشاشة. بعد ظهور هذا الفيديو بعدة أيامٍ؛ قلق محبيهم فأخبروا الشرطة التي أرسلت فرقة من القوات الخاصة لتمشط المكان قبل أن تعلن خبرًا صادمًا للآلاف، فريقهم المحبوب اختفى دون أن يترك أي أثرٍ على الإطلاق".





"صحيفة ( Beijing Daily ) الصينية"

الصفحة الأخيرة.

كتب 朱松梅 :

*( إشاعات خطيرة تتردد عن مشفى بيونج جان النفسي، و وزارة الصحة الصينية تبدأ التحقيق بالأمر)*

"اتهمت إحدى العائلات التي فقدت مريضًا نفسيًّا، كان يعالج بمشفى بيونج جان النفسي، الطبيب المسؤول عن حالة ابنهم بقتله. بعد أن وجدوا بجسده علامات صعق وحرق وكدمات أخرى، اعتبرتها العائلة دلائل كافية أن ابنهم تعرض للتعذيب الذي توفي على إثره، اتجه رب الأسرة السيد (كيون) إلى قسم الشرطة ليحرر بلاغًا رسميًّا بالأمر؛ متهمًا مدير المشفى والأطباء الموجودين به، أنهم يستغلون سلطاتهم ويستغلون عدم الوعي الكامل لمرضاهم ويقومون بتعذيبهم وضربهم مما أفضى لموت ولده الذي كان يعالج في المشفى؛ بينما توجه شقيق المتوفى بصحبة أقربائه محاولًا اقتحام المشفى و قتل المسؤولين عنها.



هذا وقد فتحت وزارة الصحة الصينية تحقيقًا موسعًا عن الأمر؛ بينما صرح رئيس الحكومة أن الأمر جاد ولا تهاون فيه وإذا ثبت صحة الأمر سيتأكد بنفسه من حصول المسؤولين على العقاب المناسب، والتأكد من أن باقي المرضى يتلقون العلاج اللازم لحالاتهم ويتم معاملتهم بشكلٍ راق".

***

*جزء من رواية نفسية بعنوان (يلتهمني)*

للكاتب التشيكي (لوكا سلابتاتيتش)

الفصل الرابع عشر:

"جذبني الطبيب المسؤول عن حالتي من يدي، حاولت المقاومة إلا أن الأدوية التي يجبروننا علي تناولها هنا تصيبني بالدوار، قاومت قدر استطاعتي لكن مقاومتي خابت أمام قواهم و تصميمهم، وصلوا أخيرًا للغرفة ذات الباب الأحمر، الغرفة التي تحاك عنها الشائعات الشريرة بين المرضى.

فتح الطبيب الباب وأشار للممرضين أن يدخلوني، كانوا يجرونني جرًا وأنا لا حول لي ولا قوة، لم أملك في هذا الوقت سوى الصلاة، رسمت



الصليب بأيدٍ متهالكة اغتصبها التعب وحاولت حمل لساني على تلاوة بعض الصلوات، ألقوني على مقعدٍ خشبي ضخم وشرعوا بتقييدي جيدًا، حاولت التخلص من القيود الجلدية إلا أن الأوغاد قيدوني بقسوة، شعرت بجلدي يؤلمني فكففت عن المحاولة وحولت طاقتي كلها للصلاة، خرجا من الغرفة و تركوني بمفردي مع الجلاد، هكذا كنا نسميه وهكذا كان يستحق تسميته. أغلق الباب خلفهم بالمفتاح وابتسم لي، كنت أرى النشوة تتقافز في عينيه، حاولت تجاهلها. ابتسامته تتسع، وبالي يتلو الصلوات، يفرك يديه، أغلق عيني بقوة؛ شعرت بشيء يمشي على كتفي، ففتحت عيني لأجد ثعبانًا ضخمًا يبتسم في شر وهو يخرج لي لسانه وبمجرد أن صرخت؛ أمسك الطبيب بفكي بجهازٍ معدني لمنعي من إغلاقه، رأيته يخرج سوائل حمراء وزرقاء ويسخنهم حد الغليان، قبل أن يأتي لي ببطء ليصبهم بحلقي صبًّا.

حاولت الصراخ إلا أن قلبي وقتها نسي كل شيء و تذكر الصلاة، يا الله المجيد".

***

خبر في جريدة (الشرق) المصرية

الصفحة الخامسة



*(مشفى مهجور في صحراء مصر!)*

كتب: محمد الشافعي

"ماذا يفعل مشفى قديم مهجور وسط الصحراء الغربية المصرية؟ هذا هو السؤال الذي نطرحه في هذا الخبر محاولين الكشف عن أحد الأمور الغريبة التي تطرأ على مصرنا الحبيب. (سيد الحاجب) أحد رعاة الأغنام الذي ضل منه خروف صغير. أعاد الغنم للحظيرة وعاد للبحث عنه. ساقته قدماه أو لنقل ساقته الأقدار للمكان، وجد مشفى مهجور. في البداية اعتقد أنه مبنى مهجور ولكن لافتة صغيرة نجت من حريق قديم حملت حروف ( مستشـ ) أنبأته أنه يقف أمام مشفى مهجور منذ حين. بالفعل قام (سيد) بإبلاغ المسؤولين الذين وعدوه بفتح تحقيق رسمي لاكتشاف السر وكشف ستار الغموض عن هذا المبني، خصوصًا وأنه لا وجود له بالسجلات. هل ستكشف لنا التحقيقات هذا السر. هل ستفتح الحكومة فعلًا تحقيق عن هذا المبنى، أم أنها مجرد مسكنات كي تهدأ ونمل الحديث في هذا الأمر.. هذا ما ستكشفه لنا الأيام المقبلة".

***



نشر في جريدة (الأهرام) المصرية

الصفحة السابعة

*(صحف المعارضة في رحلة البحث عن خبر)*

كتب: أدهم طهطاوي

"هذا وقد قامت صحيفة صغيرة تنتمي لأحد أحزاب المعارضة الممولة من الخارج بنشر خبر صغير عن مشفى قديم يقبع في الصحراء وحيدًا منعزلًا وطالبت الجريدة بفتح ملف تحقيق موسع عن هذا المشفى.. وكأن حكومتنا الجليلة ستترك كل مهامها الخطيرة وأمور الدولة الكبيرة وتبدأ بالتحقيق حول راعي أغنام فقير وجد مشفى مهجورًا أثناء بحثه عن غنمته التائهة، ورغم هذا اهتمت حكومتنا الجليلة بالأمر ولم تتجاهله، وفتحت تحقيقًا موسعًا عن الأمر الذي انتهى سريعًا؛ حيث ثبت أن المشفى معروف ومرخص ولكن تم هجره منذ فترة لرفض العاملين التكليف به؛ لأنه بعيد وفي منأى عن الحضارة وهذه مشكلة أخرى تتلبس هذا الجيل وهي تكبر الشباب على العمل رغم أن حكومتنا الموقرة توفره لهم بمرتباتٍ خيالية لا يحلمون بها، هذا و ......."





جزء من كتاب *( أماكن يشوبها سحر الغموض بمصر)*

للكاتب / سعد الدين هنداوي

صادرعن دار(السحر) للنشروالتوزيع

"مشفى قديم مهجور بصحراء مصر الغربية يثير آلاف التساؤلات، خصوصًا بعد انتشار حالات عدة من اختفاء غامض لحيوانات و أشخاص، سجل قسم الشرطة التابع للواحات عشر حالات اختفاء لمواشي وأربع حالات اختفاء للأشخاص، العقيد (شريف جلال) المسؤول عن القسم برر الأمر بوجود عصابة لسرقة المواشي؛ بينما برر اختفاء الأشخاص بأنهم ربما تعرضوا لعصابة أو ربما كانوا العصابة نفسها.. نسج السكان إشاعات وأساطيرعن هذا المكان، خصوصًا، وأن العديدين منهم يقولون أنهم سمعوا أصواتًا غريبة ورأوا أضواءً مريبة بين الحين والآخر.. بعضهم يقول أن المشفى المهجور مسكون بأشباحٍ وأرواحٍ غاضبة هائمة على وجوهها بين جنبات هذا المبنى؛ بينما آخرون ينسجون خيوط قصةٍ وهمية صعبة التصديق عن كائناتٍ خارقة؛ ربما تكون فضائية تحتل هذا المبنى وتسعى للسيطرة على البلاد، لكن لا أساس من



الحجة لتلك القصص، في النهاية لا يوجد ما يؤيدها. لكن عزيزي القارئ لا تنسى أنه ليس هناك من ينكرها".

***

صورة فوتوغرافية لمبنى مهجور، الصورة ملتقطة في ظلامٍ غير دامس، هيكل المبنى واضح المعالم بدون تفاصيل، مساحته ليست كبيرة ومكون من طابقين، المثير بالأمر أنه بلا نوافذ ولا مجال لدخوله إلا بابًا مصمتًا بما يبدو بشكلٍ غير واضح بوابة حديدية، يبدو أنه مهجور منذ زمن لأن الرمال قد غطت ثلاثة أرباع الباب المعدني لتمنع فتحه أو إغلاقه. يلتمع القمر فوق المبنى ليضفي على المشهد سحرًا من نوعٍ خاص.

***

خريطة لجمهورية مصر العربية ترقد جانبًا وقد تم غرس دبوس أحمر الرأس بمكانٍ معين؛ بينما كتب بخطٍ صغير عنوان هذا المكان فوق المساحة الخالية الممتدة.

***



أنهى (محمد) حديثه، وقبل أن يفقد تركيزه أشار بيده لمنضدةٍ صغيرة تحمل ثلاثة مصابيح يدوية محمولة وثلاثة أخرى من تلك المربوطة برباط يلف حول الرأس لتتيح لحاملها رؤية أوضح، ثلاث حقائب ظهر مملوءة بما يبدو أنها مؤونة تكفي لعدة أسابيع، عتلة حديدية جديدة ترقد بجوار الحقائب، مفكرة ورقية صغيرة وعدة أقلام مختلفة الألوان، مشى بخطواتٍ بطيئة وهو يفتح أحد الأدراج ليظهر مسدس فضي اللون صغير الحجم؛ يطل الموت من فوهته المعدنية وهو يقول بصوتٍ جاد مليء بالتحدي: " ستبدأ مغامرتنا".

التمعت عيناه في جنونٍ، وهو يقول بصوتٍ عالٍ: " قريبًا للغاية".

صمت قليلًا قبل أن يقول: " أنتم تعلمون أن المخابرات المصرية قد أنشأت قسمًا خاصًا للتحقيق بالقضايا الغريبة و الماورائيات، لكن الأمر سرًا لم يعلن؛ لأنهم يخشون سخرية العامة، كما تعرفون أيضًا أننا حاولنا الانضمام لهم أكثر من مرة وبأكثر من طريقة، لكن الرد الدائم هو أن المخابرات ليس بها قسم يحمل هذا الاسم".

هزوا رؤوسهم إيجابًا، فاستكمل حديثه: " علمت من صديقٍ يعمل في هذا القسم؛ أنهم على وشك البدء بمهمةٍ جديدة. وفكرت؛ إذا ما سبقناهم وأنهينا حل المهمة وكشفنا طلاسم الغموض عنها، فسنجبرهم على الانتباه لنا؛ لذا سنبدأ في رحلتنا الأولى، ومن يعلم ربما في نهاية المطاف لن تكون الأخيرة".



## ((5-آيزاك البوتراجي))

اسمه كان (آيزاك فوجيل ويس)، ولد في قريةٍ فقيرة تدعى ( بوتراجي ) في (التشيكوسلوفاكيا) في شهر أغسطس للعام 1930، قرية ( بوتراجي ) قرية ريفية كلاسيكية، فقيرة للغاية و تقريبًا بلا موارد، مساحة صغيرة يسكنها حوالي الألف أسرة، معظم الأسر كانت تعمل في الزراعة.

عندما أتم (آيزاك) عامه الثامن أهدته (تشيكوسلوفاكيا) هدية عيد ميلاد فريدة من نوعها، وتفتتت لتصبح قريته جزءًا من دولةٍ جديدة، أصبحت ( بوتراجي ) الآن لتصبح مجرية ومن هنا بدأت المشكلة الأكبر في حياة (آيزاك)، كان المجريين في حالة تأييدٍ تام للنظام النازي، أضحت الأمور أصعب على الأسر التشيكوسلوفاكية ، تخلى عنهم القانون ورفض رعاياهم بعد الآن ليخسروا كل حقوقهم المدنية.. بالكامل

في الأيام القليلة التي تلت الأمر؛ فوجئوا بمصادرة جميع الأخشاب التي كان يستعملها والد (آيزاك) في ورشة النجارة الخاصة به لتمنح لأسرة أخرى مجرية، لم يتلقوا أي تعويض، الخطوة التالية كانت إلقاء



أطفالهم خارج المدارس المجرية بلا رحمة، بعد ذلك منعوا من التنقل بالقطارات.

شعور مخيف للغاية: أن تري المشاعر الحقيقية للبشر دون تجميل، بدأت الدوريات النازية تتجول في المكان بحثًا عنهم، الأمر الذي كان يليه الكثير من الضرب، المهانة والتحقير. لكن في النهاية يُحسب لهم أن تركوهم يعيشون في أرضهم وعلى تراب أوطانهم، لا شيء مريح للنفس أكثر من تنفس هواء الوطن.

لم تمتلك الأسر السلوفاكية، الحق في حيازة راديو. كما كان من الممنوع عليهم أن يشتروا أو يقرأوا الصحف؛ لذا لم يكن هناك وسيلة لمعرفة آخر الأخبار وأهم المستجدات سوى الاستماع إلى أربابهم وأهلهم، لم يكن (آيزاك) يعرف الكثير عن مجريات الحرب، لم يهتم أن يعرف من فاز ومن خسر، الأمر الوحيد الذي عرفه و تأكد منه: كان القمع والكبت في كل مكان.

رغم كل هذا لم تتخل (المجر) عن عائلاتها السلوفاكية، استمر الأمر على هذا الحال حتى غزتها (ألمانيا) النازية في العام 1944، المهمة الأولى التي أسندتها (ألمانيا) للحكومة المجرية تمثلت في مطاردة وأسر الأسر السلوفاكية بالكامل، ومساعدتها في ترحيلهم إلى المعسكرات وتحديدًا معسكر (أوشفيتز)



في ربيع عام 1944: تم ترحيل أسرة (آيزاك) إلى معسكر (أوشفيتز)، والديه و إخوته الخمس الذين كان أكبرهم قد تم عامه السادس عشر منذ قليل. بلغ (آيزاك) من العمر ثلاثة عشر ربيعًا في هذا الحين. سُمح لكل منهم باصطحاب حقيبة واحدة فقط. كانت ليلة التعبئة قد حُفرت بذاكرة (آيزاك) بحروفٍ من ألم لن ينساها ما حيا. اصطحبوا ملابسهم في الحقائب واصطحبت أمه بعض الطعام الدافئ.

بينما حرص والده على جلب بعض الأقراط والساعات والخواتم كي يستطيعوا تبديلها بالطعام إذا ما قست عليهم الدنيا. لم يكن لدى أيهم فكرة على الإطلاق عن المكان الذي يتوجهون إليه. عندما وصلوا صُدموا من الخوف. لك ألا تخاف من أي شيء على الإطلاق. لكن حياتك تحت رحمة بشري، شيء يجب أن تخشاه حتى الموت.

نظر (آيزاك) للسماء مخاطبًا ربه سائله: ماذا فعلوا كي يستحقوا هذه الحياة وهذه القسوة؟

ولكن للأسف لم يأته الجواب.

من نافذة القطار الذي استقلوه بعد العربات: رأى (آيزاك) الثكنات العسكرية، ضباط بزي رسمي وسجناء. للوهلة الأولى توقع أن (أوشفيتز) معسكر عمل، اطمأن قلبه قليلًا فهُم بصحةٍ جيدة ويستطيعون العمل. وللمرة الأولى منذ ترحيلهم: ينحي تلك الحكايات المرعبة التي كان يسمعها



عن عمليات القتل الجماعي التي اتخذت من بولندا مكانًا ومن ألسنة الشهود مسكنًا.

ابتسم للمرة الأولى وهو يرى النظام، كان يرى أن الجحيم يطاق لو تمتع بقليلٍ من النظام، لكن ما لم يره (آيزاك) من نافذة القطار، كان الحملة الجماعية لإبادة لأسرى والخطة المحكمة التي رسمها الألمان، لم يتخيل أحدهم أن الأطفال الصغار سيتعرضون للقتل؛ غافلين عن أن قتل الصغار كان الوسيلة الأقوى لمنع الأجيال الضعيفة من الانتشار ورغم أن العين اليائسة قد تحاول رؤية بصيصٍ من الأمل في الأمر.

إلا أن هذه المرة هرب الأمل و ساد السواد الأعظم على لمحة التفاؤل.

عندما هبطت الأسرة من القطار ولامست بأقدامها أرض الواقع القاسية؛ فوجئوا أن المرحلة الأولى كانت في التفرقة بينهم، فرق تسد.

في البداية؛ عزلوا شقيقته الكبرى (سيرينا)، وتم اختيارها للعمل بالسخرة، تم إرسال أمه بصحبة أشقائه الأصغر في مكانٍ. بينما بُعث بأبيه وأخيه الأكبر البالغ حينها الستة عشر عامًا إلى مكانٍ آخر، قادوه بقية أخوته بعيدًا، اعتقدوه أكبر سنًّا من الحقيقة. ربما لأنه ارتدى معطف أخيه الأكبر التي أعطته إياه أمه.

اختار الجنود أمه وأخته ليتم إرسالهم لجهة؛ بينما وقع عليه الاختيار ليمضي في الجهة المعاكسة، كان اختباره الأول للبقاء على قيد الحياة،



...وأنه يساق لمكانٍ لا يعرف فيه أي شخصٍ على الإطلاق، كان ... جنديان نازيان منهمكان في عمل وثائق تعريفٍ، مصحوبة بصورٍ ... السلوفاكيين الذين هبطوا من على متن القطار.

في البداية؛ قرروا إخضاعه للنظام المتبع في هذا المكان، تحركوا إلى ... كبير، استلموا ملابس العمل زرقاء اللون، ارتدى ملابسه وعاد بعدها ليتم تصويره صورة شخصية؛ سيتم إرفاقها فيما بعد في وثيقة التعريف الخاصة به، لمح أخته من بعيد فمال بجسده ليرى؛ أين ...، فكانت النتيجة صورة شخصية مائلة ينظر فيها بأعين تلتمع فيها الحيرة تجاه مكان مجهول، انتقل بعدها للعمل في قسم (بركينا) بداخل معسكر (أوشفيتز).

كان روتين الأيام يمضي مملًا بطريقة لم يتخيلها، فالتكرار هو أشد أنواع الجحيم طرًّا، يستيقظ ليعمل ويقضي أوقات عمله باحثًا عن أي شخصٍ من أسرته أو أي معلومة تساعده على الاستدلال عنهم ثم ينهي يومه الشاق بالنوم. في يومٍ مشؤوم وصباحٍ تعيس؛ لاحظ فتى صغير لا يتجاوز عمره الثمانية أعوام يعمل وهو يرتجف بردًا، اتجه إليه وهو يلتفت حوله كي لا يراه أحد الجنود النازيين المنزوع من قلوبهم الرحمة، بمجرد اقترابه من الفتى رأى المشكلة، الفتي ذو بنيةٍ ضعيفة وملابس مهتوك عرضها، كان جسده النحيل يميل للزرقة ويرتجف بشدةٍ من البرد، خلع معطفه ليعطيه إياه، عاد لمكانه وهو يشعر بالبرد ينخر عظامه



ويسكن أوردته، ومع أول سعلةٍ عرف أن ليلته لم تمر على خير، ولكنه كان كلما رأى ابتسامة الفتى ولونه الشاحب الذي عاد؛ فرح قلبه وشعر أنه فعل الشيء الصحيح.

أتى الصباح وأتى معه عذاب لم يعرفه من قبل، ألم ينخر جسده ويهتك صحته، سعال دموي يلتهم حلقه وصداع مفترس لا يعرف الرحمة يعبث برأسه، قام مترنحًا وحاول التظاهر بالعمل. لكن الجو البارد والمرض اللعين تكاتفا عليه، فلم يشعر بنفسه سوى وهو يجلس أرضًا يحاول جاهدًا التقاط أنفاسٍ أنهكها الألم والمرض، ولسوء حظه ولأن في دنيا الواقع من يفعل خيرًا لا يجازى خيرًا؛ رآه أحد الجنود الملاعين ولم يشعر بنفسه سوى ساقط على الأرض يتعرض للدهس بالحذاء العسكري الخاص به؛ بينما عصاه المعدني يضرب جسده فيؤلمه بقوة، سعل دمًا هبط ليلوث براءة الجليد وقبل أن يصرخ من شدة الألم سمع صرخةً حادة من صوتٍ جاد عميق، على الفور توقف الجندي عن ضربه، نظر للأعلى فوجد شخصًا نحيلًا يبتسم له برقة، قبل أن يمد له يده ليساعده على الوقوف، خلع معطفه وأعطاه إياه قبل أن يمد يده في جيب بنطاله العسكري ليعطيه القليل من الحلوى، عرف عن نفسه أنه الطبيب (يوسف منيجيل، أو العم منيجيل) كما طلب منه أن يناديه؛ ارتاح له قلب الطفل وأخذ منه الحلوى ليلقيها بفمه وهو يبتسم رغم ألمه قبل أن يتجه معه إلى العيادة.



كانت العيادة صغيرة ودافئة، لكنه عرف من الطبيب أنه سيخضع لعلاج طبي سريع، شعر بالدفء يغزو أوصاله والتركيز يعود له، بعدما حقنه الطبيب بمصلٍ أحمر اللون شعر به يحرق عروقه قبل أن يشعر بالدوار، أشار الطبيب لجندي نازي يقف على الباب أن يصحبه الحمام، نام ليلته بمفرده أرضًا في مكانٍ يشبه زنازين الحبس الانفرادي، نام ملتحفًا بغطاءٍ سميك، فشعر بدفءٍ لم يشعر به منذ حين وفي الصباح؛ قبل مقدم الجندي النازي توقظه كي يقابل الطبيب الذي ينتظره.

في عيادة الطبيب قابل العم (منيجيل) الذي مسح رأسه في حنان، قبل أن يقدم له شخص آخر يجلس أمامه يراقبه بأعين قاسية، نحيل ذو شعر ناعم يلقي خصلاته جانبًا، دائمًا ما يهتم بشعره فيلمع بطريقةٍ مرتبة، وجه بارز العظام وأنف معقوف وفم صغير، نازي حتى النخاع وأكثر ما لفت نظر (آيزاك) إليه هو نظرته القاسية، أعين جامدة لا تلتمع بها الحياة، لولا أنه يتحرك ويتنفس لأقسم أنه أمام جثةٍ متحركة.

أعطاه العم (منيجيل) حلواه اللذيذة، فألقاها في فمه وهو يلوكها بسعادةٍ بالغة، يشعر بالنشاط، انحسر المرض من جسده وشعر بالعافية يدب فيه، كان على استعدادٍ أن يهبط للعمل مع زملائه، ابتسم له العم (منيجيل) وهو يقول بصوتٍ خافت: " ما رأيك أن تشترك معنا في تجربةٍ طبية في سبيل تقدم ألمانيا الجديدة".



ابتلع الفتى ريقه بصمت وهو يشعر بالتوتر، ماله هو والتجارب وألمانيا، تم استعباده ليعمل في (أوشفيتز) كيف له أن يساعد في تجارب طبية، لم يصرح فمه بهذه الكلمات إنما صرح بها قلبه وحده، هز رأسه بصمتٍ وهو يترقب ردود فعل الطبيب الآخر الذي عرف اسمه فيما بعد، الطبيب النازي الشهير (سيجموند)، أشار له الطبيب أن يخرج من الغرفة قبل أن يخرج بعده بعدة دقائق، أشار له أن يتبعه ومضى في صمتٍ تام. قطعوا طرقات عدة قبل أن يشير له أن يدخل إحدى الغرف، دلف الفتى فوجد بالداخل ممرضين نازيين يعرفان جيدًا ماذا يفعلون، دلف الطبيب الغرفة التي تليها ليجلس أمام لوحةٍ زجاجية تفصله عما يحدث في الغرفة الأولى، سلم الفتى نفسه للممرضين الذين انهمكا في خلع ملابسه بالكامل، حتى سرواله الداخلي خلعوه؛ حاول تغطية عورته بيديه إلا أنهم منعوه، رفعوا يديه عاليًا و بدأوا يلبسونه زيًا عَرِف فيما بعد أنه زي الطيارين الألمان، لدقائق شعر الفتى بالثقة وهو يرتدي هذا الزي، ألبسوه الزي بالكامل قبل أن يربطوه بعدة حبال موصلة ببكرة رفع عالية وأشاروا للطبيب بعلامةٍ تعني أن الأمور على ما يرام، ابتسم (سيجموند) وهو يضغط زرًا يقبع أمامه، فبدأ الفتى في الطيران، للحظاتٍ شعر بالحرية والحبال التي تحمله تؤرجحه يمينًا و يسارًا، قبل أن يستقر فوق وعاءٍ ضخم مليء بالماء، المثير بالأمر أن الماء يخرج منه ضباب كثيف أبيض اللون، شعر الفتى بالقلق يتسلل إلى قلبه، ولكنه



حاول طمأنة نفسه، بدأ يهبط وبمجرد أن لامس الماء اكتشف فورًا ماهية الطبطاب.

كان الماء مُجمدًا باردًا لدرجة لا يمكن أن يتخيلها مخلوق على الإطلاق، تم غمره بالكامل في الماء البارد، رأسه كان الشيء الوحيد الذي طافيا على السطح ، رأى بعينيه طبيبين يقفان بجوار الوعاء الضخم وبيد كل منهما مجموعة أوراق وقلم؛ منهمكين في تسجيل ما يشاهدانه، حاول الاستنجاد بهما، كانت درجة الحرارة أقل مما يتحمله جسده الصغير، إلا أنهما تجاهلاه تمامًا وكأنه ليس موجود، تجاهلا ألمه و فزعه ووضعا إنسانيتهما جانبًا؛ تناسيا أنهما أمام بشرٍ يشعر ويتألم.

في البداية: كانت الآلام المبرحة، آلام لأول مرة يشعر بها أو يتخيل أنها موجودة، كان يشعر أن الأطراف الحسية الخاصة بنقل الألم تصرخ بفزع، كأن عملاقًا قرر أن يدق جسده بمطرقةٍ حديدية ضخمة، الألم يجتاح جسده، عظامه تئن بقوةٍ ورأسه يكاد ينفجر، يجري الألم في عروقه مجرى الدماء وينبض قلبه بالآهات، يصرخ و لا أحد يبالي، يبكي ولا أحد يهتم. صرخاته كانت تملأ المكان بينما الطبيبين منهمكين في الكتابة وهما يراقبان جسده الذي يتلوى ألمًا، كان يصرخ ويبتهل لربه أن ينقذه، الألم يكاد يصيبه بجنونٍ تام، الآهات تدوي بلا حساب والحياة تزوي في عينيه.



تلاها رغاوي بيضاء شديدة وسميكة اندفعت من فمه بقوة، تارة صحبتها دماء لتلوث الماء للحظات وتارة أخرى هبطت من فمه بمفردها، منعت صرخاته من الانطلاق لكنها كادت تصيبه بالاختناق، سعل بقوةٍ ليركلها خارجًا من جهازه التنفسي، قبل أن يصرخ بألم. ولكنها أبت أن تتركه وحيدًا، فعادت لتهاجمه؛ خرجت من فمه وشعر بها تتسلل من أنفه، صرخ.. تألم.. صلى.. كفر.. ألحد.. عاد للصلاة.. ترجى و تأوه بلا أي رد فعلٍ على الإطلاق، كلا الطبيبين منهمك في الكتابة وبين الحين والحين يميل أحدهما على الآخر ليهمس له، فيهز الآخر رأسه وينهمكان مرة أخرى في الكتابة.

أخيرًا استجاب له الله؛ شعر بالوعي ينحسر عنه، الظلام يهاجمه بينما الألم يقاومه بعنف محاولًا إبقاءه في قمة التركيز، الدوار يخنقه، العالم يدور من حوله، فقد قدرته على المقاومة أو الصراخ، ربما يكون في الماء منذ ساعات وربما منذ أيام، فقد القدرة على تمييز الوقت. شعر بالعالم يدور بعنفٍ والظلام يتسلل ليفرض سيطرته، راقب حربًا شعواء بين الألم وفقدان الوعي، راقب الوعي وهو ينسحب ذليلًا بينما سيطر الظلام على المكان، ولم يعد يشعر بشيء على الإطلاق.

أبى الطبيبان أن يتركاه ليرتاح قليلًا، فأعادا إليه وعيه بعد وقتٍ قليل وبمجرد أن فتح عينيه وبدأ يستعيد تركيزه شعر بألمٍ قارس يهاجم قلبه، كأن أحدهما قرر فجأة أن يعبث بقلبه بواسطة إبرةٍ معدنية حادة



الأطراف، تشنج جسده وجز على أسنانه بعنف، تألم وشعر بالقشعريرة تهاجمه.

انتفض جسده بصورةٍ قوية حتى شعر أن عموده الفقري على وشك الانكسار، تنفس بعمقٍ مرة وبسرعة مرات لكن أيًا من هذه الأشياء لم يساعده، الألم يجتاح قلبه و يعيث به فسادًا وحين صرخ للمرة الأخيرة؛ بدأ يشعر بقرب الخلاص، جذبته الحبال المقيد بها للأعلى، كان جسده ملقى بلا حراك، شعر بهالة ضوءٍ تفتح في السماء وبضوءٍ أبيض يسيطر على بصره وعلى وعيه التام، ابتسم للمرة الأولى.

انهمك الطبيبان في خلع ملابسه وتركاه عاريًا مقيدًا بنفس الحبال ونفس الوضعية، قبل أن يضغط الطبيب النازي (سيجموند) على زرٍّ آخر، فارتفع عاليًا يحلق في الفضاء وعينيه معلقتين بهالة الضوء التي تقترب لتغمر قلبه بالسلام النفسي التام، غمر جسده في حوض ماءٍ دافئ، بدأ الدفء يتسلل لجسده برفق وبدأ يستعيد بقايا وعي أتلفه الألم.

انحسرت هالة الضوء الأبيض بعيدًا، فتح عينيه وقد بدأ يستعيد الرؤية بشكلٍ صحيح، بمجرد أن فتح عينيه وتأملهما حتى أخرجاه من الماء وجففا جسده الذي يرتجف بشدةٍ وبسرعة قبل أن يضعاه داخل كيس نومٍ ساخن، شعر بالنوم يغتصب وعيه فقرر ترك نفسه للنوم، وقبل أن ينام ترك عيناه تمشيان على الأوراق التي وضعها أحد الطبيبين جانبًا فرأي عبارة انحفرت في عقله جيدًا.



*Freezing experiment*

وكتب تحتها بخط واضح

(نسبة النجاح 20 % فقط)

ترك النوم يحتل جسده واستيقظ ليجد نفسه في زنزانةٍ كبيرة
بعض الأشخاص المرضى، علم فيما بعد أن تلك التجربة خضع لها
سجين ولم ينج منهم سوى عدد قليل لا يتجاوز العشرين سجينًا
جميعهم من مضاعفاتٍ خطيرة، ماتوا واحدًا تلو الآخر أمام
وعندما ظل وحيدًا ألقوه هنا في تلك الزنزانة، عرف فيما بعد أنها
للموتى الذي تأخرعنهم القدر، يلقون هنا بقايا التجارب لتموت.

والآن هو ينتظر دوره ويعرف جيدًا؛ متى سيأتي، فهالة الضوء
ببطء هذه المرة لكنه يراها ويعرف أنها تقترب فيطمئن قلبه.



## (( 6- الباويطي ))

الثامنة صباحًا

أحد أيام فصل الشتاء في العام 2016:

كان (محمد) يمسك بيده ثلاث تذاكر للحافة التي ستنطلق في غضون خمس دقائق، (إياد) يحاول التحدث مع السائق ليقنعه أن يتأخر قليلًا في انتظار (فريدة) التي تأخرت كعادتها، أمسك السائق كوبًا من الشاي الساخن وسيجارة مشتعلة وهو ينفث دخانها في وجهه، شعر بالضيق لكنه آثر الصمت كي ينال مراده، وبالفعل أخبره السائق أنه يستطيع الانتظار ولكن لمدة عشر دقائق فقط، اتصل بها (محمد) للمرة العاشرة. لكنه سمع رسالة صوتية من الشركة حائرة لتخبره أن هاتفها ربما يكون مغلقًا أو غير متاح، أيهما أقرب!

وضع هاتفه في جيبه بغضب وهو يتأمل السيارات وسيارات الأجرة علّه يراها، ربت (إياد) على كتفه وهو يحاول طمأنته أنها ستأتي؛ إلا أنه لم يكن متأكدًا مما يقول، كانت ليلة صاخبة، أبوها غير مقتنع أن تغيب عن المنزل لعدة أيام وهي تحاول إقناعه بشتى الطرق.



سهرا يتحدثان هاتفيًا حتى الفجر. يؤلفان الحجج و يُحكمان الخطط، فكر أن أباها قد منعها من الخروج أو أنها سقطت فريسة لنوم عميق، نظر في ساعته، خمس دقائق فقط هي ما تبقى، حينها ظهرت سيارة أجرة تمشي بسرعةٍ عالية قبل أن تقف بصخبٍ أمامه، خرجت من السيارة وهي تعطي السائق أجرته بارتباك، نظرت له وعينها تحملان نظرة اعتذار قبل أن يمسك بحقيبتها ويعدون نحو الحافلة، رآهم السائق فسحق باقي سيجارته المسكينة تحت قدمه وهو يزفر دخانها في الهواء، أعطوه التذاكر فمزقها بلا مبالاة قبل أن يصعدوا للحافلة في سرعة.

زفر بعض الركاب بارتياحٍ حين بدأت الحافلة بالتحرك فالرحلة طويلة للغاية، خمس ساعات بأكملها سيقضيها الركاب ملتصقون بمقاعدهم، ثلاثمائة وستون كيلو مترًا سيقضونها سجناء هذا الوحش المعدني المتحرك لحين الوصول، وصل الثلاثة لمقاعدهم أخيرًا، بالطبع سيجلس العاشقان بجوار بعضهما البعض. أما (إياد) سيء الحظ ، فجلس بجوار شخصٍ مرح يظن أن نكاته المضحكة ستجعل زميله في الرحلة يخر صريعًا من كثرة القهقهة، كلما وضع سماعات هاتفه المحمول خلعها جاره ضاحكًا مطلقًا (قفشاته) الكوميدية التي تخترق قلب(إياد) لتؤلمه. بينما حاول (محمد) الإمساك بيد (فريدة) وهو يحاول طمأنتها بعد أن رأى بعينيها قلقًا بالغًا، أمسك يدها برفق فسحبتها بعيدًا ووجنتها تحمر خجلًا، تظاهرت أنها تخرج منديلًا من حقيبتها، ابتسم برفق وكأن قلبه



تدعها أن تتدلل كيفما تحب، فمصيرها محتوم. سيجمعهما سقف واحد قريبًا.

سألها برفق عن سبب تأخرها، فأجابته بدلال أن المشكلة في أبيها، صمت قليلًا، رباه.. كم يشعر بالغضب من هذا الرجل، برغم حبه لها وعشقه لكل تفاصيلها.

كان هذا هو الشيء الوحيد الذي ينغص عليه حياته، الشوكة التي تقف في حلقه كلما تذكر أن هذا الرجل سيصبح جد أولاده ، سألها بهدوء بالغ : "ماذا فعلتِ؟"

ابتسمت وهي تخبره: " أخبرته أن هذا أسبوع تدريبي مهم تابع للكلية حتى أستطيع أن أتم تخرجي".

"اقتنع بمثل هذه السهولة؟"

ابتسمت في خجلٍ، وتورد وجهها فزاد بهاؤها وهي تقول: " أخبرته أن الكلية ستعطينا مكافأة؛ ألفًا من الجنيهات و أنني سأعطيها له خالصة مقابل أن يسمح لي بقضاء هذا الأسبوع بعيدًا".

ابتسم لدهائها وابتسمت لحبه، نظر في عينيها؛ شعرت بوجنتها تحمر، أمسك يدها برفق، تدللت بخجل، حاول أن يقبل يديها إلا أن صوت (إياد) وهو يناديه أخرجه من بين طيات تلك اللحظة الرومانسية، نظر له فوجده يستنجد به وعينيه تحملان من الهلع أطنانًا، ابتسم له بشماتة



وهو يتجاهله بينما جاره يطربه من النكات القميئة وهو يبتسم له بخجل محاولًا تحمل الموقف، مرت حوالي الساعة حينما غفت برفق كالملائكة على كتفه، تحول لتمثالٍ لا يتحرك كي لا يقلق منامها، نجح (إياد) أخيرًا في التخلص من جاره اللزج وهو يضع سماعات هاتفه في أذنه؛ محاولًا عدم الالتفات له كي لا يعيد منولوجاته السخيفة.

شعروا بالحافلة تتوقف، فاستيقظت من نومها وملائكة الرقة تتراقص في عينيها. بينما تحتل البراءة وجهها؛ شعرت بالخجل لأنها تنام على كتفه، قالت بصوتٍ رقيق: " أعتذرلك عن نومي على كتفك".

ابتسم لها وهو يخبرها: "النوم لا مشكلة فيه، لكن الغطيط هو المشكلة".

ضربته على كتفه برفق وهي تبتسم؛ بادلها الابتسام في رقة وهو يخبر (إياد) أنهما سيهبطان في الاستراحة لتناول كوبان من القهوة، سأله إن كان يريد شيئًا فهزرأسه نافيًا، هبط (محمد) وهو ينظرفي ساعته ليجد أن الوقت مر سريعًا بجوارها، ها هم ثلاث ساعات لم يشعر بهم، بعد بضع دقائق تحركت الحافلة مرة أخرى، وهذه المرة لم يمروقت كبيرحتى بدأت بشائر الواحات تظهر، كان (محمد) يعرف أن محطة الوصول هي (الباويطي) وهي العاصمة.



توقفت الحافلة أخيرًا في المحطة المخصصة للوصول، نظر (محمد) في ساعته وهو ينتظر السائق أن يفتح لهم الباب المخصص للحقائب والأمتعة. الساعة الآن الواحدة والنصف ظهرًا، تأخير نصف ساعة ولكنه في حدود المقبول، أمسك (إياد) بحقيبتين من الطراز الضخم. بينما حمل (محمد) بأخرى أضخم منهما، خرجوا من باب المحطة وأخرج (محمد) هاتفه وهو يتصل برقمٍ ما، قبل أن يقول بغموض: " وصلنا، نحن في انتظارك".

نظر له (إياد، وفريدة) بفضول، من يعرف في الواحات، ثم من هذا الذي ينتظره مسبقًا، ابتسم (محمد) و هو يرى آلهة الفضول تتقافز في عينيهما، ابتسم قبل أن يقول لهما: " الآن ستعرفان".

لم يمر الكثير من الوقت، قبل أن تقف أمامهم سيارة دفع رباعي بيضاء اللون يقودها شاب وسيم أسمر البشرة. خلع النظارة الشمسية التي تغطي عينيه، قبل أن يسأل بلهجة بدوية: " أستاذ محمد".

هز (محمد) رأسه، فابتسم الشاب وهبط تاركًا باب السيارة على مصراعيه وهو يفتح الباب الخلفي ليدلفا إليها (إياد، وفريدة). بينما جلس (محمد) على المقعد المجاور وانهمك الشاب بوضع الحقائب بداخلها وهو يدلف إليها ليقودها بسرعة معتدلة؛ قائلًا بلهجة بدوية: " أهلًا. أهلًا. بأهل القاهرة الكرام، الواحات سعيدة باستقبالكم".



ابتسم (محمد) قائلًا بود لا نفاق فيه: " الواحات جميلة وأهلها كرام".

التفت (محمد) ليواجه (إياد، وفريدة) المفتوحة أفواههم ببلاهة بالغة قائلًا، وهو يحاول كتم ضحكاته: "هذا هارون، دليلنا هنا وسيقود بنا السيارة إلى المكان المنشود".

التفت إلى (هارون) قائلًا: " أتحب أن تعرفهم بنفسك أم أعرفك أنا؟"

ابتسم (هارون) وهو يرفع نظارته للمرة الثانية لترقد على شعره المصفف بعناية قائلًا: " أنا هارون، بالطبع هذا ليس اسمي الحقيقي، مهنتي التهريب وليس هناك من يحفظ دروب الصحراء وخباياها مثلنا. ارتاحوا قليلًا فلن نصل قريبًا، لن نستطيع سبر أغوار الصحراء في النهار، سنكون كالنقطة السوداء في الثوب الأبيض".

قال (إياد) بتهكم: " ما شاء الله ، مهرب بدرجة فيلسوف".

ابتسم (هارون) قبل أن يقول: " المهرب الذي أمامك هذا خريج كلية الآداب وقارئ نهم، لكن لا علاقة للدراسة بالمهنة، هذه مهنتي ومهنة أجدادي".

سأله (محمد) بفضول: " ألا تخاف أن نبلغ عنك أو نعطي الشرطة أرقام سيارتك؟"



نظر له (هارون) وسأله بجدية بالغة: " و هل تعتقد أن ضباط الداخلية الكِرام لا يعرفون المهربين؟"

صمت (محمد) بينما انشغل (إياد) بالعبث في هاتفه المحمول، وأخذت( فريدة) تتأمل الشوارع بصمت؛ راجين من الله أن يمر الوقت سريعًا فالحماس لا يعرف الانتظار.

***

شعر بالسيارة تتوقف، لكنه كان أسير النوم فلم يعط الأمر جل تركيزه، لكن ضربة خفيفة من (هارون) انتشلته من بحور النعاس، فتح عينيه برفق ليجد أن الظلام يسيطر على المكان بأكمله، صحراء جرداء موحشة اصطبغت بلونٍ أسود مقبض زادها رعبًا، توجس قلبه خيفة خصوصًا، وأنه تجول بعينيه للحظات فلم ير أثرًا للمصحة، نظر لـ(هارون) الذي كان يمسح وجهه بمنديل في إرهاق، (هارون) يقود السيارة منذ وقت طويل ، المسافة صغيرة لكن الطريق طويل ، يجب أن يخوض طرق محفوظة مسبقًا كي لا يهاجمهم (الدواعش) على حد تعبيره.

شعر بـ(إياد) يستيقظ بدوره؛ بينما (فريدة) تغط في نومٍ عميق، لكزة من ذراع (إياد) أعادتها من نومها لدنيا الواقع، تأمل الثلاثة الصحراء في



خوفٍ قبل أن ينظروا لـ(هارون) بدهشة، ارتدى نظارة طبية يرونها للمرة الأولى، وهو يقول: " إلى هنا تنتهي رحلتنا".

اعتدل (محمد) على مقعده بغضب، وهو يقول: " لم نتفق على هذا، اتفاقنا كان على أن نهبط أمام باب المصحة".

"لا يا صديقي، تلك المنطقة المشؤومة لن تطأها قدماي مهما فعلت".

"لم تقل هذا منذ البداية يا رفيقي".

"لا تقال كل الأمور على الملأ يا محمد، هيا اهبطوا فطريق العودة أمامي طويل".

"سأزيدك من الجنيهات ألفًا".

"لن أتحرك خطوة للأمام ولو أعطيتني كنوز الدنيا، هيا اهبطوا، حقيبة السيارة مفتوحة، تناولوا متاعكم وأغلقوها جيدًا".

هبطوا من السيارة صاغرين دون نقاش وقلوبهم ترتجف هلعًا، كانت الرياح تعوي بوحشية والبرد يسيطر على الأجواء سيطرة تامة؛ حاول التسلل إلى أجسادهم، حاول الدفء مقاومته بخجلٍ قبل أن يخسر المعركة تمامًا، رفعوا متاعهم، حمل كل منهم حقيبة قبل أن يتحركوا



...اه (هارون) الذي أشار لهم بيده للأمام وهو يقول: " تحركوا للأمام مباشرة، لا تتحركوا يمينًا أو يسارًا".

هزوا رؤوسهم و هم يبدأون الحركة، قبل أن يرحل قرر أن يعطيهم نصيحة أخيرة، ففتح زجاج النافذة قليلًا وهو يرفع عقيرته بالنداء: " احذروا الذئاب".

هز (إياد) رأسه محاولًا استيعاب الأمر وهو يتساءل بخوف: " سنأكل ذئاب؟، لقد قال هذا، أليس كذلك؟"!

قالت (فريدة) بصوتٍ مرتعش: " ذ... ذئاب ، قال احذروا الذئاب، م ... محمد"!!

انتفض (محمد) من البرد، قبل أن يغلق معطفه وهو يبدأ بالتحرك محاربًا شراسة الرياح، تحرك عدة خطوات وهو يحمل الحقيبة الأكبر قائلًا: " هيا نتحرك، الهدف المتحرك يصعب اصطياده بينما الهدف الثابت فريسة سهلة".

تحركوا جميعًا في سرعةٍ خلفه كيلا يفقدوا أثره في الظلام، وبخطواتٍ خائفة وقلوبٍ مرتعشة؛ بدأت رحلتهم بداية غير مبشرة بالخير على الإطلاق.



***

من بعيد وبأعين بدأت تتأقلم على محاربة الظلام؛ بدأت ملامح المصحة تظهر من بعيد، وخيالات الرعب والفزع ترسم أشنع كوابيسهم حولها، الريح تصفر في آذانهم وضربات قلوبهم تطغى على الموجودات، رعشات الخوف تختفي وسط قشعريرات البرد، فيرتبك الجسد وسط عدة أحاسيس لكن سرعان ما يحسم أمره.

الخوف.. إذا حضر الخوف توارت بقية الأحاسيس جانبًا في خجل تراقبه وهو يفرض سطوته بقسوة.

تسارعت خطواتهم و زادت مقاومة أجسادهم للرياح وأمام باب المصحة توقفوا، نصف البوابة مدفون في الرمال تمامًا، من المستحيل فتح الباب بهذا الشكل، لابد من الحفر جيدًا وبشكلٍ دائري حول الباب كي يستطيعوا محاولة فتحه، لا جدوى من المحاولة إذا كان الأمل مفقودًا، فحينها سيصبح الأمل درب من الجنون، توقفوا ورموا حقائبهم أرضًا وفردوا ظهورهم في ألم، كانت (فريدة) هي أكثرهم تعبًا، بنيةٍ رقيقة وجسدٍ نحيل وعقلٍ خائف؛ بينما كان (إياد) يحاول تمطيط جسده بقوة، نظر لهم (محمد) في يأسٍ وهو يسألهم: "و العمل؟"

نظرا له و أعينهما لا تحمل أي إجاباتٍ على سؤاله على الإطلاق، نظر له (إياد) وهو يقول: " هناك حل، ولكنه غير أكيد".



أشار له (محمد) وهو يحاول إغلاق معطفه؛ راجيًا القليل من الدفء: أي حل الآن مهما كانت درجة جنونه مطلوب".

تأمل (إياد) المبنى الضخم، وهو يقول: "في إحدى الصور؛ رأيت بضع نوافذ: لماذا لا نجرب حظنا، علنا نستطيع المرور من أحدها؟"!

حمل (محمد) حقيبته، وهو يقول: " فكرة جيدة وتفكير سديد، هيا بنا".

بدأوا يتحركون بجوار الحائط الخارجي باحثين عن النوافذ، لم يمضِ وقت طويل حتى وجدوا إحدى تلك النوافذ، ولكنها بقليلٍ من الفحص كانت مغلقة بقوة، تحركوا مرة أخرى، فوجدوا شقيقتها تحذو حذوها؛ بدأ اليأس يتسلل إلى قلوبهم ليحتلها، للحظاتٍ أغلق اليأس أي بابٍ مفتوح للأمل، وصبغ الدنيا بالسواد أمام أعينهم.

ثمانية نوافذ مغلقة

التاسعة كانت مفتوحة بعض الشيء، صرخ (محمد) في فرحٍ دون أن ينتبه للصحراء التي رددت صرخته بوحشية، أخرج العتلة من حقيبته بسرعةٍ، وهو يحاول معالجة النافذة، فتح نصفها على الأقل، الأمر الذي سمح له بالنظر بداخلها لكن الظلام قابله بوجهٍ عابس، أخرج مصباحه المحمول وأنار أمامه، فلم يجد سوى صالة الاستقبال تنتظره فارغة تمامًا.



أخرج رأسه وهو يحمل حقيبته ويلقيها بالداخل، تبعتها حقيبة (إياد)، مد يده لـ(فريدة)، لكن الهلع الذي يتراقص في عينيها حال بينه وبين الحقيبة، كانت تنظر خلفه ونظرة الهلع لا تحتاج أي تفسير، هناك ما يخيف يقف خلفه، أدار رأسه ببطء ليقابل زوج الأعين أحمر اللون الذي يراقبه بشراسة، ذئب ضخم البنية مشعث الشعر أحمر العينين؛ يفتح فكه بشراسة. بينما يرقص الموت متلهفًا بين أنيابه، لا يفصل بينه وبين الذئب سوى عدة أمتار، بخفوتٍ أشار لـ(إياد) إشارة فهمها الأخير، تحرك ببطء كي لا يستفز الثائر المرعب الذي ينتظر إشارة لبدء الهجوم، أمسك (إياد) بيد (فريدة) وهو يساعدها على الدخول للمصحة، دلفت للداخل وألقت بجسدها على الحقائب التي امتصت الصدمة فحمتها شر السقوط؛ تبعها (إياد) ببطء، ولم تمر سوى لحظات حتى أصبح بالداخل، أما بالخارج فبدأت الأمور تتوتر، تحرك الثائر الشرس للأمام قليلًا، حاول (محمد) الوصول لحقيبة (فريدة) إلا أنه شعر بالغدر فتركها وهو يشعر بالغضب. مهمتهم لم تبدأ بعد وها هو يخسر ثلث معداته، بسرعة مد يده لـ (إياد) الذي ساعده على الدخول في اللحظة الأخيرة، قبل أن يهاجمه الذئب الذي عوى بشراسةٍ وغضب؛ ناعيًا فريسته التي هربت من أمامه بسبب بطء حركته، لو لاحظ (محمد) قدميه الخلفيتين اللتين يجرهما خلفه بانكسار؛ لما ضيع هذه الحقيبة. لكنه للأسف لم ير سوى فكًّا مفترسًا وأعينًا حمراء. يبدو أن سيارةً صدمته، فكسرت عظام قدميه الخلفيتين بقسوة.



بمجرد أن جذب (إياد) يد (محمد) وسقطا بقوةٍ على الأرض، وقبل أن تتاح لهما الفرصة للوقوف مرة أخرى؛ سمعا صوتًا عنيفًا يتردد من بعيد، لم يفهما ماهيته؛ إلا بعد فوات الأوان. كانت الآن ستائر حديدية صلبة تهبط لتغطي كل النوافذ والأبواب، المداخل والمخارج لتعزلهم جميعًا عن العالم الخارجي.

ابتلع (محمد) ريقه بصعوبة، وهو ينظر لـ (إياد) بخوفٍ، قبل أن تهتز إضاءة المصباح الذي تأثر بالصدمة التي خلفها السقوط، قبل أن يلمح حركة خافتة من خلف (إياد) الذي التفت في فزعٍ شديد، ثم مات المصباح المحمول تمامًا ليتركه فريسة للفزع والهلع الذي يعتصر قلوبهم اعتصارًا.



## ((7 – 128164))

بعد عدة أيام لم يحصها أحدهم، وحين هدأت الأمور قليلًا؛ بدأ زميل (آيزاك) يقص قصته بهدوء، شاب أبيض البشرة مستدير الوجه، يكلل وجهه شعر أشقر ناعم وأنف يميل للضخامة وأعين انكسرت بها معاني الحياة، ذو طولٍ متوسط وجسد يميل للبدانة قليلًا.

كانت حياته هادئة للغاية في قرية (شيميرنيكي) البولندية، إلى أن اعتقلت القوات الألمانية ما يقارب الألف من سكان تلك القرية، قرية بولندية تعيسة، كان والده صانع أحذية ماهر؛ بينما والدته خياطة لها باع طويل وسمعة حسنة، دربته أمه جيدًا ليصبح خياطًا، ترك البيت قبل مداهمة القوات النازية؛ ليلتحق بعملٍ يبعد حوالي الأربعة أميال عن قريته، التحق بالعمل في مزرعةٍ كبيرة يملكها أحد الأثرياء، قبل أن تؤممها منه قوات الأمن الخاصة وبالتبعية وجد (جوزيف) نفسه يعمل تحت إمرة ضباط القوات الخاصة، في أحد أيام شهر مايو للعام 1943؛ قام بعض العمال بشبه تمردٍ صغير، سحق قبل أن تبدأ شرارته الأولى، رغم أن الأمور كانت على ما يرام إلا أن عقابهم كان قاسيًا للجميع.

أجبروهم على الوقوف في طابورٍ طويل وتفريغ جيوبهم بالكامل، أخبروهم أنهم سيفتشونهم ذاتيًا، من وجدوا بجيبه ولو (زلوتي) واحد



بعدها تم إعدامه ضربًا بالرصاص أمام الجميع بلا رحمة، بعدها تم ترحيلهم جميعًا لمعسكر (مايدانيك) الذي يبعد عن المزرعة ما يقارب الخمسة عشر ميلًا، كان معسكرًا للتعذيب بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، هناك تم إجبارهم على الزحف لما يقارب الخمسمائة مترًا، غير مبالين بظهورهم التي أدماها السلك الشائك المنخفض أو الألغام التي انفجرت في كثيرين، زحفوا تحت تهديد السلاح، بعد أربعة أسابيع رأى فيها العذاب الخالص أنواعًا وأنواع؛ تم ترحيله لمعسكر(أوشفيتز) .

في الصباح الباكر وصلوا إليه، كان عددهم قليلًا هذه المرة، الكثيرون لم ينجوا من الجحيم، هناك أجبروهم على خلع ملابسهم والاستحمام بشكلٍ جيد للغاية، إزالة الشعر الزائد في كل مناطق الجسد، وقبل أن يرتدوا ملابسهم؛ تم وشمهم بأسمائهم الجديدة، منذ تلك اللحظة كان اسمه ( 128164 )

أصبح رقمًا!

تسلموا أسرّة جديدة في عنبر نومٍ مزدحم، بضعة أشهر قضوها بين عذابٍ وعمل؛ تم ترحيلهم لقضاء بعض الوقت في معسكرٍ فرعي قريب للغاية يدعى معسكر(بونا)، عملوا هناك لوقتٍ قليل قبل أن يلمح حقول الطماطم، حمراء يانعة تلتمع عليها قطرات الندى، كان يتم تجويعهم



بشكلٍ وحشي، تسلل لأحد الحقول وسرق بضع حبات. حاول تخبئتهم بملابسه من أجل إطعام زملائه. فكانت النتيجة أن تم القبض عليه و ضربه بقسوة ووحشية بالغة.

تم نقله لمشفى قريب، وهناك تعلم قاعدةً جديدة: أمامك أربعة أيام لتستعيد عافيتك أو تساق لغرف الغاز.

تعافى بسرعةٍ وبشكلٍ مذهل، وتم نقله إلى (أوشفيتز) مرة أخرى، كان سنه حوالي العشرون، وسيم الخلقة ومتوسط الطول، وبرغم أنه عاد معافى إلا أنهم لم ينسوا له خطأه، فتم اقتياده لغرف الغاز، وقف في طابور المنتحبين يسمع أنات وآهات وصلوات؛ إلا أنه لم يكن يهتم. إذا عاش المرء يومًا كالميت؛ تموت في قلبه خشية الوفاة فيضحى أسدًا شرسًا لا يهاب شيئًا. لاحظه شخص يزين وجهه ابتسامة صغير يتجه نحوه، تأمل الندوب التي أحدثها الضرب بجسده، وتأمل قامته لوهلةٍ قبل أن يمد يده في جيبه ليعطيه بعض الحلوى، كان كبيرًا بعض الشيء على تناول الحلوى إلا أنه كان جائعًا بشدةٍ، فأكلها بلهفةٍ وسرعة وهو يشكر الرجل في حذر، ساقه الرجل خارج الطابور وعرفه بنفسه، الطبيب (منيجيل).

جلس أمامه في غرفةٍ صغيرة يستمع لموسيقى هادئة لا يعرف كنهها، انهمك (منيجيل) في العبث بخزانته قليلًا، وجد ضالته أخيرًا، أمسك الملف الورقي وأشار للفتى بابتسامةٍ هادئة أن يتبعه، وبدون نقاشٍ تبعه الفتى ومشي خلفه حتى وصلوا إلى نهاية الممر، أشار له أن يجلس و



بانتظاره. بعد وقتٍ قليل سمع الباب يفتح؛ فالتفت ليواجه الباب وهناك وجد طبيبًا آخرًا يبتسم بشدة وهو يراه قبل أن يشكر الطبيب (منيجيل)، لم يفهم ماذا سيفعلون به، كل ما عرف أنه في غضون وقتٍ قليل: تم خلع ملابسه والقيام بفحصٍ طبي سريع عليه قبل أن يسجوه على فراشٍ صغير: يعطونه مخدرًا من نوعٍ لا يعرفه ويطلبون منه العد من عشرة إلى واحد بشكلٍ تنازلي، وصل إلى رقم أربعة قبل أن يداهمه النعاس تمامًا.

***

استيقظ الفتى ببطء وهو يشعر بالألم يجتاح جسده، رقبته وكتفه الأيمن يؤلمانه كالجحيم.. خدر هائل يجتاح نصف جسده، يشعر كالمخدر لكن ذهنه صافٍ، هناك شيء ما خاطئ، لكنه لا يستطيع تحديده. صفاء ذهنه يحاول جاهدًا مقاومة هجمات المخدر وعينيه تحاولان سبر أغوار الرؤية المشوشة، أغلق عينيه و مد يديه كي يمسح بهما على وجهه، شعر بنصف وجهه الأيسر فقط ، يده بالفعل تمشي عليه وتمسحه لكن نصف وجهه الأيمن لا يستجيب، فكر أنه مصاب بشللٍ نصفي أو أن هناك مانعًا ما يمنعه من الإحساس. فتح عينيه بفزعٍ، لكنه شعر بالفزع الأكبر حينما رأى ذراعه الأيمن ملقى جانبًا لا يستجيب لأوامر جسده، لا يتحرك.



بعث له برسائلٍ و أوامر عقلية مرة تلو الأخرى، لكن الأخير رفض الاستجابة تمامًا، لم يمر الكثير من الوقت قبل أن يكتشف أن قدمه اليمنى ترفض هي الأخرى الاستجابة و تتضامن مع ذراعه، وقع الآن في حيرةٍ و ذهنه المشوش يمنعه من ملاحظة الأمر الأهم، حاول أن يقدح زناد فكره كي يجد حلًّا لتلك المعضلة، آخر ما يتذكره هو ذكرى ضبابية عن عملية لخدمة (ألمانيا) لكنه لا يذكر تفاصيل، بدأ ذهنه يستعيد مشهدًا لا يعرف من أين أتي، قناع أوكسجين يحاصر وجهه ويبث بمجرى تنفسه مخدرًا من نوعٍ خاص، الهدوء يحاصره والنوم يأمره فيستجيب، هناك صوت عميق يأتي من بعيد؛ يعد بشكل تنازلي. لكن النوم فرض نفسه سلطانًا فلم يشعر بشيء، عاد من قلب الذكرى لمنتصف الأزمة، قبل أن يزفر بضيقٍ وهو يشيح بوجهه ناحية اليمين، ولكنه توقف ليحملق بما يرى غير مصدق.

"يا إلهي الرحيم"!

هتف بها بخوفٍ، وهو يتأمل الرأس الغافي على كتفه الأيمن، هناك رأس يغفو سعيدًا وقد نبت من جسده، شعر بالفزع يجتاحه فصرخ بقوة، لاحظ أن الرأس يتململ وكأن الصرخة أزعجته وأقلقت منامه، وضع يده اليسرى على فمه وهو يكتم أنفاسه، تأرجح الرأس الغامض لبرهةٍ قبل أن يفتح عينيه ويتأمل الفتى ويتجول على جيده لفترة، قبل أن يقول بصوتٍ مختنق متحشرج: "ما الذي حدث؟"



لم يرد الفتى، بل شعر بالألم عندما تحدث الرأس، سيكتشف فيما بعد أن الألم لم يكن بسبب الكلام وإنما كان بسبب أن الرأس الآخر وأعصابه الحسية التي تم توصيلها في نخاعه الشوكي؛ بدأت تكتشف حركاتها الجديدة وتعطي الأوامر للاستكشاف، رحلة استكشافية قصيرة كان الهدف منها معرفة الجديد وكان نتاجها أن الرأس الغريب يتحكم باليد اليمنى والقدم اليمنى فقط ، كالمستعمر الذي هبط دون مقدمات في يحتا نصف الجسد؛ فارضًا نفسه دونما أي اهتمامٍ بمالك الجسد الأصلي، فُتح الباب ودخل طبيب ما يتأمل الجسد ذو الرأسين المسجى على فراشٍ طبي، وهو يبتسم ويقول: "إذًا فقط استيقظتما؟"

نظر له الرأسان بدهشة، وهو يقترب ليكشف الرباط الطبي الذي يلتف حول رقبة الرأس الجديد ليري مدى تقدم حالة الجراحة، كان الجرح قد قارب على الشفاء.

لكن من المهم ألا يتحرك الرأس أو الجسد حركات عنيفة كي يتم الالتئام، سحب كرسي وجلس عليه قبل أن يقول بهدوء: " أنتما نتاج تجربة لو نجحت؛ ستحدث ثورة في عوالم الطب والعلم، عملية زراعة رأس في جسدٍ آخر".

سأل الفتى بصوتٍ مختنق: "لماذا؟"



شعر بالرأس الغريب يتأمله لكنه تجاهله تمامًا، كأنه غير موجود وكأنه يؤمن بالأسطورة التي تقول أن الشيء الذي سنتجاهله لفترةٍ من الوقت سيختفي تمامًا، لكن الواقع لا يمتثل لكلام الأساطير، تأمله الرأس. يشعر بأنفاسه الحارة تخزوجهه، يشعر بحركته كأنما تسلبه جزءًا من روحه، لا يصدق أن هذا الرأس فرض سيطرته على نصف جسده، شعور غريب وقميء.

تأمله الطبيب لقليلٍ من الوقت، قبل أن يقول: " لا حق لك أن تسأل".

شعر الفتى بالغضب، فتحرك بقوةٍ ليواجهه وهو يقول: " ولكن يحق لك أن تزرع بي رأسًا لا أعرف عنه شيئًا ؟!، يحق لك أن تسلبني حق التحكم في نصف جسدي؟"!

سمع الطبيب كلماته، قبل أن يقول بفضول: "ماذا تقصد؟"

أجابه بحنقٍ وهو يشعر بالألم يعاقبه على حركته المفاجئة العنيفة: " أقصد أنني فقدت التحكم في نصفي الأيمن، أترى"!

صاحب هتافه بحركةٍ عشوائية ليده وقدمه اليسرى؛ دونما أي حركةٍ تذكر في النصف الأيمن. فحصه الطبيب بفضولٍ لقليلٍ من الوقت، قبل أن يسأل الرأس بحماس: " هل تتحكم فيهما؟"



أمال الرأس موافقًا، فابتسم الطبيب وهو يشير لأحد الجنود أن يدخل الطبيب الجرح الذي نزف دماءه معترضًا على الحركات التي يأتي بها الرأسان، وأن يضع لهما طعام و مياه حتى يعودا لهما، تجاهل نظرة الطبيب التي ينظر بها الرأسان لبعضهما البعض مؤقتًا، وهو يخرج ليقابل الطبيبين المشرفين على هذه التجربة، الطبيب (منيجيل) و الطبيب (سيجموند).

***

طرق الباب برفق قبل أن يسمع صوتًا واثقًا يعطيه الأمر بالدخول، فتح الباب ودلف وقبل أن يغلق الباب؛ شد جسده بقوة وهو يعطي تحية عسكرية للجالسين بداخل الغرفة، أغلق الباب وتأملها، صغيرة لكنها أنيقة، مفروشة بذوقٍ ينم عن رقي غير معتاد، حوائط بيضاء وأرضية نظيفة للغاية تعلوها أرائك جلدية بنية اللون تبدو مريحة للغاية، يتوسطها مكتب ضخم يجلس خلفه الطبيب (منيجيل)، الشيطان الجميل كما يُعرف و يبدو أن هذا الاسم لا يحبذه كثيرًا، لكنه يحب أن يلقب بملاك الموت، كان ملاك الموت يجلس ليتصفح أحد الكتب بينما هناك عدة أوراق بيد (سيجموند) الذي يبدو متحمسًا وهو يخط بعض



الأشياء، عدة كتب مغلقة وأخرى مفتوحة، يبدو أنهما بصدد خلق تجربة جيدة. تنحنح بقوةٍ فلاحظاه، أشارا له أن يجلس قليلًا. جلس يتأمل كأس (الفودكا) الذي يبع أمام (منيجيل) وكأنه يناديه لكنه أدار وجهه ليتأمل المكتبة الضخمة التي تحتل حائطًا بأكمله. كان يعرف أنها بحد ذاتها تحمل أبحاثًا وكتبًا قد تصنع ثورة كبيرة في عالم العلم، لكن كل شيء بأوانه. شيئًا فشيئًا؛ سيكشف (منيجيل) عن جنونه و عبقريته النادرة لحفر اسمه وسط عباقرة العالم.

أنهيا همسهما قبل أن ينظرا إليه، ابتسم وهو يقول بصوتٍ خافت: " هناك تطور جديد في تجربة زرع الرأس".

تحولت نظرة الفضول لنظرة اهتمامٍ يلتمع في عينيهما وهو يستكمل حديثه: " الرأس الجديد فرض سيطرته على نصف الجسد، يتحكم بالذراع اليمنى والقدم اليمنى".

نظر (منيجيل) لـ (سيجموند) قليلًا، قبل أن يقول له: " هل فعلت شيئًا مختلفًا عما كُتب في أوراق التجربة؟"

شعر (سيجموند) بالخوف قليلًا أمام نظرات (منيجيل) الصارمة، وهو يقول: " كما تعلم حضرتك، كان المتن العلمي لهذه العملية يزيد عن المائة طبيب وممرض واستنزفت قوانا بالكامل؛ لذا حاولت إتمام الأمر على أكمل وجه، قمت بوصل الأوعية الدموية في العنق والأعصاب



المجاري التنفسية، لكن بدلًا من وضع المريض في غيبوبة قد تستمر لمدة شهر قمت بشيء ما؛ حاولت زرع أحد الأعصاب الحسية بالنخاع الشوكي المجسد".

ابتسم (منيجيل) وهو يقول: "حسنًا فعلت، لولا فضولك العلمي ما كنا سنكتشف هذا الاكتشاف".

أراح (منيجيل) ظهره علي كرسيه وهو يغلق عينيه و يتنهد بعمقٍ، قبل أن يقول: " هل تعرفان أهمية هذه التجربة بالنسبة لألمانيا الجديدة؟"

بالطبع، كان كلاهما يعرف لكن أحدهما لم يجرؤ على النطق، لو استطاعا أن يمنعا نفسهما من التنفس في حضرته لفعلا، لحظات صمتٍ مرت قبل أن يقول بصوتٍ هادئ: " تخيلا معي أن أحد العلماء المهمين أو القادة العسكريين توفي؛ سيكون في استطاعتنا أن ننقذ عقله، ليس جسده، لا نحتاج الجسد الآن، الجسد مات لكن العقل لا يموت؛ سنقوم بزرع الرأس بجسد أحد الأشخاص الذين لا يهمون العالم في شيء، مجرد رقمٍ جديد يضاف لتعداد العالم، و بهذا نستطيع حماية أفكاره العظيمة وعبقريته النادرة من الزوال ونبدأ معها رحلة جديدة، رحلة علم وحياة لألمانيا الجديدة، هكذا سنضمن ألا نفقد أحد المهمين في سبيل تقدم ألمانيا النازية".



هزا رأسيهما باستحسان وأثنيا على حسن تفكيره وتصرفه، قبل أن يسأل الطبيب الصغير رتبة وسنًّا: " ولكن لماذا زرعنا الرأس بجوار الرأس الأصلي، لماذا لم نزرعه بدلًا منه".

نظر له (منيجيل) بقسوة، فسرت بجسده قشعريرة باردة قبل أن يقول: " لا نعرف الطريقة التي نفعل بها هذا الأمر، كما أن هناك عدة أسئلة لا نملك إجابتها، هل سيسمح الجسد للرأس بالتحكم فيه؟ هل سيستطيع الرأس التحكم في الأجهزة الهضمية والعصبية للجسد".

صمت قليلًا قبل أن يتابع: " و لكن الآن بفضل الفضول العلمي للطبيب (سيجموند): قطعنا نصف المسافة بوثبةٍ هائلة وأعتقد أننا قريبًا سنجرب هذا الأمر، أريدك الآن ألا يغيبا عن نظرك، أريد تقريرًا كل ثلاث ساعاتٍ يحوي كل حركة وكل كلمة و كل نفس يتنفسونه، انصراف".

وقف الطبيب مؤديًا التحية العسكرية، قبل أن يغادر الغرفة عائدًا إلى معمله، وقلبه يرتجف من النظرة القاسية التي منحها له الطبيب (منيجيل).

ملاك الموت.

***



مر اليوم بقسوةٍ على صاحب الجسد الأصلي، تخيل أن يأتيك ضيفًا ثقيلًا ليفرض نفسه عليك ولا يغادر بل يتصرف كصاحب البيت!. تخيل أن يفتح ثلاجتك و يأكل من طعامك و يستحم بحمامك و يتبول في إناء طعامك!

حسنًا؛ تخيل أن يفرض نفسه عليك ضيفًا ثقيلًا؛ ليحتل نصف جسدك بلا أي استئذان منك، بل ويتحكم به دونما احترام لك. الأمر ثقيل للغاية. وصاحب الجسد الأصلي بدأ يشعر بالغضب والضيق بطريقةٍ لم يشعر بها من قبل، مر اليوم بصعوبة.

فكرة وجود رأسٍ بجوراه؛ تحتل كتفه وتتحكم بيده اليمنى فكرة مزعجة، لم يستطع النوم خائفًا من أن تتسلل اليد اليمنى أثناء نومه لتكتم أنفاسه وتنهي حياته البائسة. طبعًا تمنى كثيرًا أن تنتهي حياته عند هذا الحد، ويكفي ما رآه من بؤسٍ وفقرٍ وذلٍّ في هذا العالم، لكن فكرة أن تقتله يده دونما إرادة منه، كانت فكرة مرعبة.

كان النوم يأسره لعدة دقائق قبل أن يجذبه الخوف والفزع لعالم الاستيقاظ، كغيبوبة إرهاق أسَرَت جسده، تارة يستيقظ يتأمل الرأس الساقط نائمًا دون أي حركة وتارة أخرى يسلبه النوم حقه في التأمل، فيغرق في بحار النوم مستسلمًا، و أتى الصباح حاملًا بداية فصلٍ جديد في حياته، كان يشعر بالإرهاق نتيجة نومه المتقطع وكذلك لأنه ينام جالسًا، لا يستطيع الاستلقاء بعد؛ إلا حينما يلتئم الجرح، تأمل بغضبٍ



الرأس لكنه يشعر أن هناك جزءًا ما مفقود، هذا الإحساس يلازمه منذ الأمس لكنه اكتشف أنه فقد السيطرة على نصف جسده، والآن يشعر به مرة أخرى، لوهلةٍ أتته فكرة مفزعة فشعر بالخوف وهو ينظر عن يساره لكن الله خيب ظنه وأراح قلبه، لم يزرعوا له رأسًا آخرًا يسلبه الحق في نصف جسده الأيسر، حرك يده اليسرى برفق فتحركت؛ أتاه خاطر ما فشرع في تنفيذه.

وضع يده اليسرى تحت أنف الرأس يختبر تنفسه، وكما توقع لم يجد أي هواءٍ يدخل أو يخرج، حاول التحرك لكن قدمه اليمنى رفضت، سقط جسده أرضًا بقوة مفزعة، فُتح الباب ودلف الجندي بسرعةٍ يتأمل الذي يحدث، حمله بمساعدة زميله وهو يبعث بإشارةٍ استدعاء للطبيب، أتى الطبيب بسرعةٍ وهو يتأمل الموقف قبل أن يقدر الخسائر.

تصرف بسرعة محاولًا تدارك الموقف ومحافظًا على ما يمكن إنقاذه، تصرف خاطئ وسيعرف هذا بالطريقة الصعبة، في مثل هذه الحالات عليه أن يلجأ لغرف الغاز، أن يمحو من الوجود أي أثرٍ للتجربة الفاشلة، لكن الإنسانية تحكمت في الموقف بأكمله.

بمشرطه الحاد ودون تعقيم ودون أي إجراءات طبية؛ بدأ يفك الغرز عن الجرح، هذه المرة لن يجر عملية جراحية، هذه المرة سيزيل شيئًا وبمكواته الحادة سيغلق كافة الأوردة والأوعية الدموية ريثما يتسنى لهم إعادة العملية. لكنه الآن يخشى علي الجسد، لم يهتم بتعقيم نفسه أو



أدواته. خاطر بكل شيء من أجل الإنسانية فقط. تأرجح الرأس لكنه أزاله بهدوء وأغلق كل الأوردة المفتوحة وخاط الجرح مرة أخرى دون أي اعتبار.

دخل (منيجيل) للغرفة يتأمل الموقف الذي يجري، كان الطبيب قد أنهى إزالة الرأس، نظر له (منيجيل) بغضبٍ للمرة الثانية ودون أي حديث: أخرج مسدسه وهو يفجر رأسه قبل أن يقول للجندي - الذي خاف أن يمسح الدم المتناثر على وجهه - أن يحرق الرأس و يلقي بالفتى في الزنزانة صفر الآن لحين رؤية نتيجة ما قام به هذا الطبيب الأحمق.

الزنزانة صفر أو زنزانة الموتى هي زنزانة المحكوم عليهم بالموت، زنزانة نتاج التجارب الفاشلة.

***

أنهى الفتى كلماته وهو يكشف كتفه ليرى (سامي) جرحًا بدأ يتعفن و تنبعث منه رائحة كريهة، قبل أن يقول بصوتٍ هادئ: " مع الوقت بدأت أستعيد سيطرتي على قدمي اليمنى، لكن ذراعي قد توفاه الله".

ابتسم بهدوء وهو يعيد ضمادة بدائية امتلأت بالدماء الداكنة وتفوح منها رائحة الموت، قبل أن يقول بابتسامةٍ منكسرة: " والآن أنتظر الموت



هنا وحيدًا وبداخلي ذكرى لن أنساها أبدًا، ذكرى رأس قد عاش معي يومًا لكنه ترك في نفسي أثرًا سيدوم العمر كله".

ابتسم له الفتى بتوترٍ، وهو يفكر في شقيقته التي تناساها مؤقتًا ليخوض غمار مغامرتين في وحشيةٍ لم يكن يتخيل أنها موجودة. سأل نفسه بفزع: ترى ما مصيرها. لكن شيئًا بداخله أخبره أنها بخير حتى الآن. يشعر بالموت قادم لكن ليس الآن.

لم يحن وقت ملك الموت حتى الآن. فالآن ملاك الموت يطل مبتسمًا فارضًا نفسه على الوحشية ملكًا لا منازع له.



## ((8- جدران الدم))

في الظلام تخلق الكوابيس، ولكن في الضوء الخافت تتجسد أشنع كوابيسنا لتلتهم اطمئناننا النفسي، لذا كان من حسن حظهم أن التيار الكهربائي قد اختار هذا الوقت تحديدًا؛ حين شعروا بحركةٍ خافتة في الغرفة ليتوارى جانبًا سامحًا للظلام بفرض سيطرته، أبشع تخيلاتهم كانت ستطاردهم حين يروا الحركات الخافتة وسط الإضاءة التي تتلاعب بهم.

أم أن حظهم السيئ هو ما سمح للتيار بالانقطاع في هذه اللحظات؟

اقتربوا من بعضهم البعض في تلقائيةٍ غريزية تمامًا، وشهقوا حين لامست أجسادهم بعضهم البعض، اجتمعت أجسادهم لتكون شكل مثلث مرتعش، كل منهم يلامس ظهر زميليه، حتى الفتاة تناست في عوالم الظلام المرعب أن عليها ألا تمسهم لكنها استسلمت للخوف تمامًا. ساد الصمت وأرهفت الآذان لتنصت، لكن الحركة الخافتة اختفت تمامًا، الصوت الوحيد كان صوت قلوبهم التي تدق بجنون وأنفاسهم التي تتسارع رويدًا رويدًا.



بدأت الأجساد تهدأ لكن العيون أبت أن تتعود على الظلمة الصارخة التي حبسوا بها، لا وجود لأي حركةٍ ولا صوت لأي شيء، قال (إياد) محاولًا طمأنة نفسه قبل طمأنتهم: " ربما كان ساترًا حديديًا، تأخر عن اللحاق بباقي السواتر".

إلا أن جملته زرعت بذور الهلع في قلوبهم بدلًا من أن تطمئنهم قليلًا، هو نفسه شعر بالأمر فابتلع لسانه على الفور، في حضور الظلام تناسوا أمر السواترِ الحديدية التي حبستهم هنا، مكان مظلم مجهول وستائر حديدية لا مناص منها، التربة الخصبة للرعب الخام!

أخيرًا: تحرك (محمد) ضاربًا مصباحه براحة يده ليبث أضواءه المذبذبة مرة أخرى، لكنها ضعيفة تحتضر. لن تحتمل الكثير؛ لذا حاول التصرف بشجاعةٍ مرجحًا كفة العقل على كفة القلب الذي يرتعد خوفًا، مشى يبحث بسرعةٍ بمصباحه الضعيف عن منبع الكهرباء في هذا المكان، لم يمر الكثير من الوقت حتى وجدها، لوحة عملاقة بها عشرات المقابض الصغيرة وكلها تنكس رأسها في حزن، اختار أحدها وقام برفعه فعاد التيار الكهربائي ينير مكانًا صغيرًا، و بحماسٍ قام برفعها جميعًا كي تنير المصحة بأكملها، المصحة التي تحولت لسجنٍ صغير يضمهم جميعًا، أطفأ مصباحه المحمول قبل أن ينظر إليهما وكأنه يراهما للمرة الأولى.

(فريدة) القصيرة ذات الجسد الضعيف، رقيقة وفي رقتها أنوثة، جميلة وفي جمالها تتفجر أسمى معالم الهوى لتصيب قلبه في مقتل،



عينان واسعة تتألق بنبض الحياة وأنف دقيق يزيد ملامح الوجه الأبيض جمالًا. تلف كل هذا الجمال في حجابٍ رقيق يخفي شعرها البني اللامع أيضًا.

بجوارها (إياد) متوسط البنية يميل للبدانة قليلًا. طويل القامة، عريض المنكبين. يعاني من بروزٍ صغير يسمّى (الكرش) لكنه فخور به ويعتبره أحد أفضل أصدقائه. شعر أسود متوسط الطول وعينان عسليتان يغلب عليهما السواد.

(محمد) كان قوي البنية طويل القامة. جسده رياضي ممشوق وعيناه قويتين كالصقر. شعر أسود قصير يحيط بوجهٍ تغلب عليه ملامح الرجولة الصادقة. توجه إليهما ورفع حقيبته عن الأرض وبدأ يفرغها.

كاميرا جديدة بها خاصية التصوير الفوتوغرافي و تصوير مقاطع الفيديو؛ مدعومة بكارتٍ للذاكرة تتجاوز مساحته المائة جيجا. و جهاز لاسلكي لا يعرفون ماهيته. لكنه شرح فيما بعد أنه جهاز تقصي الحركة والذي سينبئهم عن طريق صافرة حادة؛ أن هناك من يقترب منهم مهما كانت حركاته خافتة. بضع أوراق وأقلام للكتابة وتدوين الملحوظات. بضع (شماريخ) للإضاءة الليلية الطارئة والاستنجاد. حقيبة إسعافات أولية صغيرة. وأخيرًا مسدس صغير الحجم وبضع صناديق ذخيرة صغيرة. أنهى توزيع المهمات عليهما و بدأوا يتأملون المكان من حولهم.



غرفة واسعة بها بضع مقاعد للانتظار ومكتب قديم يحتله الغبار، خلفه كرسي متحرك وثير ملقي بإهمال ينام على جانبه منبوشة أحشاءه، لوحات ملونة تحوي مناظرًا طبيعية خلابة لو تم تنظيفها لنالت إعجاب الجميع، طاولة قهوة مهشم زجاجها تقف وحيدة، وقد انفضت من حولها بضع مجلاتٍ، كانت قد وضعت عليها لتزجية وقت المنتظرين، المكتب مفتوحة أدراجه منهوبة حواشيها، الأرضية مليئة بالغبار تحتاج لمهمة تنظيف عاجلة، هناك باب مغلق خلف المكتب عليه إشارة أن دخوله لا يجوز؛ إلا للعاملين بالمكان ويبدو من تصميم المكان أنها غرفة أمن،

سلم دائري يصعد للطابق الثاني، وباب صغير بأسفله معلق عليه مثلث أحمر اللون يحمل إشارة الخطر، و باب آخر يواجهه منعزلًا دون سلم يعلوه يقف وحيدًا مواربًا يدعوهم للدخول، بينما باب المصحة الرئيسي ونوافذ هذه الباحة أغلقت جميعًا رافضة أي نقاش.

كانت الخيارات محدودة للغاية، إما أن يسبروا أغوار الباب الموارب ليروا ماذا يحمل لهم.

وإما أن يدلفوا للغرفة الأمنية لعل النظام الأمني يكون لا يزال يعمل، وتنقل لهم الكاميرات صورة المكان،

وإما محاولة فتح الباب الذي يحوي علامة الخطر مغلقًا على نفسه.



نظر (محمد) لـ (إياد) نظرةً فهمها (إياد) جيدًا، ودون حديث أشار له أن يرووا باب الغرفة الأمنية في البداية، مشى (محمد) إليه وتبعه (إياد) تتبعه (فريدة)، لم يحب (إياد) أن يكون في نهاية الصف قبل النساء لكن عددهم فرض عليهم هذا الترتيب، وقف (محمد) أمام الباب المغلق بعد أن أبعد الكرسي الدوار المائل بضربةٍ من قدمه ووقف يفحص جهاز البحث عن الحركة الذي أنبأه أن الأمور على ما يرام، لا أحد يتحرك هاهنا، أنتم بأمان.

مد يده للمقبض الدائري وحاول تحريكه يمينًا ويسارًا لكنه أبي أن يستجيب، نظر(محمد) لـ (إياد) أخبره : " إنه مغلق".

ابتسم (إياد) ساخرًا، وهو يقول: " في ظروفٍ أخرى، كنت سأنبهار من شدة عبقريتك وحسن استنتاجك للأمور. لكن الأمر الآن لا يحتمل".

لكزته (فريدة) في ظهره، فتمتم بشيء على غرار: " من سيشهد العروس".

أخرج (محمد) من جيبه سلكين معدنيين، وانهمك في محاولة إقناع الباب أن يفتح، لم يمر الكثير من الوقت حتى سمع الجميع صوت (تكة) مميزة تخبرهم أن الباب قد فُتح، قالت (فريدة) بضحك: " يبدو أنني أحب لص منازل، حسنًا لقد تم تأمين مستقبلي".



فتح (محمد) الباب وهو يشهر أمامه، لكن غرفة الأمن كانت غرفة صغيرة فارغة تمامًا، عدة شاشات صغيرة ماتت منذ حين وجهازيّ كومبيوتر وطاولة صغيرة عليها كوب من القهوة هاجمه العفن وآخر سكب على أحد لوحات التحكم وتهشم أرضًا، مصباح ضخم معلق في سقف الغرفة. بينما في الركن تقبع عدة مكانس ذات أيدٍ خشبية، وضع (محمد) مسدسه على الطاولة وانهمك في خلع العصي المعدنية ليناول أحدها لـ (إياد) الذي تأملها في دهشة وهو يقول: " لقد اخترت لي السلاح الوحيد الذي تخشاه الأشباح، عصا خشبية نحيلة".

صمت للحظة، قبل أن يقول وهو يحمل عصاه بشكلٍ استعراضي: " انتبهي يا أشباح القطط ، فقد أتى أصحاب المكانس".

أتته ضربة خفيفة علي مؤخرة رأسه من (فريدة) التي تسلمت عصاها وهي تقول: " هل هذا وقت مزح؟"

قال بسخريته المعهودة: " يبدو أنه وقت المسح".

تأمله (محمد) بضيق وهو يقول: "أنت تمزح و نحن حبيسي مكان لا نعرف متى سنخرج منه، أشعر أنك لست على القدر الملائم من المسؤولية".




قال (إياد) بجدية: " هل من الأفضل أن أشعر بالتوتر والضيق، وأن أمشي بينكم أنوح وأندب حظي السيئ ، أم من الممكن أن أمزح قليلًا لكي لا أشعر بالتوتر؟"

نظر (محمد) لـ (فريدة) رافعًا كتفيه وهو يقول: "وجهة نظر جيدة".

انتهوا من الغرفة الصغيرة وتبقت غرفتان، إحداهما مفتوح بابها خلفه مكان لا يعرفونه والآخر مغلق جيدًا، كانوا أمام اختيارين صعبين، هل يسبروا أغوار الغرفة المفتوحة أم يكتشفوا: ما الذي تخفيه المغلقة؟

اختاروا أن يروا المفتوحة أولًا، تحركوا إليها بنفس ترتيبهم، (محمد) يمسك بيده جهاز الاستشعار لكنه لا يقرأ أي وجود لأي حركة، ركل (محمد) الباب بقدمه برفق وانفتحت الغرفة، وقفوا أمامها ذاهلين وهم يتمنوا لو أنهم لم يفتحوها، بل لو أنهم لم يأتوا هنا من البداية.

***

يبدو أن تلك الغرفة كانت غرفة الأطباء، استراحتهم ومكان نومهم والمكان الذي يقضون به الوقت

كانت!

الغرفة الآن عبارة عن...



الأمر صعب الوصف، حسنًا لنحاول!

غرفة واسعة بها سرير صغير في أحد الأركان، لكنه الآن مقلوب وهيكله المعدني ملوث بدماءٍ حمراء قانية، حشيته الإسفنجية ملقاة جانبًا ينقصها جزء كبير من هيكلها، الصدمة كانت في آثار الأسنان التي تحيط بها، إما أن أحدهم حاول أكلها أو أنه حدث له أمر شديد السوء فعض عليها بأسنانه كي لا يصرخ، الجدران مغطاة بالدماء تمامًا، آثار أيدي يبدو أنها كانت تحاول الهروب، عشوائية تامة في آثار الأيدي تحيط بالجدران، الأصابع مسحوبة راسمة بدماءٍ خريطة من أكثر الخطوط العشوائية التي ستراها بحياتك، كلها كانت تحاول الهروب، معطف أبيض خاص بطبيب: مشقوق بشكلٍ طولي وحشي ومغطى بالدماء بأكمله، تلفاز صغير مهشمة شاشته وحامله مكسور، لكنه يؤدي مهمته بنجاح حتى هذه اللحظة، الأريكة الوثيرة منهوشة أحشاءها بشكلٍ بشع وممزق جلدها بوحشيةٍ طاغية، المنضدة التي تحمل إناء الشاي الكهربائي، مهشم تحتها عشرات الأكواب الزجاجية. بينما إناء الشاي الكهربائي يبدو أنه كان موصول بالكهرباء حين دخلوا، صفر في إلحاحٍ منبئًا إياهم أنه قد انتهى من مهمته، بعد (تكة) صغيرة صوتها مسموع: بدأ الصفير في الهدوء قليلًا، مشى (إياد) للإناء ببطء وهو يفتحه ويتأمل السائل الموجود بداخله قبل أن يشير لـ (محمد) وهو يضع كم قميصه على أنفه، تحرك



(محمد) ببطء ليتأمل السائل الذي يغلي بداخله، كانت تلك هي المرة الأولى الذي يرى فيها الدم المغلي!!

حاولت (فريدة) الاقتراب إلا أن إشارة جادة من (محمد) وهو يغلق الإناء ويحاول كتم أنفاسه؛ أعادتها عن تفكيرها فوقفت مكانها تشعر بالفزع. تأمل (إياد) الغرفة من حوله وجدران الدم التي تحاصرهم، الهشم الذي ألم بكل الموجودات، صبغة الموت التي يرونها بوضوح وملك الموت الذي من الواضح أنه كان في مهمة عمل هنا!

حاول (محمد) تهدئة نفسه وإياهم، فقال بهدوء: " لا وجود لجثث، هذه علامة صحية".

أجابه (إياد) بانفعال يغلبه للمرة الأولى: " فعلًا، لا وجود لجثث لكن هذه ليست علامة صحية، هذه علامة خطر، يبدو أنهم لم يموتوا هنا، ولكن لن يوجد هناك وصلة أخرى من التعذيب الدموي في مكان آخر؟"

تمتمت (فريدة) بصوتٍ مرتجف: " هل تعتقدان أن أحد المرضى النفسيين الخطرين قد قام بهذا الأمر؟"

صمتت قليلًا قبل أن تتابع: " أو أن أحد البدو المحيطين بالمكان يستغله للقيام بعمليات قتلٍ وتعذيب؟"



تأمل (محمد) المكان قبل أن يقول بصوتٍ غلبه الخوف هذه المرة فخرج مرتعشًا محملًا بالقلق: " لا يبدو لي أنها أعمال شخصٍ عاقل، هذا نتيجة عمل شخصٍ مريض نفسي أو على الأقل أنا أميل لهذا الاختيار".

قال (إياد): " يجب أن نخرج من هذا المكان؟"

نظر له (محمد) بهدوء قائلًا: " هل تعرف مكانًا للخروج؟ وهل رأيت ما يمنع الاستمرار؟ دماء قديمة جافة في غرفة مهجورة، اخشوشن قليلًا".

ابتلع (محمد) رأيه وخوفه وآثر الصمت قليلًا، التفتوا ليواجهوا (فريدة) لكن عينيها المعلقتين بالسقف ونظرة الهلع التي تتراقص في مقلتيها ووجهها الشاحب أجبروهما على التوقف قليلًا، قبل أن يلحظوا عينيها المعلقتين بالسقف، رفع كل منهما عينيه ببطء شديد إلى السقف، سقطت قطرة دماء طازجة على وجه (محمد) الذي تجاهلها وهو يقرأ تلك الجملة التي كُتبت بالدماء منذ فترة ليست كبيرة، دماء بشرية طازجة، وجملة واحدة نحتت الهلع في قلوبهم نحتًا.

(( عليكم أن تبتسمـــوا،

لقد اقتربتم من حتفكم خطوة للتو))



تجمد الجميع يراقبوا الجملة التي خطها شخص ما على السقف، لكن السؤال الأهم الآن هو كيف تمكن من الكتابة على السقف؟ كيف تمكن من الوصول للسقف والكتابة بهذا الخط المنمق الجيد؟

نظر (إياد) أخيرًا لـ (محمد) وهو يقول: " يبدو لي أننا وجدنا سببًا مقنعًا للرحيل من هنا".

هز (محمد) رأسه موافقًا، وهو يتحرك ليمسك بيد (فريدة) المسكينة التي تجمدت هلعًا ليخرجها من الغرفة و يغلق الباب جيدًا، أمسك أحد الكراسي الخشبية ووضعه مائلًا بصورةٍ تمنع أي شخص من محاولة فتحه من الداخل، أو أي شيء!!

بمجرد أن خرجوا للباحة: سمعوا صفيرًا تنبيهيًا يصدر من جهاز استشعار الحركة، تجمدوا أماكنهم وهم ينظرون تجاه السلم الذي كشف عن قدمين معروقتين مليئتين بالدماء تهبط السلم في بطء واثق، وقبل أن يظهر الجسد الذي تحمله تلك الأقدام المرعبة: انطفأ الضوء تمامًا وسمع الجميع صوت صراخ (فريدة) الحاد قبل أن تسقط أرضًا، وقد رفض جسدها استكمال المهمة، لكن هذا ليس الصوت الوحيد الذي سمعوه!

للأسف!



## ((9-يومالوف النويكي))

عندما وصل (يومالوف) إلى معسكر (أوشفيتز) كان شهر أكتوبر للعام 1934 على وشك الانتهاء، الصقيع يحاصر الجميع والبرد يأكل أجسادهم أكلًا، صغيرًا لا يفقه شر الدنيا وبريئًا لا يخشى مكروهًا، ولد (يومالوف) في قرية (نويكي) في مايو عام 1930 لأب لم يره، توفي والده عام 1934 وتحديدًا في شهر أغسطس، أي قبل ذهابهم لـ (أوشفيتز) بحوالي شهرين وبالتالي أمسكت أمه بزمام الأمور، كان الأب يملك محلًا صغيرًا يبيع فيه مستلزمات الخيول، رفضت عشرات عروض الزواج مخلصة لابنها الوحيد ولذكرى زوجها الذي توفي للتو.

مارست العمل في محلها الصغير لمدة لا تتجاوز الشهر قبل أن يتم ترحيلهم جميعًا إلى (أوشفيتز) وبكميات كبيرة، تشير السجلات إلى أن عدد السجناء في العام 1934 من النساء فقط تجاوز العدد الثمانية عشر ألفًا، ركبت سيارة الترحيلات الخشبية وهي تمسك يد ابنها الوحيد بقوة، كانت تراقب الطريق بثبات، جامدة دون أي رد فعل عكس العشرات من النساء رفيقات الرحلة اللاتي انهمكن في الصراخ والعويل



والبكاء، وسط غابة من الهمهمات والنواح؛ وجدت كلماتها طريقًا لأذني ابنها: " يومالوف، لا تتركني".

هز الطفل رأسه ورغم أن عمره لم يتجاوز الأربعة أعوام إلا أنه شعر بالمسؤولية تجاه أمه. كان يعرف أنها حزينة رغم محاولتها إخفاء الأمر، لكن العيون دائمًا ما تكشف نوايا صاحبها، و برد فعل غريزي أمسك يدها و ضغط عليها بقوة، وكأنها تستمد منه القوة أو يستمد منها هو القوة، المهم أنهم معًا.

أخيرًا وصلت السيارة الخشبية إلى (أوشفيتز)، محتشد الموت ومعسكر التعذيب، سمعوا عنه أساطير لا تحصى وحكايات يشيب لها الولدان، لكن جدرانه الرمادية بعثت في قلبها قشعريرة باردة، علمت وقتما رأت المعسكر أنها ستموت هنا. لاحظ (يومالوف) أنها تربت على بطنها بانتظام وكأنها تطمئن على شيء، سيعرف فيما بعد أنه إرث أبيه لها، الشيء الوحيد الذي سيحمل جزءًا منه بعد وفاته.

نزلوا من السيارة قفزًا؛ بينما أبت ألا تهبط إلا بهدوء ورفق، توجه لها أحد الجنود وكاد يضربها بعصا غليظة لكن صوت أغلظ منعه، اقترب رجل نحيل واثق الخطى وعينيه تنبضان بالهدوء، ربت على رأس (يومالوف) برفقٍ وهو يخرج حلواه الشهيرة، رفض الفتى بأدبٍ بالغ لكنه هبط على ركبتيه أمامه وابتسم له، فض غلافها وهو يعطيها للولد الذي تسللت عيناه إلى أمه تبحثان عن نظرة رضا أو هزة رأس موافقة فوجدها



تبتسم له. تناول الحلوى ولاكها ببطء و كأنه لا يريدها أن تنتهي، وقف الرجل وتوجه لأمه.

كان ذكيًا، لاحظ يدها التي تربت على بطنها بهدوء، لاحظ رفضها للقفز من العربة والرفق الذي هبطت به ولا حظ ملابسها السوداء الواسعة ونظرتها الحزينة. وقف يتأملها للحظاتٍ، قبل أن يقول بصوتٍ هادئ غزته الثقة: "متى توفي؟"

نظرت له وقد فرت دمعة من عينها لتسيل على وجنتها برفق وهي تقول: " أقل من شهرين".

سأل مرة أخرى: "متى علمت أنك حامل؟"

نظرت له بذهولٍ، وهي تتساءل كيف عرف، لاحظ نظرتها، فابتسم بصوتٍ خافت. أجابت: "منذ أسبوعين".

نظر الرجل إلى الجندي وبصوتٍ واثقٍ قاسٍ أمره بأن يقود كل تلك النساء إلى غرف الغاز، تعالى العويل والصياح، تعالت الشتائم وطالت الألسن، انهالت على رأسه اللعنات وطاردته الدعوات الشريرة لكن أيًا من هذا لم يغير موقفه، أمسك بيد الصبي وهو يعطيه قطعةً أخرى من الحلوى ويقوده مشيرًا لها أن تتبعه؛ مشت خلفه بضع خطوات قبل أن يقول لها: "ما اسمكِ؟"

"إيما".



"حسنًا يا إيما، لدي صفقة جيدة ستعجبكِ".

"ما هي؟"

"لا تقلقي، كلٌّ بأوانه، الآن علينا أن نهتم بكم قليلًا، وأن نمنحكم العناية اللائقة بكم".

***

كان عرضًا بسيطًا ولا يحتمل الرفض، ستتم رعايتها طوال فترة حملها رعاية كاملة، صحية ونفسية وجسدية، سيتم الاهتمام بها وبابنها، سترى الراحة كما لم ترها من قبل، كان هذا هو جزءهم من الاتفاق.

وبصراحة

نفذوه على أكمل وجه، طاقم كامل من الممرضات رعاها بشكلٍ لم تكن تتصوره، أهذا هو معسكر (أوشفيتز)، معسكر الموت الذي تحاك عنه أحلك الأساطير شناعة! فطور ساخن وقيلولة هادئة وحمام منعش وعشاء فخم، كان هذا روتين يومها إلى أن أتى يومها الموعود، أميرها الصغير سينير حياتها ودنياها ويخرج للوجود ليزيد حلا الدنيا وجمالها.

صرخ الصغير قلقًا محتجًّا على إخراجه من مسكنه الهادئ إلى دنيانا الصاخبة، حمموه وأعطوه لها وبجواره وجبة ساخنة لكي تتماسك قليلًا.

أخيرًا، وبعد أسبوعٍ من ولادتها، تم نقلها و بصحبتها ولديها (يومالوف) والصغير الرضيع (فريدريك) غرفتها الجديدة كانت صغيرة هادئة ومرحة للنفس، أخيرًا أتت ممرضة ما وأخبرتها أن الأطباء يريدونها بمفردها قليلًا وأنها ستجلس لرعاية الصغار، رفضت ولكنها تذكرت الاتفاق، هم نفذوا جزءهم والآن عليها أن تنفذ جزءها.

وبلا أي اعتراض!

قادها أحد الجنود إلى غرفة الطبيب (منيجيل) دخلت فرأته جالسًا على مقعده مبتسمًا وأمامه يجلس طبيبًا شابًّا نحتت القسوة علاماتها على ملامحه الشابة، نظر لها بأعين يشتعل بها الجنون، فتجاهلته ونظرت لـ (منيجيل) الذي كانت قد عرفته بحكم متابعته لحملها بين الحين والآخر وبالطبع بسبب (يومالوف) الذي طالما تكلم عن (العم منيجيل) الذي طالما دعا لله وأعطاه الحلوى الشهية. أشار لها أن تجلس فجلست خائفة، عضلات جسدها مشدودة، منغلقة على نفسها، يظهر على بشرتها الشحوب وعينيها تبرزان بقوة بينما تزداد معدلات تنفسها، تحاشت الأعين القاسية الخاصة بالطبيب الشاب، وهي تنظر أرضًا لطرف السجادة التي تعبث بها بطرف حذائها.

أخيرًا قرر (منيجيل) قتل التوتر؛ سائلًا بصوتٍ هادئ: "ما أخبار صغيرك؟"



صمت قليلًا، قبل أن يضيف بلهجة تساؤلية: "فريدريك؟"

هزت رأسها بتوترٍ إيجابًا، قبل أن تتمتم بخفوت: " بخير حال، أشكرك سيدي على سؤالك".

ابتسم، وقال محاولًا فك جليد خوفها: "هل أنت سعيدة بالرعاية التي قدمت لكِ؟"

للمرة الأولى تشعر أن حلقها جاف وأن الكلام يهرب من بين شفتيها، تحدث الطبيب القاسي بصوتٍ جاف قائلًا: " بالطبع أكثر من سعيدة، أين كانت ستجد مثل هذه الرعاية ، يعيشون كالخنازير في بلادهم الفقيرة الـ...."

قاطعه (منيجيل) بهدوء: "هل سألتك؟"

قال بارتباك أمام نظرة (منيجيل) القاسية: " ولكن، أنا أق.."

ابتلع باقي كلماته وآثر الصمت، وإن كان لم ينس أن يحدجها بنظرةٍ قاسية مليئة بالغضب وكأنها السبب، في الحقيقة (منيجيل) كان مثالًا ممتازًا للجنون، تارة يحرقهن وتارة يرعاهن رعاية شاملة ودون إبداء أي أسبابٍ أو مبررات.

تجاهلت نظرته، وهي تهز رأسها إيجابًا على تساؤله، ابتسم (منيجيل) وهو يقول: " ستنتقلين أنت وأطفالك إلى قسم الطبيب (كلاوبيرغ) هناك



ستخضعين لتجربة بسيطة لمدة قصيرة، وبعدها سنطلق سراحك لتذهبي حرة طليقة".

هزت رأسها وهي تنظر بخوفٍ لـ (كلاوبيرغ) الذي يتصارع الجنون والقسوة في عينيه، وإذا اجتمع الجنون والقسوة في شخصٍ واحد؛ ذاق منه العالم العذاب ألوانًا!

***

في الحقيقة؛ لم يكن قسم الطبيب (كلاوبيرغ) أكثر غرابة من قسم (منيجيل) قسم هادئ للغاية لكنها بالطبع لم تكن تجد نفس الرعاية ونفس الاهتمام، افتقدت التدليل للغاية، فهي أنثى والأنثى خلقت لتدلل.

وضعوها بغرفةٍ صغيرة بها سرير صغير لـ (يومالوف) وكان (فريدريك) ينام بين أحضانها، مر حوالي الأسبوع بهدوء، كانت حصتها الغذائية هنا أقل من هناك، لكنها وللأمانة كانت تتسلمها في مواعيد ثابتة وبحرصٍ بالغ، بعد الأسبوع أتتها ممرضة لتصحبها لمقابلة الطبيب (كلاوبيرغ) مشت خلفها في خوفٍ بينما (يومالوف) صغيرها الخائف أبى أن يتركها، أمسك في طرف ردائها، بكى .. صرخ.. ارتمى أرضًا وتظاهر بالموت، وأخيرًا سمحوا له بمرافقتها مكرهين، وصلت للمعمل وعندما رآها الطبيب (كلاوبيرغ) صرخ بهم معنفًا إياهم على وجود (يومالوف) هنا، لكنه قبل



أن ينهي صراخه صمت.. صمت تمامًا وابتسم، أمرهم بربط الصغير بكرسيه والحرص على ألا يتحرك، وأن يكون في بقعةٍ مناسبة للمشاهدة وبالفعل أطاعوا أمره.

أمرها أن تتعرى؛ شعرت بالخجل خصوصًا في وجود ابنها يراقب، كانت تقف في غرفةٍ بمفردها ومن خلف لوحٍ زجاجي يجلس ثلاثة من الأطباء يراقبونها، لا تعرف منهم سوى (كلاوبيرغ) القاسي، بدأت تخلع ملابسها قطعة تليها قطعة، وبينهما ستار ضخم من الخجل والتردد، ولكنها سرعان ما وقفت عارية كيوم ولدتها أمها؛ حاولت أن تغطي صدرها بيد وبين فخذيها باليد الأخرى، كان جسدها يرتعش في خجلٍ بينما عينيها معلقتين بقوةٍ على عينيّ ابنها، يبكي وهو يحاول أن يفك رباطه لكن الملاعين قيدوه بقوة، صغيرًا لم يتجاوز الثلاث سنوات لكنه يعرف أن شيئًا مهينًا يحدث، بدأ ينوح بطريقة تقطع القلوب لكن القلوب المصنوعة من حجر لم تتحرك، فتح باب صغير ودخل منه ممرضتان وجندي يحمل طاولة، قيدوها إلى الطاولة منحنية بحيث يكون فرجها مواجهًا للحضور، بكت بقسوة من عجزها، من انتهاك الآخرين لجسدها لكن أيًا من هذا لم يهم ولن يغير من الأمور شيئًا، خرجوا وتركوها مقيدة وبعد قليلٍ سمعت صوتًا اقشعر له بدنها، حاولت أن تلتفت في خوفٍ لكنها لم تقدر، الصوت يتعالى ويقترب وهي لا تستطيع أن تلتفت وجسدها يرتجف بخوف، بينما (يومالوف) تساقطت عبراته على وجنتيه بكثافة



وهو يرى هذا الثور الضخم البنية الذي يتطلع لأمه بشبق، ثورًا أسود اللون ضخم الجثة ويخور بعنف قبل أن يقف على قدميه الخلفيتين ويستعد، يستعد لهتك عرض أمه أمام عينيه، أغلق عينيه بقوة وكأنه يحاول إغلاقهم للأبد، لكنه لم يستطع أن يغلق أذنيه عن سماع صرخات أمه.

كانت تصرخ بينما يجتاح الثور جسدها وبقوة لم يحتملها جسدها المسكين، تمنت أن تفقد الوعي بينما الثور الهائج يمارس معها الجنس وبوحشية لا مثيل لها، عضوه الضخم يخترق أحشاءها مرة تلو الأخرى بينما ثقل جسده يكاد يكتم أنفاسها، رائحة أنفاسه، عرقه اللزج، رائحة جسده، حركاته العنيفة، عضوه الذي يخترقها، حوافره التي تدك ظهرها دكًا، خواره اللعين وأخيرًا انتهى الثور من ممارسته وأتت لحظة النشوة، قذف منيه بداخلها، شهقت وهي تقيء بعنف، الثور يخور بقوة ومنيه يحرق جسدها من الداخل، أنفاسه.. عرقه.. رائحته.. خواره، وأخيرًا منيه قبل أن يجتاح الظلام الغرفة بأكملها، فقدت الوعي ولكنها عاشت التجربة القاسية كاملة، كانت تشعر بالإعياء والقرف لذا لم تقاوم، تركت الظلام يسيطر على كل شيء.

***



استيقظت وهي تشهق في هلع، اعتدلت تلقائيًا لتجلس على فراشها لكن جسدها عاتبها بقسوة، كمية الألم التي نتجت عن هذه الحركة لم تشعر بها في حياتها بأكملها، كدمات زرقاء تغطي جسدها العاري وتشعر بحرقة تجتاح نصف جسدها الأسفل، بحثت بعينيها عن طفليها بسرعة لتجد (فريدريك) ينام كالملائكة لا يشعر بشيء بينما (يومالوف) يجلس أرضًا وقد دفن رأسه بين ركبتيه وأحاط قدميه بيديه يبكي وجسده بأكمله يهتز، غصة مُرّة اجتاحت جسدها فلم تستطع الحركة، ألقت جسدها مرة أخرى على الفراش؛ تراقب بطرف عينها ابنها الذي يُقتل كمدًا وحزنًا وعجزها عن مواساته، قبل أن تفر من عينيها دمعة تحمل كل أسى وقسوة ومرارة الدنيا.

كان الصمت رفيق رحلتها ولولا الممرضة التي وضعها دكتور (منيجيل) في خدمة أولادها لماتوا جوعًا.

كانت في الصباح تجلس وحيدة.

في المساء تجلس وحيدة.

وفي الليل تجلس وحيدة.

لا تتكلم مع أحد ولا تحاول إنشاء أي اتصالٍ من أي نوعٍ مع أي شخص مهما كان ولا حتي (فريدريك) الصغير التي سالت دموعه أنهارًا في بعض الأحيان باحثًا عن ابتسامة تملأ حياته الصغيرة، مرت الأيام



الواحد تلو الآخر قبل أن تشعر بالفاجعة. هناك شيء ما يتحرك بداخلها. بعد ثلاث أشهر قضتها صامتة لا تتناول من الطعام إلا لقيمات لا تسد جوعها. شعرت بشيء يتحرك بداخلها وعندما شعرت شعروا. أخضعوها لمئات التحاليل والاختبارات؛ مستسلمة خانعة لا تقاوم لكن ذهنها به عاصفة من التفكير تكاد تصيبها بجنونٍ مطبق لا محال عنه. كل يوم يمر تشعر بآلامٍ نفسية لا مثيل لها. هناك ما يتحرك بداخلها. لا تعلم ماهيته لكنها تعلم شيئًا واحدًا. أنه ليس آدميًا. تشعر بالاشمئزاز لكنها لا تكاد تجلس وحيدة. تحاصرها أجهزة الفحص والتحليل والممرضات والجنود طوال الوقت. (كلاوبيرغ) بابتسامته القاسية أخبرها يومًا أن تلك التجربة من المفترض أن تتم عن طريق التلقيح الاصطناعي أي أنها كانت ستحقن بالمني فقط . لكن بسبب صراخ دكتور (منيجيل) فيه وهو ما كسر غروره؛ قرر أن يعاقبها لأنها رأت ما حدث لذا جرت التجربة بهذا الشكل القاسي. لم تهتم بكلامه ولكنها شعرت بجسدها يشتعل غضبًا وهو ما زادها إصرارًا على قرارها.

في المساء. وبينما غفا الجميع قامت متحاملة على جسدها الذي يؤلمها وبهدوء حملت رضيعها النائم. نظرت له وللمرة الأولى منذ ما يقارب الأشهر الثلاث ابتسمت له وهي تقبل جبينه. شعر بها بين غياهب النوم فابتسم. وضعت يدها على أنفه وفمه بإحكام. فتح عينيه بهلع وحاول أن يصرخ أو أن يتحرك. لكنه صغيرًا رضيعًا لا يملك من الدنيا أن يدافع عن



نفسه، سرعان ما غادر بريق الحياة عينيه قبل أن يتدلى جسده وقد وافته المنية.

وضعته برفقٍ على الفراش قبل أن تتحرك برفق تجاه فراش (يومالوف) فوجئت أنه مستيقظًا يراقبها بأعين ثابتة لا هلع بها أو حزن، أخافتها نظرة عينيه، تراجعت قليلًا بينما تحاول الهروب من نظرته لكنها لم تفلح، بدأت تحدثه بصوتٍ خافت: " أنت لا تعلم، أنا آسفة. لكنك لا تشعر بما أشعر، هناك شيء يتحرك بداخلي، يقتلني هذا الشعور، أريد التخلص منه".

أخذت تنبش بطنها بأظافرها، بدأ الدم ينبثق من جروحها وهي تنبش بإحكامٍ محاولة كتم صرخاتها، الغريب أن (يومالوف) لم يطرف، يراقبها بثباتٍ انفعالي يتعدى عمره بكثير من السنين، بدأ الدم يزداد وبدأت تتأوه بعنفٍ قبل أن تخترق لحم بطنها بأظافرها، بحثت عنه حتي وجدته، جذبته خارج جسدها متجاهلة تلك الحفر الصغيرة التي تدلت من بعضها بعض أجزاء من أحشائها، كيس حمل صغير به جنين مشوه، بدأت تحاول قتله أو تمزيقه بيديها وبأسنانها، امتلأ وجهها بالدماء وبدت كالمجنونة وهي تقطعه إربًا صغيرة بأسنانها وتلقيه أرضًا قبل أن تقول بصوتٍ خافت: " آسفة".

تركت جسدها يسقط أرضًا وقد فارقت الحياة، هنا فقط صرخ (يومالوف) قبل أن يفقد الوعي، دخلت الممرضة إلى الغرفة لتجد الكارثة



أمامها، فصرخت بدورها وهي تتأمل الدماء والجنين المشوه الممزق إربًا والرضيع الميت قبل أن تفقد الوعي بدورها.

***

أنهى كلماته وهو يبتسم بحزن وحسرة، فسأله (سامي) بفضول: "ولماذا لم ترحل؟"

"أرحل ! لا أستطيع أن أواجه هذا المجتمع، بعد ما رأيت و ما عاصرت وعمري لم يتجاوز الأربعة سنوات، حاولت الانتحار مرة تلو أخرى رافضًا أن يلقوني خارج المعسكر، وبعد أن يأسوا مني ألقوني في الزنزانة صفر لأموت معكم".

ابتسم وعينيه تدمعان بقوة، سالت دمعة ساخنة من عينه اليسرى وهو ينظر للسماء سائلًا: " لماذا يا الله خلقت النسيان إن لم نكن سننسى".

دفن وجهه بين ركبتيه وأحاط جسده بذراعه وانهمك في البكاء، بالضبط كما كان يفعل صغيرًا.



## ((10- كالبشر في الظلام))

عندما يقبع البشر خائفين في الظلام يتبادر للأذهان أولًا تعبير ( كالفئران في الظلام ) لكن في الحقيقة أن الظلام لا يؤذي الفئران، الفئران في الظلام تسكن هادئة تنتظر أن تدور الدورة ليأتي النهار أو الضوء مرة أخرى لكن البشر في الظلام فوضويين.. خائفين.. مذعورين.. متخبطين، يتوقف العقل عن العمل تمامًا، يسود الذعر وتظهر الحلول الفجائية العشوائية باقتدار.

لذا حين ساد الظلام واحتل الخوف القلوب؛ لن نستطيع أن نقول أنهم قبعوا كالفئران في الظلام. للدقة سنقول أنهم قبعوا كالبشر في الظلام.

الخوف احتل قلوبهم وصوت الحركة الخافتة الآتي من السلم، صوت جسد (فريدة) وهي تسقط أرضًا فاقدة للوعي تمامًا، التحموا جميعًا مع صوت الباب المغلق وهو يفتح بعنفٍ بالغ، ارتبك (محمد، وإياد) تراجعا بقوة، فداس أحدهما على يد (فريدة) الفاقدة للوعي قبل أن يشهق وهو يقفز فزعًا، اختفى صوت الخطوات التي تهبط السلم واختفى صوت



الضوضاء الآتي من الباب المغلق، تراجعا في الظلام متخبطين تماما فاقدين الإحساس بأي شيء منطقي على الإطلاق، للحظات تعراك (محمد) بعشوائية وبتلقائية غريزية تبعه (إياد) ملتصقًا فيه، كل منهما يبحث عن أمانه الشخصي ونسيا أو تناسيا تمامًا (فريدة) الساقطة أرضًا.

حين يأتي الخوف؛ ترحل المجاملات الاجتماعية ويظهر كل على حقيقته الأنانية!!

تذكر (محمد). (فريدة) فهمس في الظلام باسمها، التصق به (إياد) مرتجفًا للحظة قبل أن يعودا ببطء لمكانهما السابق، انحنى (محمد) يبحث بيديه في الظلام، يتحسس الأرضية بيدٍ مرتجفة وأنفاس متقطعة لكنه لم يجد شيئًا، كان أمامه خيارين؛ إما أن يقنع قلبه الوجل الخائف أنه تاه أثناء قفزه خائفًا في الظلام ففقد الإحساس بالأماكن؛ لذا هو يبحث في المكان الخاطئ وإما أنها اختفت أو اختطفت أو احتمالات أخرى أسوأ لا يريد أن يفكر فيها.

قانون الحياة يقول: أننا إذا كنا أمام اختيارين فإن أسوأهما هو ما سيحدث لنا، أما الاحتمال الأفضل فسيحدث للآخرين.

همس (محمد) مرة أخرى بجزع: "لقد اختفت".



قبل أن ينهي كلماته؛ سطع الضوء فجأة لينقشع الظلام مرتبكًا بالزوي في الأركان المهجورة الرطبة. أغلق الشابان أعينهما للحظات قبل أن يفتح (محمد) عينيه بجزع وهو يتأمل الباب الموارب الذي يهتز بتوتر. الغرفة خالية تمامًا ولا أثر لـ (فريدة) على الإطلاق. شعر (محمد) بالفزع. الدوار يكتنف رأسه. يشعر أن روحه تكاد تتركه. بحث عن (إياد) بعينيه ليطمئنه. لكن نظرة الهلع التي تتقافز من محجري عيني (إياد) زادت هلعه هلعًا. وقف محاولًا التنفس بعمق لكي يتمالك أعصابه ويستعيد تركيزه. تنفس بعمقٍ وهو يقف ولكن لأن المصائب لا تأتي فرادى؛ لمح بعينيه الجهاز الخاص بكشف الحركة ملقى أرضًا صريعًا ومكسرًا لبضع قطع. ركله بقدمه بغضبٍ قبل أن يصرخ بغضب: "فريدة"!

أمسكه (إياد) محاولًا تهدئته. لكن غضبه وخوفه كانا أقوى من رجاحة فكره. أخيرًا أمسكه (إياد) مهدئًا إياه. نظر له (محمد) وعينيه يلتمع بها انكسار حزن. وهو يقول : " لن تضيع مني".

طمأنه (إياد) بصوتٍ هادئ: " لن نسمح لها أن تضيع".

احتضنه (إياد) لثوان قبل أن يتمالك أعصابه ويقف يتأمل الباب الموارب. تحركا نحوه ببطء وهم يخشون فتحه. كان الباب قد توقف عن الارتعاش وثبت. أمسك (محمد) الباب بيده ونظر لـ (إياد) قبل أن يفتح الباب بقوة. وخلف الباب كانت تنتظره مفاجأة أخرى.



***

خلف الباب وعلى ظهره الخشبي؛ كتب بحروفٍ من دم جاف يبدو أنها كتبت منذ حين بعيد؛

((كنتم ثلاثة وأصبحتم اثنين

بتضحيتكم بدأت اللعبـــــة

لنلعـــــــــــــــــب!))

ابتلع (محمد) ريقه بصعوبة وهو ينظر لـ (إياد) الذي يتنفس بصعوبة، لمس (إياد) الدم بيده ليتأكد أنه جاف، قبل أن يقول بصوتٍ مرتجف: " إما أن تلك الجملة كتبت من أجل أشخاصٍ آخرين أو أننا في خضم لعبة بالفعل"!



نظر (محمد) أرضًا، وهو يقول: " يؤسفني أن أخبرك أن تلك الجملة كتبت خصيصًا من أجلنا؛ لأنهم اتبعوا نفس الطريقة حين كتبوا لنا على السقف".

أجابه (إياد) بتردد: " ولكن ... ولكنها كتبت قبل حين؟"

تلفت (محمد) حوله، وهو يقول: " يبدو أننا نمشي على خطى سيناريو مرسوم لنا ببراعة".

سأله (إياد): "والعمل؟"

"سنفسد لهم السيناريو.. هيا بنا".

تبعه (إياد) وهو يدخل إلى ما خلف الباب؛ حيث يقبع ممر طويل ينتهي بباب غرفة؛ بينما هناك باب آخر مغلق على اليمين، نظرا لبعضهما البعض قبل أن يقرر (محمد) بقلبٍ جريح أن يفتح الباب الأقرب القابع يمينًا كي لا يقعا في فخ يندما عليه فيما بعد، مد (محمد) يده إلى مقبض الباب ونظر لـ (إياد) بتوتر، كان (إياد) يرتجف في قلق، أدار (محمد) مقبض الباب فاستجاب صاغرًا وفتح بصمت، فُتح الباب على مصراعيه لا يخفي شيئًا.

كانت غرفة من تلك الغرف الخاصة التي تجهز خصيصًا للمصحات النفسية ذات الحالات الخطرة والتي تبطن جدرانها وأرضيتها وسقفها بمادةٍ تشبه الإسفنج دون أي شيء آخر كي لا يستطيع المريض أن يؤذي



نفسه. حسنًا لكنها لم تكن غرفة عادية من تلك الغرف. هذه الغرفة كان بها أمران مختلفان، الأمر الأول هي أن جدرانها وأرضيتها وحتي سقفها ممزقين تمامًا وقطع الإسفنج الملوثة بالدماء متساقطة أرضًا؛ بينما الأمر الأكثر إثارة للهلع هي علامات الأسنان التي مزقت هذا الإسفنج والتي بأي حالٍ من الأحوال لا يمكن أن تكون بشرية إطلاقًا. تأملا تلك الغرفة قبل أن يخرجا منها وقد زاد خوفهما؛ توجها بأرجلٍ مرتعشة وقلوبٍ تكاد تتوقف إلى الباب الآخر ولكنه كان مغلقًا بإحكام، وتلك القضبان الحديدية التي تدعمه أنبأتهم أنه لا مجال لكسره؛ لذا تراجعا و هما يخرجان للباحة مرة أخرى، توقفا وهما ينظران للسلم. ابتلع (إياد) ريقه بصعوبةٍ بالغة وهو يتوجه متقدمًا (محمد) إلى السلم هذه المرة قبل أن يتوقف وهو يتأمل درجات السلم.

***

انضم (محمد) لـ (إياد) الذي تجمد أمام السلم يتأمل درجاته في عدم فهم، على درجات السلم كانت ترتسم بصمات قدمٍ ملوثة بالدماء هبطت فقط لمنتصف السلم، تقريبًا نفس المكان الذي رأوها فيه قبل أن تنقطع الكهرباء، لكن المريب في الأمر لم يكن الدماء الكثيفة التي تغطي السلم والتي من المستحيل تمامًا أن ينزفها شخص عادي دون أن يشعر بالإعياء أو يموت من فقر الدم، لكن المريب والمخيف في آنٍ واحد هو أن تلك



الدرجات انتهت بمنتصف السلم دون أن تهبط المزيد أو حتى تعود أدراجها، كأن صاحب أو صاحبة هذه الأقدام طار عندما وصل لهذا الحد أو الأسوأ تبخر تمامًا.

نظر (محمد) لـ (إياد) وهو يلاحظ ارتعاشه وخوفه، قبل أن يقول له وهو يمسك يده ويضغط عليها: "أحتاجك يا صديقي، فريدة تحتاجك".

حاول (إياد) استجماع شتات قوته وهو يتحرك ببطء صاعدًا درجات السلم بتوتر وكأن أقدامه ترفض الانصياع لأوامره. تقافز قليلًا كي يتجنب برك الدم اللزجة التي تنتشر على السلم ومحاولًا عدم لمس أو حتى الاقتراب من آثار القدم، انتهى السلم وبدأت رحلة جديدة كانا يخشونها كالموت.

توقفا يتأملان الدور الثاني في هذه المصحة اللعينة، مكان واسع يشبه الفنادق مقسم لغرف وبه باحة دائرية، نافذة زجاجية محاطة بقضبان معدنية انثنت تحت ضغط قوة خارقة، لا يمكن لبشري أن يثني هذا الحديد بهذا الشكل؛ بينما النافذة مهشمة وبداخلها حبات دواء مبعثرة في الأنحاء بعشوائية، يبدو أن تلك الغرفة تخص الممرضات وكن تجلسن بها حين تعطين الدواء للمرضى من خلف هذه النافذة الزجاجية التي تحميها قضبان حديدية فشلت في أداء مهمتها، الأبواب من الجلي أنها ليست أبواب غرف، هناك شبكة هائلة من الممرات والغرف والمعامل خلف هذه الأبواب، لكن أوان استكشافها لم يحن بعد. توقفا وهما



ينظران لبعضهما البعض، أضحى الأمر سخيفًا، كلما فتحوا بابًا واكتشفوا ما خلفه تفاجئهم هذه المصحة بأبوابٍ أخرى، هبط (إياد) السلم مرة أخرى في سرعةٍ وتوقف في الباحة السفلى أمام أحدى النوافذ التي تم إغلاقها بستارٍ حديدي، وهو يضربه بقبضتيه ويصرخ: " أخرجوني الآن، أريد أن أخرج، لم أعد أحتمل بعد الآن".

وقف (محمد) خلفه وهو يحاول تهدئته، وضع يده على كتفه، فالتف له (إياد) بعنفٍ وهو يضرب يده ويحاول أن يضربه صارخًا فيه: " أنت السبب يا روميو، قدتنا خلفك كالنعاج متسلحًا برجولةٍ زائفة وحب أفلاطوني لفتاةٍ حمقاء أعجبتها شجاعتك، فقدتنا خلفك لهذه المصحة النفسية الملعونة والنتيجة الآن هي كل هذه الدماء والظلام، وأخيرًا ها نحن محبوسون ننتظر دورنا لنقتل كفريدة".

لطمه (محمد) على وجهه، وهو يدافع بيديه عن نفسه محاولًا إبعاد (إياد): " اهدأ قليلًا أيها الأحمق، صراخك اللعين سيجلب علينا الشرور وباءً، اهدأ واخفض صوتك لكي نستطيع أن نفكر".

دفعه (إياد) بعيدًا وهو يتماك أعصابه قليلًا: " انظر يا صديقي، لقد طالت صداقتنا بما يكفي، سأساعدك لتجد حبيبتك الحمقاء وستساعدني على الخروج من هنا، لكن في اللحظة التي ستطأ فيها أقدامنا خارج المصحة؛ لا أريد أن أسمع صوتك مرة أخرى".



نظر له (محمد) بحزن، وهو يقول: " اهدأ يا صديقي قليلًا، ولا تقل ما ستندم عليه فيما بعد".

كان (مخمد) الآن يقف وظهره للنافذة المغلقة مواجهًا (إياد) الذي كانت الباحة خلف ظهره، صرخ به (إياد): " أنا لست صديقك، منذ الآن أنت عدو لعين وصدقني سأعمل جاهدًا على الانتقام منك؛ لذا لا تفزع ولا تحزن حينما يأتيك انتقامي مفجعًا".

قبل أن ينتهي من كلماته :فوجئ بـ (محمد) يصوب مسدسه إلى منتصف جبهته، وعلامات الشر تظهر جلية على وجهه: " انخفض".

صرخ به (إياد): " لا والله، لن أنخفض وإذا أردت أن تقتلني فعليـ...."

صرخ به (محمد): " انخفض أيها الغبي فورًا".

شعر (إياد) بالفزع، فخرَّ على ركبتيه وهو يغلق عينيه و يحاول استجداء لسانه ليردد ما يحفظ من القرآن، أغلق عينيه بشدة وهو يسمع الطلقات تنطلق بجواره وتصطدم بشيء ما، زحف على ركبتيه ليبتعد عن مجال إطلاق النار وهو ينظر لما يطلق عليه (محمد) النار، وكانت الصدمة فيما رأى.

شخص طويل القامة، ممشوق القوام، مفتول العضلات؛ يرتدي عباءة سوداء طويلة، لكن المفزع كان رأسه، رأسه طويل من الأمام كرؤوس التيوس ويرتدي على وجهه قناعًا قماشيًّا أبيضًا، به فتحتان



للأعين التي تستعر نارًا من شدة الغضب، ويكلل رأسه قرنا تيسٍ ضخمان للغاية، كان الأمر مرعبًا فهما هم يواجهان مسخًا يجهلان هويته. لكن الذي أثار رعبه أكثر، كان وقوفه الصامت بينما طلقات الرصاص تخترق جسده وكأنه لا يشعر بشيء. أخيرًا: أصدر مسدس (محمد) صوت (تكة) تنبئهم أنه فرغ تمامًا

بدأ المسخ يتحرك.

بشري برأس تيسٍ تزينها قرون صلبة مخيفة وأعين تستعر بها نار الغضب، وجسد لا يخشى الرصاص، يتحرك نحوهم في هدوء و الفزع يجتاحهما ليشل كل حركتهم تمامًا.



## ((11- توأمي))

ساد الصمت تمامًا وخيم على أجواء الغرفة، كانت قصة ثقيلة للغاية سببت لهم ألمًا نفسيًّا مبرحًا، قالوا أن أسوأ الآلام التي يشعربها البشرهي آلام العظام وآلام الأسنان، ربما قائل تلك العبارة لم يجرب الألم النفسي المبرح الذي شعربه كل من في الغرفة.

كادت العبرات تتساقط واحمرت العيون، انقبضت القلوب وطغت المرارة على الحَلق، حاول أحدهم الكلام أو أن تبدأ قصة جديدة تحفرفي ذهن الصبي إلا أن الألم كان قويًّا، سائدًا وطاغيًا، كفكف الفتى عبراته بظهر يده، قبل أن يقول بصوتٍ منكسر: "هل من قصةٍ أخرى أو حكاية أخرى، تكون مرارتها أقل لتحكى؟"

قبل أن يأتيه أي رد من الموجودين بالغرفة: أتاه رد من باب الزنزانة صفر الذي انفتح بصريرٍ مزعج ليكشف عن هياكل سوداء معتمة لخمس من الجنود الأشداء، ألمان ذوي بنيان قوي ملثمين ويرتدون الدروع، وبأيديهم عصي صلبة سوداء اللون، بدون أي مقدمات اقتحموا الزنزانة وجعلوا أجسادهم مزارًا مقيتًا لعصيهم، آهات ألم، صرخات فزع، بكاء رعب و كدمات زرقاء، كانت النتيجة النهائية ومحصلة زيارة سريعة من هؤلاء الجنود: تكوموا جميعًا أرضًا. كل منهم يحاول حماية ما يظهر من



جسده ولكن كيف سيحميه وهو يهان ويذل ويضرب؟، أخيرًا و بعد مرور القليل من الوقت انتهوا منهم وانتهى الجنود من ضربهم، وانتهى المساجين من الألم ولم يعودوا قادرين على المقاومة أو الصراخ.

توجه اثنان منهما تجاه الفتى، وركلوه بقسوةٍ وهم يصرخون به بلغةٍ ألمانية مزعجة، لم يفهم وشعر بالفزع. لكن مترجمه تطوع بإفهامه بصوتٍ موجوع أنهم يريدونه أن يخرج معهم لأن أحدهم يريده، وكان نتيجة تطوعه هو عصا منهم تطير من يد صاحبها لتصطدم بأنفه الذي قرر أن ينفجر الدم منه، انكسر الرأس ووقع أرضًا وصاحبه يبكي بقهر بينما حاول الفتى القيام معهم لكنه لم يقدر، الألم المبرح كان أقوى من استجابة الجسد لأوامر عقله.

حملوه من تحت إبطيه وجروه جرًّا خارج الزنزانة وهم يغلقونها، انقبض قلبه لصوت إغلاقها، هل تبددت أحلامه في أن يكون الناجي؟

هل سيراهم مرة أخرى، أم أن رحلته القصيرة انتهت؟

هل انتهى الناجي وانتهت معهم سيرة المحطمين وضحايا التجارب؟

***



ألقوه أمام غرفةٍ مغلقٌ بابها وتركوه ورحلوا، كان على باب الغرفة جنديين يقفان كالتماثيل، مجرد أن وقع الفتى أرضًا أمامهما تحرك أحدهما ليطرق الباب بهدوء، انتظر قليلًا إلى أن أتاه الأمر بالدخول، دلف للغرفة وأغلق الباب خلفه ولم تمر بضع لحظات حتى خرج وترك باب الغرفة مفتوحًا، بمساعدة زميله جملا الصبي لداخل الغرفة وأسجوا جسده المرهق المليء بالكدمات والآلام على أريكةٍ ناعمة، أغلق الفتى عينيه وتأوه بصوتٍ خافت، سمع صوت نهنهات بكاء يعرفها جيدًا، كل عبرةٍ تهبط من عيني صاحبة البكاء تدمي قلبه، اعتدل بألمٍ وهو يتأملها، روحه التي تسكن جسدًا ثانيًا، رفيقة دربه وسبب معيشته الوحيدة، توأمه الجميلة المنكسرة، كانت ملابسها ممزقة من بضع أماكن وشعرها أشعث معجون بالدم لكنها بخير أو على الأقل بحالٍ أفضل منه، وقفت أمامه تتأمله وتبكي على حاله، يعرف جيدًا أنها بخير، يشعر بها، مد يده المتعبة ولمسها بطرف إصبعه كأنما يستمد منها القوة وقبل أن تسقط ذراعه أمسكته، احتضنته، وقربته من وجهها و بكت. كان بكاؤها يهده هدًا ولكنه تظاهر أنه بخير على الأقل أمام الشخص الذي وقف يتأملهم وعينيه تلمعان بجنون، لكنه عرف جيدًا أنها لا تصدقه فهي تشعر به وتحس بكل ما يحس.

حينما كانا صغيرين؛ وقع من على دراجته وانكسر ذراعه، كان على بعد ثمانية كيلومترات من المنزل، أقسمت أمه له أنها صرخت وأمسكت



يدها وبكت، شعرت به رغم البعد الذي فرق بينهما وصرخت لألمه؛ لهذا آلمه ألمه، آلمه لأنها تشعر به ولأنه يؤلمها وهي لا تستحق منه هذا.

نظر للرجل و تذكره، هذا هو الطبيب الذي استقبله في يومه الأول هنا، هذا هو الطبيب الذي قتل أمه، ابتسم له ابتسامة منكسرة، لكن أخته قالت بصوتٍ خافت: "لقد راعاني وأطعمني وأنا له شاكرة".

و طالما هي شاكرة فهو سيكون شاكرًا ممتنًا، لكنه لن ينس أبدًا أمه التي ماتت قبل أن يشبع منها بشكلٍ يكفيه أو يرضي قلبه الصغير. جلست بجواره وارتمت بأحضانه ولأنه يستمد قوته من حنانها شعر أنه بخير، أحيانًا كان يعرف أنها تبث له شعور الطمأنينة بينما تسحب ألمه من جسده وتشعر به بمفردها، كان يعرف هذا، لطالما عرف أن بإمكانها قتل ألمه و لكنه مؤخرًا تأكد أنها تشعر به بمفردها، كذلك انتبه لهما الطبيب، رأى وفهم وعرف!

و لأن الفضول العلمي دائمًا ما يغلب المشاعر الإنسانية، وضع كل ما يشعر به جانبًا وفورًا ضغط زر استدعاء صغير، لحظات وكان طبيبًا شابًا يدعي (هيكتور) داخل الغرفة، نظر لهما (هيكتور) قبل أن تنقلب شفتاه لتظهر بهما ابتسامة شريرة وهو يتجه لهما، شعر الفتى بالفزع وعرف أن الساعات القادمة ستكون طويلة ولن تمر على خيرٍ أبدًا.



***

مقعدين متجاورين لكن بإمكان كلاهما أن يرى الآخر. شرائط جلدية قاسية تقيد الفتى وتوأمه على المقعدين، لا يستطيع تحريك إصبع، أجهزة كثيرة لضمان بقاء عينيه مفتوحتين وفكه مفتوح، عارٍ تمامًا وكذلك هي، تمنى لو يغطيها بأجفانه، بإحساسه أو حتى بجلده، لكن إحساسًا بالعجز والقهر تسلل لقلبه الصغير ليكسره دون هوادة أو رحمة. (هيكتور) الطبيب الشاب يتأملهما بأعينٍ شرهة لكنها شرهة لفضولٍ علمي لا لشيء بينما (منيجيل) يقف بهدوء شيطان يتأملهما، أمسك (منيجيل) بمحقن لم يعرف الفتى ماهيته؟ فهم (منيجيل) أن بإمكان الفتاة قتل آلام شقيقها لكن هل يستطيع الفتى فعل المثل معها؟

هذا هو السؤال الذي أثار فضوله، حقنها بالمحقن، سائل ساخن يكوي عروقها كيًّا، شعر بها تتألم لكنه لم يعلم لخلاصها سبيل، دمعة حارة شقت طريقها لتهبط على وجنته تلطخها بعجزٍ وقهرٍ ومرارة، بدأ مكان الحقن بيدها يتحول للون الأحمر، عرف جيدًا أنها تشعر بالحرارة، يدها تشتعل، نزيفًا داخليًّا حادًّا أصابها مكان الحقن، الذي لم يعرفه سوى الطبيب (هيكتور) أنه حقنها بسم أفعى شديدة السمية .



الألم ينتشر من مكان الحقن إلى باقي الجسد، ألم لا مثيل له، احمر جسدها بالكامل، كل ذرة ألم كانت تشعر بها كان يشعر بها تمامًا، بلا أي ذرة زيادة أو نقص، فقط يزيد عنها شعور المرارة التي تغص حلقه، بدأت أطرافها ترتعش وقد تحول لونها للون البنفسجي، تمنى لو يقتل نفسه أو حتى يقتلها ليرتاحا من هذا العذاب وهذا الألم، كانت تنظر له، عيناها تقتلانه، الاستغاثة الخفية التي تلتمع بعينيها، يعرف جيدًا أنها تتمنى الموت، لا لترتاح من ألمها لكن لتريحه من ثقل عبئها، عطشى، هي عطشى للغاية وحلقها جاف ، جسدها يرتعش بانتفاضاتٍ مؤلمة، يؤلمه شكلها قبل أن تؤلمه هي، حقنها (هيكتور) بمحقن آخر في يدها الأخرى، زادت الرعشة وزادت حدة الانتفاضات حتى كادت تكسر عظامها التي لا تشعر بها من كثرة الألم، بدأت قطرات دم تتسلل من أذنيها، أنفها وفمها، نقاط تبعها سيل، نزفت من كل فتحات جسدها وأخيرًا صرخت، لم يعد الألم يكفي أن يقسم على فردين، بل زاد و فاض حتى أصبح لا يحتمل، أيقنت وأيقن أنها تموت، لا مجال للتظاهر ولا مجال للتحمل، صرخت وتركت صرخاتها تنهل الألم من روحها نهلًا لتلقيه خارجها مع صرخاتها، بكت لكن بكائها كان دمًا، قطرات حمراء تتسلل من أعين قَلَبها الألم لتستحيل بياضًا.

تحرك (هيكتور) بلا مبالاة ليضع أجهزة قياسٍ حيوي على جسده، كانت القراءات تشير لأنه يشعر بألمها و يعيش قساوة تجربتها لكن الشكل



الخارجي لا يدل على هذا، أدلى ببضع كلماتٍ لمشرفه العام (منيجيل) الذي بدت عليه الدهشة فأتي ليفحص الأجهزة بنفسه، كل الأجهزة والقراءات تشير لأن الفتى يشعر بألمٍ قاتل، جسده يتسمم أو على الأقل يشعر بأعراض التسمم، لكن ما يراه أمامه هو فتى يبكي قهرًا و يحاول الصراخ بكلماتٍ غامضة لكن عقله لا يسمح له، هز كتفيه قبل أن يسمع صوت شهيق عالٍ.

كانت الفتاة تشهق وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، جسدها ملطخ بدمائها، جسدها المرتجف الذي تحول للون البنفسجي القاتم، ذراعيها الذين تورما حتى كادا ينفجران وأعينها التي اختنقت ظلمًا وقهرًا، آخر دمعاتها هبطت على وجنتها لتمسح القليل من الدماء قبل أن تغلق عينها ويتوقف جسدها عن الارتجاف، أخيرًا استجاب الله لدعواتهما وماتت كي لا تتعذب، ماتت لتتركه وحيدًا في عالمٍ قاسٍ يقتل البشر من أجل القياسات و التجارب، أخيرًا وجد صوته فصرخ: " توأمي".

حرك (منيجيل) وجهه للناحية الأخرى غاضبًا، وهو يصرخ: " خذوه لغرف الغاز، تخلصوا منهما هناك".

***



فكوا رباطها وحملوا جسدها المكسين ليلقوه داخل جِوال خيشي، ألقوا جسدها كما لو كانت حيوانًا نافقًا أو شيئًا لا قيمة له، لم يكن يقدر على المقاومة. لذا حين فكوا وثاقه وحرروه؛ مشى عاريًا، لم يعد يهتم ولم يعد يريد أن يهتم، لقد أخطأ حين قاومهم من قبل ولا يريد أن يكرر نفس الخطأ، فليحرقوه أو ليحرقوا العالم من بعدها، فالعالم لن يكون كما كان أبدًا!

قادوه عاريًا مذلولًا متعلق العينين بالجِوال الخيشي الذي يجروه أرضًا ودمها الذي يترك أثرًا هو كل ما ظل منها، وصلوا لغرف الغاز وتم تسليمهم للعاملين هناك، لكن أحد الجنود ظل برفقتهم ليشرف على تنفيذ المهمة، كان الأمر قاسيًا وهو يراقب الرجل ضخم الجثة مسود الوجه من أثر الدخان والقاسية ملامحه من كثرة تنفيذه لأحكام الموت وهو يلقي بها للنار التي قرقعت في فرحٍ بالغ وهي تلتهم ضحيتها، جاء الدور عليه والتمعت عينا الرجل فرحًا لأن ضحيته حية، سيسمع صراخها وألمها وتوسلاتها لكنه لن يأبه، لِمَ يأبه وهو لملك الموت مساعد!

أمسكه من يده وقبل أن يخطو خطوة؛ صرخ به الجندي أن يتوقف، دار بينهما حوار قاسي كاد يتحول لشجار، فهم أن الجندي يحاول إقناع الرجل القبيح أن الطبيب (منيجيل) يريد الفتى وأنهم هنا من أجل مشاهدة حكم الحرق كي يفتوا من عضد الفتى ويجعلوه يتكلم، لم



يصدق الرجل لكن الجندي أخبره أن يذهب ليتأكد لو أراد لكن سيكون عليه تحمل عقبات الأمر.

بنظرة شك ونظرات غضبٍ تركه الرجل، قاده الجندي للزنزانة صفر مرة أخرى وقبل أن يلقيه بداخلها هبط على ركبتيه وتمتم في أذن الفتى بأربع كلماتٍ قالها بإنجليزية سليمة فهمها الفتى، كلمات لم ينساها طوال حياته أبدًا.

فتح الزنزانة وألقاه عاريًا، تلقاه أصدقائه بلهفة وهم يستروا جسده ببضع قطع قماش، سيقص قصته عليهم لكن ألم يؤن الأوان كي يرتاح قليلًا، أغمض عينيه قليلًا وكلمات الرجل تتردد في أذنيه: "عل الله يغفر لي"!!!



## ((12-أنا خائف))

توقف الزمن تمامًا في هذه اللحظة، حتى القلوب توقفت عن النبض
بشري برأس تيس تزينها قرون صلبة مخيفة وأعين تستعر بها نار الغضب
وجسد لا يخشى الرصاص يتحرك نحوهم في هدوء والفزع يجتاحهم
ليشل كل حركتهم تمامًا، ولأن الرعب يأبى أن يظل وحيدًا، ولأن الظلام هو
أقرب أصدقائه لذا وجب انقطاع التيار الكهربائي، ساد الظلام تمامًا إلا
من حركةٍ خافتة، صوت احتكاك أقدامه بالأرض وصوت تنفسه الثقيل
شعرا بالخوف يجتاح قلوبهما، همس محمد لـ (إياد): " أنا.. أنا خائف".

شد (إياد) على يده ليطمئنه، لكن كلاهما لاحظ برودة أيديهما ومدى
ارتعاش أجسادهما، صوت خطواته يقترب وصوت نفسه يحيط بهما
يجثم على صدورهما ليقتلهما خنقًا، مرت اللحظات طويلة وهم لا
يعرفان ما العمل،

وكيف سبيل الفرار؟

ما التصرف الصحيح؟

الظلام مصيدة قاتلة، تجهل ماهية الخطرومكانه في الظلام لذا تجهل
طريق الهروب منه، بكى (محمد). دمعة حارة سقطت من عينه على



وجنته التي ترتعش خوفًا، كان هذا قبل أن يرأف بهما أحد المصابيح المحمولة وهو يقرر أن يعمل لثوان اكتشفوا فيها أن هذا الكائن أمامهما، يتحرك في الظلام بثبات جعلهم يتيقنون أنه يري جيدًا، في تلك اللحظات شعر (محمد) بالفزع، فألقى بمسدسه الفارغ على رأس الكائن وهو يجذب (إياد) من يده ويعدوان تجاه السلم، صعدا بسرعةٍ للدور العلوي ودخلا لأحد تلك الغرف وهما يغلقان الباب خلفهما، نظرا لبعضهما البعض قبل أن يلصق كل منهما أذنه على الباب، لثوان توقفا وهما يشعران بشيء غريب، برغم الظلام هما مراقبان، هناك شيء خاطئ في هذه الغرفة، ابتعدا عن الباب وهما يسمعان صوت أنين خافت يتردد، الأنين كالخنجر، يطعن القلوب في مقتل ويثير بها الفوضى والخوف، تراجعا للخلف وهما أمام اختيارين أحلاهما علقم مر، إما الخروج لمواجهة الكائن الموجود بالخارج أو أن يظلا هنا حتى يكتشفا ما الذي يسبب هذا الأنين؟ ولأن ما نعرفه خير مما لا نعرفه آثرا الخروج للخارج و بخطوات مرتعشة ، أرجل وجلة و قلوب فزعة خرجا لكن هذه المرة صاحب خروجها عودة التيار الكهربائي، و بتلقائية نظرا للخلف إلى الغرفة حيث كان مصدر الأنين هو أكثر شخص يتمنى (محمد) أن يراه الآن، كانت (فريدة) ساقطة أرضًا وهي تئن، لكن هيئتها كانت مختلفة تمامًا!



***

ملقاة أرضًا وجسدها النحيل يحاول أن يتحرر بعنف، شعرها أشعث متطاير ووجهها أبيض شاحب كأنها رأت الموت بعينيها، مغلق فمها بشريطٍ لاصق ويبدو من وجهها أن هناك شيئًا ما يسد فمها أسفل هذا الشريط اللاصق، لم يكتفِ الشريط اللاصق بسد فمها فقط لكنها مقيدة جيدًا به، يلف حول جسدها بأكمله يضغطها، لا يوجد مكان في جسدها لم يمسه هذا اللاصق، أسفله ترتدي جوالًا خيشيًّا، اختفت ملابسها تمامًا، جريا عليها وساعداها على الاعتدال، كانت تئن، فورًا تحرك (محمد) ليزيل الشريط اللاصق عن فمها، بصقت شيئًا أبيض اللون مكوم كالكرة وحشر في فمها حتى كاد يخنقها، انشغل (محمد) بمحاولة تهدئتها بعدما بدأت بالبكاء؛ بينما انحنى (إياد) أرضًا ليمسك بالشيء الأبيض الذي سقط منها مليئًا بلعابها، أمسكه بأطراف أصابعه محاولًا فرده ليرى ماهيته.

كان لباسًا داخليًا صغير الحجم بمجرد أن فرده (إياد) سقطت منه ورقة صغيرة كانت بداخله، أمسكها بيده وكان على وشك فضها، لكن صوت (محمد) الذي ناداه بنفاد صبرٍ جعله يضعها بجيبه مؤقتًا، وهو يتحرك ليساعده في إزالة الشريط اللاصق عن جسدها، حرراها أخيرًا ووقفت أمامهما تشعر بالخجل من شعرها الأشعث وزيها المكون من



جوال قديم، لكن وجهها كان يحمل قسمات فزع غير طبيعية، بدأ (محمد) بالحديث معها بصوتٍ خافت محاولًا تهدئتها وطرد الخوف من قلبها، في الحقيقة كانت بأمس الحاجة لكلماته الحنون التي يطرب بها أذانها الشرهة للحب لكن حالته النفسية لم تسمح له بهذا، دمعت عيناها وهي تحاول أن تقص عليهما ما حدث لها.

***

بصوتٍ متهدج ملأه الألم ونبرةٍ حزينة بدأت تقص قصتها؛ بين الكلمة والكلمة بكاء ونهنهات كثيرة، حينما عم الظلام و سيطر الفزع لم تحتمل أقدامها الضعيفة، دق قلبها بقسوة ولم يتحملها جسدها النحيل فشعرت بالدوار وسقطت أرضًا، قبل أن تحاول الوقوف شعرت بشيء يحاول إمساك قدميها، جذبتهما في فزع، لكن الخوف ألجمها، فقدت القدرة على الصراخ والتنفس، لكن الأيدي الغادرة لم تكف عن المحاولة إلى أن نجح الأمر، أمسكتها أيدٍ قوية من كاحليها وجذبتها بقوة غير طبيعية، قوة غيربشرية، خافت أن تصرخ، تركت جسدها النحيل يُجذب أرضًا، سحلوها إلى أن وصلت للسلم، جذبتها الأيدي ترفعها بينما ارتطم رأسها بإحدى درجات السلم، دعت الله أن تفقد الوعي أو أن تموت، لكن حينما يعطيك الرعب جرعته يجب أن تأخذها كاملة قبل أن تفقد وعيك، حملتها عدة أيدٍ لا تعرف لها عددًا ولا تعرف لها صاحبًا، الغريب

أنهم يتحركون جميعًا في الظلام كما لو كانوا يرون جيدًا، كما لو ان ظلامنا نور لهم؛ بينما يختفوا في الإضاءة كأن إضاءتنا ظلام لهم!

سمعت باب غرفة يُفتح و شعرت بهم يتركونها، ارتطم جسدها بالأرض بقوة وسمعت صوت همهمات، تكاد تقسم أنها أشبه بزئيرٍ هامس لمخلوقاتٍ غريبة، أشياء تعيش في الظلام، حياة بأكملها عاشتها متوحشة في أماكن مظلمة، زئيرها لا يوحي سوي بهذا فقط.

بعد لحظات من الزئير الهامس بين تلك المخلوقات التي لم ترها، سمعت الأمور تحتد، أحدهم حملها لكن الآخرين صرخوا به صرخة غير آدمية آلمت آذانها، صرخت هي للمرة الأولى فعم الصمت على المكان، لحظات صمت مرت على قلبها الوجل كسنين طوال، قبل أن تنتهك حرمة جسدها أيدٍ آثمة، كف خشن ذو رائحة كريهة عطنة سد أنفها وفمها لمنعها من الصراخ بينما باقي الأيادي انهمكت في خلع ملابسها؛ لاحظت أنهم يتحاشون لمس جسدها برغم خشونة أكفهم فهدأ جسدها و إن لم يكف عن الارتعاش، تركوها بحمالة صدرها وسروالها الداخلي، لأول مرة يُكشف جسدها أمام غرباء، و أي غرباء هم!!

شعرت بالكف العطِن يفتح فمها بعنف ويحشر شيئًا ما بداخله، شيء قذر مبتل ذو رائحة كريهة قبل أن تسمع صريرًا عرفته جيدًا، هذا شريط لاصق، ألبسوها جوال خيشي وهي كاللعبة لا تستطيع المقاومة، قبل أن يبدأوا في تقييدها باللاصق، بكت وحاولت الصراخ لكنه الشيء



المحشور في فمها كان سيجبرها على البكاء، تركوها مقيدة تتألم، مهشمة الروح وجريحة القلب، تشعر بالعجز، رموها أرضًا و انصرفوا، مرّ القليل من الوقت قبل أن تشعر بحركةٍ خارج الغرفة، بدأت تئن محاولة الاستنجاد ولحسن حظها وجدها صديقاها وحرراها، أنهت حديثها ببكاء حاد وألقت بنفسها في جسد (محمد) تود لو تختبئ فيه من العالم، تود لو أنه يعيدها لمكانها الصحيح، مكانها الصحيح كضلعٍ له!

***

نهنهات بكائها ملأت المكان فدمعت عيناهما، أخفى (محمد) وجهه في كتفها يتنفس من عبق شعرها الناعم ويضمها لصدره في حنانٍ لا يوصف، بينما أشاح (إياد) بوجهه للناحية الأخرى باحثًا عن شيء يمسح به دموعه التي كادت تسيل، بحث في جيبه لبرهة قبل أن تصطدم يده بما نسى، قطعة من الورق المكور التي وجدها مختفية بداخل فم (فريدة)، فتحها بأعينٍ دامعة وهو يتأملها قبل أن يجد بها ما صدمه، فتح عينيه في ذهولٍ وهو يشهق ، لفتت شهقته نظرهما فانتبهت (فريدة) وأبعدت نفسها من بين أحضانه في خجلٍ وهي تحاول ضم الجوال على جسدها ليسترها؛ بينما توجه (محمد) لـ (إياد) وعلى وجهه يرتسم التساؤل، فتح (محمد) الورقة وأعطاها له. بينما الذهول لايزال يحتل ملامحه بشكلٍ واضح، تأمل (محمد) الورقة بين أصابعه لثوانٍ، وكأنه يخشى تسلمها



قبل أن يحسم أمره ويمسكها ليتأمل الكلمات التي كتبت فيها بحروفٍ من دم جاف قاتم لونه.

( عندما يكون الجلاد قاسيًا، تأكد أنه كان ضحية ظُلِمت بقسوة . )

قرأها مرة واثنان قبل أن ينظر لـ (إياد) بذهولٍ، وهو يسأله: " أين وجدتها؟"

خفض صوته ولف جسده كي لا ترى (فريدة) ما سيفعل، أراه السروال الداخلي القذر وأشار له أنه كان محشورًا في فم (فريدة) الذي سقطت منه تلك الوريقة. فهم (محمد) فهز رأسه مشيرًا له أن يخفي هذا السروال الآن كي لا تراه (فريدة) فهي في غنى عن نوبةٍ أخرى من نوبات انهيارها. أخفوا السروال و عادا لها بالورقة. ناولاها إياها من باب حرصهما على كشف جميع الأوراق وعدم البدء في إخفاء الأسرار عن بعضهم البعض. قرأت الورقة بأيدٍ مرتعشة وأعين زائغة قبل أن تنظر لهما بعدم فهم. شعر (محمد) بالغضب يجتاح جسده فجأة فهو المسؤول عن كل هذا. لاحظ (إياد) تغير نظرات (محمد) من التساؤل والحيرة للغضب. حاول تهدئته. أمسك الورقة من يده وأخفاها جيدًا. قبل أن يحاول أن يغير دفة الحديث متسائلًا: "كيف سنخرج من هنا؟"



هناك مثل شهيريقول: " أراد أن يكحلها لكنه أعماها." هذا بالضبط ما فعله (إياد) وهو يحاول تغيير دفة الحديث، لكنه كان كمن لكز دبًا غاضبًا مانحًا إياه سببًا للانفجار، صرخ (محمد) بصوتٍ جهوري: " أنتم ضحايا؟ أي ضحايا هؤلاء من يتلاعبون بشبابٍ قادهم الفضول؟".

صمت قليلًا وهو ينشج بعنف، قبل أن ينظر لـ (إياد) صارخًا: " لا أعرف كيف سنخرج من هنا؟ أتظاهر بالسكون والقيادة لكني خائف وربما أكثر منكما".

صمت لحظاتٍ، قبل أن يصرخ مرة أخرى: " لا أعرف، لا أعرف لماذا دخلنا هنا؟ ولا كيف سنخرج من هنا؟ لا أعرف ماذا سيحدث؟"

نظر لـ (إياد) متحاشيًا أن يرى عينيه المليئتين بدموع الغضب والكثير.. الكثير من الخوف الممتزج بالفزع، شعر (إياد) أن عليه التماسك في هذه اللحظة، فلا يجوز للكل أن يفقدوا أعصابهم في لحظةٍ واحدة، قبل أن يحاول التصرف انفجر (محمد) مرة أخرى: " سنخرج أيها الأوغاد، أعدكم أننا سنخرج من هنا وسنخرج سريعًا وسنترككم تتعفنون في هذا الجحيم، فهذا هو ما يليق بكم أيها الـ.... "

قبل أن يستكمل كلماته؛ كتم (إياد) صوته بيده وهو يقول له بحزم: " أعتقد أننا لسنا بحاجةٍ لإثارة غضبهم، نحن الوحيدون هنا الموجودين في موقف ضعف فلا حاجة لنا بإغضابهم"!



عضه (محمد) في يده، فأبعدها (إياد) سريعًا مخضبة بالدماء، بينما استمر صراخ (محمد) الذي صار كالمجنون بينما امتلأ فمه بالدماء وهو يقول: " أتعرفون، أعتقد أنكم تستحقون أن تكونوا ضحايا وحقًّا أحقد على جلادكم أنه لم يريكم القسوة على حق".

و كأنما ينتظره القدر أن ينهي كلماته: انقطع التيار الكهربائي تمامًا وعم الصمت المكان للحظات قبل أن يشعروا بباب الغرفة يُفتح، وشيء ما يمشي بخطواتٍ بطيئة رتيبة تبدو كأنها خطوات إلكترونية، صوتها الرتيب شق الظلام شقًّا، توقف الصوت وعاد الضوء مرة أخرى، أمامهم كان يقبع مهرج إلكتروني مطلي بالدماء، يترك خلفه أثرًا داميًا وهو يمشي، ساد الصمت للحظات قبل أن ينطفئ الضوء مرة أخرى، هذه المرة شعروا بكيانٍ مزعج يدلف للغرفة، شعور لا يمكن تفسيره، عندما عادت الكهرباء مرة أخرى، كان يقف أمامهم شيء آخر، أخطر و أكبر!!



## ((13-سلفانيلاميد ))

طفل صغير كأي طفل كان، صغير يلهو غير عابئ بالحياة ومصاعبها، ماله ومالها، ما زال صغيرًا على تحمل هرائها ومازالت قاسية على أن تدخل مستوى فهمه ليعيها ويتذوق مرارها.

يقولون أن (ألمانيا) تقود هجومًا كاسحًا على العالم، ماله هو ومال ألمانيا، المهم أن يختبئ من فرانك في لعبة الغميضة كي لا يمسكه.

يقولون أن (ألمانيا) تكتسح وتقضي علي الأخضر واليابس، المهم عنده ألا ينتهي قالب الشوكولاتة اللذيذ هذا.

يقولون أن الجيش الألماني على حدود المجر، طالما هم بعيدون عن محافظته فهو بأمان.

يقولون أن الجيش الألماني على حدود محافظته، طالما هم بعيدون عن قريته فهو بأمان.

يقولون أن الجيش الألماني على حدود قريته، طالما هم بعيدون عن بيته فهو بأمان.



يقولون أن الجيش الألماني خارج بيته، إذًا فهو بخطر!

كان عمره ما يقارب العاشرة تقريبًا حين اقتحموا بيته وأسروا أباه وأمه و(كاثرينا) الصغيرة ذات الأربعة أعوام، قريتهم كانت تجَمُّع للمعارضة، قوات المعارضة كانت تجتمع هنا وتضع خططها هنا، لكن حين حدث الحصار لم يكونوا هنا!

قادوهم للمعسكر بعرباتٍ خشبية قديمة، كان الجو باردًا ولم يتركوهم يصحبوا من ملابسهم ما يكفيهم، رعشات برد ورجفات صقيع اجتاحت الأجساد فآلمتها، تجمدت الدموع في العيون وتجمدت القلوب في الصدور، بعد وقتٍ مر عليهم كأبد الآبدين وصلوا للمعسكر الكئيب، مظلم ينذر بالموت، يقبض النفوس، نزلوا بالترتيب لينضموا لآلاف آخرين ينتظرون دورهم، وعلى وجوههم خيمت الكآبة ورضت بهم منزلًا.

بعد أن صوروهم وصنعوا لهم بطاقات تعريفية ووسموهم بأرقام تغني عن أسمائهم، أرقام ستحفر في نفوسهم للأبد لتطاردهم كأسوأ ذكرياتهم.

قادوه مع أبيه لمعسكر بينما اقتيدت النساء لمعسكر آخر، تلك كانت المرة الأخيرة التي يرى بها أمه والمرة الأخيرة التي يلمس فيها يد شقيقته، المرة الأخيرة التي يذق بها طعم الحنان ومعناه الأكيد، ألقوا بأبيه في معسكرٍ للسخرة بينما اقتادوه لغرف الغاز، طفل بكّاء نوّاح لا فائدة منه،



فلتلتهمه النارونكون قد أحسنًا الصنيع لها، قاطع طريقهم طبيب نحيل وسيم مبهج الطلّة، ابتسم للطفل وهو يربت على رأسه ويمد يده له بالحلوى، التهمها الطفل وهو يسير مع الطبيب لغرفةٍ قذرة عطنة تفوح منها رائحة البول، قضي بها أيامه بين أكل الفتات الذي يدخل له والتبول والتبرز في دلو قذر جعل من رائحة الغرفة جحيم لا يطاق، لحسن حظه أنقذوه منها قبل أن يختنق ويموت، ولسوء حظه قادوه لغرفة عمليات يشرف عليها (منيجيل) مع طبيبٍ شاب عرف فيما بعد أن اسمه: (زوركوف)

(زوركوف) كان عبقريًا، لكنه أضاع الشعرة التي تفصل بين الجنون والعبقرية، كان مجنونًا بعبقرية أو عبقري بجنون.

المهم أن رأسه لم يكن يحمل مخًّا عاديًا، كانوا يهابونه لأنه صامت لا يتحدث ولأنه غامض لا يمكنك توقع تصرفاته.

يهابونه لأنه لا يخطئ أبدًا ولأنه يحدث نفسه، لكنهم يحبونه لأنه مبتكر مجنون، صاحب أفكار ونظريات طبية ستثري العلم في ألمانيا النازية، هذا الرجل ورفاقه يحملون عماد الطب في ألمانيا النازية تجاه مستقبلٍ مشرق من وجهة نظرهم ومستقبل أسود على كل من ليس آري!

غسلوه ونظفوه وتركوه عاريًا كيوم ولدته أمه، أحرقوا ملابسه كلها وأعطوه غيرها، لكنهم طلبوا منه ألا يرتديها الآن، دخل (زوركوف) الغرفة



بدون كلامٍ، أمسك الصبي وفحصه بسرعة، أداره عدة مرات أمام بصره
قبل أن يمد يده بصمتٍ أمام ممرضٍ منشغل بقراءة بعض الأوراق،
انشغل عنه الممرض لثوانٍ وبنظرةٍ قاسية وبدون أي كلمات شعر الممرض
كأن (زوركوف) يخترق روحه، نظر له معتذرًا وهو يعطيه قلمًا أسودًا، فتح
(زوركوف) القلم وهو ينظر للممرض، أدار وجهه متفحصًا جسد الفتى
مرة ثانية سريعة قبل أن يضع علاماته على جسده، خطان أسودان
سميكان أحدهما على فخذه الأيمن والآخر على ذراعه اليسرى، و كما
دخل خرج، دون كلامٍ أو نقاش أو حديث مع أي كان، كان الرجل مهيبًا في
حضوره وأكثر مهابةً بصمته.

تحرك الممرض ليصحب الفتى من يده ويقوده لغرفة جانبية، عقمه
بها جيدًا، قبل أن يرتدي قفازين من البلاستيك الرقيق يتلثم بكمامة
طبية بيضاء اللون، و يقوده لغرفةٍ أخرى يسجيه فيها على فراش عمليات
يرتدي ثوبًا أبيضًا، انهمك بتوصيل بعض الأجهزة التي تقيس المعدلات
الحيوية، قبل أن يقيده جيدًا بواسطة أربطة جلدية متصلة بالفراش،
لاحظ الفتى أن الأربطة متهتكة ومغطاة بالدماء، شعر بالفزع يسري في
عروقه مجرى الدماء، كان يتابع الأمر منذ البداية من منظور الشخص
الثالث كأنه يشاهد فيلمًا أو عرضًا مسرحيًا، لكن حين ربطوه عاد له
منظور الشخص الأول، كان هو وكان فزعًا.. صرخ بشدة.




اقترب الممرض منه وحاول كتم صوته بيده، عضه الفتى وقد تملكته غريزته الحيوانية، صرخ الممرض بألم وهو يتأمل يده المجروحة وأسنان الفتى المتسخة بدمائه، لعنه و سبه وهو يتحرك ليحضر لجامًا جلديًا خاصًا بالكلاب، وضعه على وجه الفتى قبل أن يبصق في وجهه بغضبٍ وهو ينتظر الطبيب (زوركوف) الذي دخل للغرفة متلحفًا بردائه الطبي الأبيض، و كعادته كأميرًا للصمت كان صامتًا وفي أقصي درجات تركيزه، أمسك المشرط و تحرك نحو الفتى بهدوء.

تخدير!

هل تمزح، هل تعتقد أن كيانًا كألمانيا النازية سيضحي بقليل من المخدر من أجل إراحة فئران تجاربهم البشرية! إنهم يحرقون البشر أحياء يا فتى، لا يلتفتون لدين، مسلمين أو مسيحين كانوا.

دعك من أسطورة اليهود القميئة التي ملئوا بها العالم ضجيجًا هم كعادتهم كاذبون مولولون، عاهرات انتباه كما يقول الغرب، قالوا ملايين ولكنهم بضعة آلاف يُعدون على أصابع اليد، شأنهم طوال التاريخ يكذبون محاولين أن يضعوا نفسهم في خانة المظلومين لكنهم كلاب شرسة لا يجب أن نلتفت لهم، وإن ضحت (ألمانيا) النازية بحقنة من المخدر رأفة بحال الفتى؛ هل تعتقد أن طبيبًا كـ (زوركوف) سيضحي بها؟ أنت واهم يا صديقي!!



شق المشرط لحم الفتى، شقه بسهولةٍ وسرى فيه كما تسري الموسيقى لأذن مستمعٍ جيد، بدأت الدماء تظهر على استحياء، خرجت بضع نقاط تستكشف الأمر قبل أن يكتمل الفيضان، فيضان دماء تدفق من ذراع الفتى وفخذه، حاول أن يصرخ، أن يستغيث أو أن يصلي لكن الكمامة منعته، منعته من كل شيء إلا البكاء، بكى بحرقة واستنجد بجنون ولكن أحدًا لم يسمعه أو يرحمه!

انهمك الممرض في تركيب آلة تشبه الكلابات الحديدية وظيفتها الوحيدة أن تفتح الجرح قدر استطاعتها، شعر الفتى بألمٍ لا يوصف، ألم لم يمر به من قبل، ألم لا يوجد مثله إلا بالجحيم والجحيم فقط ، كان الجرحين مفتوحين على اتساعهما وانهمك في تجفيف سيل الدماء الذي فاض منهما، هدأت وتيرة الدماء المنهمرة قليلًا، فأشار الطبيب لأحد الأشخاص الذي يتابع الأمر من خلف حائطٍ زجاجي، لم يمر القليل ودلف له بصندوقٍ خشبي واسع، فتحه ليطالع ما يختبئ به، لمعت عيناه في فرحٍ غامر، مد يده ليعبث قليلًا فيما داخل الصندوق وهو يتأمل أعين الفتى التي تشتعل جنونًا وخوفًا، وكأن الخوف هو وقود الجنون، شعر بالحماس يدب في جسده، بدأ بحرص بإخراج بعض العلب البلاستيكية الصغيرة، بدأ في رصها بجوار بعضها البعض، بهدوءٍ وصبر كأنما يمتلك وقت العالم أجمع، كانت ابتسامته تتسع من تحت الكمامة كلما أخرج علبة ووضعها بجوار شقيقاتها، أنهى عمله قبل أن يشير للشخص أن



يخرج من الغرفة، أشار كذلك بطرفٍ خفي للممرض أن يرحل، أن يتركا له محرابه خاليًا، أن يمارس هوايته المفضلة في هدوء و صفاء ذهن، الأمر ليس سهلًا كما تعتقدون، الأمر في غاية الصعوبة!

فتح أول علبة، بدأ يتمايل برأسه كمن يستمع لموسيقى خفية تطربه وتشنف آذانه، تأمل المسحوق اللامع الراقد بداخلها، حبيبات زجاج مكسور ترقد في انتظار ضحيتها، بدأ يسكبها بداخل جروح الفتى وبقطعة من الإسفنج يحرص على ضغطها بلحمه جيدًا، يشعر بألمه ويطربه ويسمع أنينه المكتوم ويجفل بسعادة، أنهى الزجاج مهمته، وضع العلبة جانبًا بعد أن حرص على إغلاقها جيدًا، كان أنيقًا حتى في إجراء تجاربه المجنونة، فتح العلبة الأخرى التي تحوي قطعًا مسننة من الخشب، قطع آلمت الفتى كثيرًا وهو ينشرها بداخل جروحه المفتوحة، ألم فظيع، سكب القليل من الخل على الجروح قبل أن يفتح العلبة التالية، لم يكن الخل مهمًّا في عمليته، كانت مهمته الأبرز هي استكمال العذاب وانتزاع الآهات من قلب الفتى، العلبة التالية تحتوي على قطعٍ حديدية صغيرة تشبه الأسنان الحادة، انهمك بغرزها واحدة تلو الأخرى باستمتاع، لم يبق سوى القليل. اللمسة الأخيرة : أوراق شجر تالفة جافة بدأ بحشوها في الجروح، أنهى عمله وهو يضحك باستمتاع الرسام الذي انتهى من رسم لوحةٍ طرب لها قلبه، أشار للممرض فدخل الغرفة ليبدأ بخياطة الجروح، كان الفتى يشعر بألمٍ لا حد له، الألم يمزق عقله شر تمزيق،



أنهى الممرض خياطة الجروح وأنهى معها معاناة الفتى الذي سلم أمره أخيرًا للظلام يسيطر عليه علّه يريحه بعض الشيء من معاناته التي لم يفعل في سنين عمره القصيرة ما يستحق عليه هذا العذاب.

***

أفاق الفتى و يا ليته لم يفق، أفاق ليجد نفسه ملقى في غرفته السابقة مختنقًا برائحة فضلاته العفنة، منقوع في بركة من البول، و مغطاة مؤخرته بالبراز، آلمه جسده حين فكر مجرد تفكيرٍ في الحركة، تحرك ببطء لكن جروحه تؤلمه كما لو كان يسكنها شيطان مريد، استند بظهره على الحائط يتأمل جروحه التي تورمت وازرق لونها، تحولت أطرافها للون البنفسجي، حاول لمس جرح ذراعه لكنه لم يحتمل الاقتراب منه، صرخ بشدة، حاول أن يُخرج آلامه خارج جسده، تمنى لو تحرر من جسده ومن آلامه لكن عذابه لم يفارقه.

سمع صوت باب الزنزانة يفتح، كان عطشًا للغاية، مرر لسانه على شفتيه محاولًا تبليلها لكن عطشه كان قاسيًا، جسده متعرقًا بفعل الحرارة التي تسببها له الجروح، دلف ممرض للغرفة يحمل كوب ماء ورغيف خبزٍ يابس أعطاهما له، شرب كوب الماء كأنه جاءه من جنة



عدن، وبينما بدأ بالتهام الخبز اكتشف كم كان جائعًا، أكل ولم يشبع وشرب ولم يرتو، خرج الممرض وترك الباب مفتوحًا، دلف ممرض آخر إلى الغرفة يحمل بيده حقنة بها مادة حمراء اللون، حقنه بها وخرج بدون أي حديث، شعر بالمادة تسري بعروقه تحرقها، لم يعرف كنه هذه المادة لكنه دعا الله كي تكون تلك المادة علاجًا أو ترياقًا له، أكل وشرب وعولج، فلماذا لا ينام قليلًا!!

في مكانٍ آخر؛ دخل نفس الممرض لغرفة الطبيب (زوركوف) يعطيه تقريرًا بما حدث، أخبره أن عملية الحقن تمت بنجاح، تم إعطاء عينة التجربة ثلاث حقن حتى الآن، وأن العينة أفاقت بنجاح لكن حالة الجروح لا تبشر بالخير، صرفه (زوركوف) من الغرفة وانهمك في كتابة بعض الأشياء في تقريرٍ ورقي، أنهاه بعد دقائق قبل أن يخرج من غرفته متوجهًا لغرفة أستاذه وصاحب الفضل الأكبر عليه، ملاك الموت أو الشيطان الجميل (يوسف منيجيل) .

طرق الباب ودخل دون انتظار رد، ابتسم (منيجيل) حين رآه وأشار له أن يجلس، جلس أمامه وأخرج تقريره ليعطيه إياه، أزاح (منيجيل) تقريره جانبًا وهو يسأله: "أخبرني بما حدث؟"

عدل (زوركوف) من وضعه على المقعد، وهو يتكلم بصوتٍ هادئ تمامًا: " العينة 216 خرجت من غرفة العمليات منذ أربعة أيام، تم الأمر بنجاحٍ هائل، لم تمت العينة، وضعناه في زنزانةٍ عطنة ملوثة لمساعدة



الجروح على السوء والتقاط أكبر عدد ممكن من الأمراض والعدوى كما حرصنا على إبقاء الجروح مبللة كي تلتهب، بدأنا بإعطاء العينة 216 جرعات محددة من (السلفانيلاميد)، كما تعرف سيادتكم هذا المركب الصناعي له خواص المضادات الحيوية التي تعتبر أساس أدوية السلفوناميدات".

هز (منيجيل) رأسه وابتسامته تتسع: "كان عبقريًا منك هذا الأمر".

ابتسم (زوركوف) ولم يعقب، ترك أستاذه يستطرد: " أن تهدف لمحاولة إيجاد حل للجنود الألمان، يشفيهم طبيًا من جروح ما تسمى (الغرغرينا) التي تصيبهم أثناء الحرب بعد أن أجرى الأطباء داخل المعتقل، العديد من الدراسات للعديد من الأدوية للحد من انتشار العدوى، تأتي أنت بهذه الفكرة العبقرية، أن تقترح أن تتم التجربة بما يحاكي واقع المعركة، أن تقوم بصُنع جروحٍ قطعية، عميقة في أجزاءٍ متفرقة من أجساد السجناء، ووضع فيها كسر (فتات) زجاج، وأخشاب ملوثة كما لو كانوا جنودًا على الجبهة الآن، هذه هي قمة العبقرية من وجهة نظري".

شعر (زوركوف) بالإطراء، فقال بسعادة: " هذا شرف عظيم لي، لكم أشعر بالفخر".



قبل أن يستكمل حديثه سمعوا طرقاتٍ عصبية على الباب، دلف ممرض يبدو عليه الخوف وهو يقول: "العينة رقم 216 تكاد تموت، يصرخ بشدة والدماء تنفجر من فمه، ماذا سنفعل؟"

أشار (منيجيل) لـ (زوركوف) أن يتحرك، وقبل أن يخرج من الغرفة أخبره بصوتٍ هادئ: " حاول إنقاذه ولا تتلف العينة، لو عاش اتركه لربما اجربه في تجربةٍ أخرى، لا تقوده لغرف الغاز، لدينا نقص في فئران تجاربنا هذه الأيام، علينا أن نستعمل الفأر أكثر من مرة".

انفجر الاثنان ضاحكين وخرج من الغرفة.

كشف الفتى عن ذراعه وفخذه الذين تضررا بشدةٍ من تلك التجربة، كشفهما كي يراهما كل من في الغرفة بوضوحٍ، وهو يقول: " و هكذا أصبحت العينة 216 غير صالحة لأداء أي عملٍ آخر وتم إلقائي في الزنزانة صفر بعد أن نظفت جروحي، لا أدري هل لسوء حظي أم لحسن حظي لم أمت، ولكن ها أنا أقص عليك قصتي أيها الناجي الصغير كي تحملها أمانة تكشف بها ساديتهم وجنونهم المطبق".



# ((14- مهرج!))

حينما وجدوا أمامهم مهرجًا صغيرًا، لعبة من لعب الأطفال حاول أحدهم إضفاء الوحشية عليها، دماء كثيرة غطت ملابسه الصغيرة ولطخت وجهه الملطخ أساسًا بأصباغٍ باهتة، حرص هذا الشخص على صبغ قدميه الصغيرتين بالدماء كي يترك أثرًا مخيفًا أثناء حركته، كان هذا أمرًا مقبولًا رغم غرابته، مستساغًا رغم الأثر الكريه الذي تركه في نفوسهم!

لكن عندما عادت الكهرباء لتنير المكان، حينما أنار المصباح الغرفة، وجدوا هذا الشخص يقف أمامهم، مهرجًا شريرًا ضخم البنية يقف أمامهم غاضبًا، ينفث أنفاسه بغضب، يشبه الكلب الذي يستعد لدخول معركة، يزوم بغضبٍ ويتنفس بغضب، صدره يعلو ويهبط بجنونٍ لا ريب فيه، الغريب والمخيف أن وجهه لا تلطخه أي أصباغ، وجهه وجه مهرج، وجهه أبيض اللون، ليس مصبوغًا باللون الأبيض، هذا أمر مخيف، أنفه أحمر اللون ومستدير وكأنما هناك من أعاد تشكيله، شعر أخضر مجنون متناثر حول رأسه، أشبه بجوكر باتمان الشهير، لكن بدون أصباغٍ أو ألوان وبدون ادعاء الجنون.



ما يقف أمامهم مجنون بشكلٍ كامل، غريب بما يكفي لزرع أقصى معاني الرعب والفزع في قلوبهم. يقولون أن العين هي مرآة الروح. الشيء الواقف أمامهم هو الدليل الأسمى على هذا، عيناه المجنونتان تستطيعان سلب روحك لو نظرت فيهما بما يكفي.

كان يرتدي زيًّا لمهرجٍ عادي من ذاك الذي يأتي لأعياد ميلاد أبناء خالتك، لكن الفارق بينه وبين الآخرين هو أنه يبدو عليه كما لو كان قد استحم بالدم قبل أن يأتي، شعره معجون بدماءٍ قانية جافة، وجهه المشوه ملطخ بالدماء، يديه مليئتان بالدماء حتى المنشار الكهربائي الراقد بين يديه حده مليء بالدماء الطازجة الحديثة التي تقطر منه أرضًا!

نعم، لاحظوا هذا الأمر لكن متأخرًا بعض الشيء، هذا المهرج المجنون يمسك بيده منشارًا كهربائيًا ضخم، صحيح أنه لا يعمل لكنه مغطى بدماءٍ طازجة لم تجف بعد، هذا يضعهم أمام خيارين لا ثالث لهما، إما أن يخافوه بسبب الدماء التي تغطيه!

أو يخافوه لأنه مهرج شرير غاضب يتأملهم بغضب!

في كلا الحالتين شعروا بالخوف، الخوف الذي يغتصب أرواحهم بحثًا عن نقطة أمانٍ غير موجودة، الخوف الذي يغطي الجسد بعرقٍ بارد ويعطيك قشعريرة تسري في عمودك الفقري، نظر الثلاثة لبعضهم البعض وهم ينتظرون أن يتحرك هذا المهرج، الذي وقف يبادلهم



النظرات ويتجول بنظراته الغاضبة عليهم، ينخر في غضب. ينشج بغضب. مجنون غاضب!!

أتت الحركة الأولى منه هو، شد الحبل الموصل بمحرك المنشار الكهربائي فأعاده من سباته للحياة، دار حده بعنف مزمجرًا، صارخًا، حاملًا رسل الموت على نصله المخيف الذي يدور بعنف، بدأ يتحرك ببطء تجاههم، بخطواتٍ مرتعشة وأقدامٍ شلها خوف غامض بدأوا يتراجعون أمامه.

بهذه اللحظة اكتشف (إياد) مرضه (بالكولروفوبيا) أو مرض الخوف من المهرجين لأن أنفاسه بدأت بالاضطراب، آلمه قلبه، شعر به يحاول اختراق صدره، بدأت خطواته في الاضطراب بدورها نتيجة ارتعاش أقدامه، تعثر فسقط أرضًا على مؤخرته، راقب اقتراب المهرج له كالمسحور، لا يستطيع الحركة، اقترب منه المهرج قبل أن يخطو (محمد) الذي تراجع بدوره مع (فريدة) ليلتصقا بالجدار، حاول أن يحمله لكن ثقل جسده لم يساعده لكنه على الأقل أفاقه، لاحظ مدى اقتراب المهرج منه، كان أمامه فرصة صغيرة أن يستغل تشتت المهرج بمراقبة (محمد، وفريدة) ويجري من حوله ليخرج من الغرفة، ولكنه في تلك الحالة سيكون قد تخلى عن صديقيه، والله وحده أعلم ماذا سيقابل بالخارج؟ أو أن يقف ليتراجع معهما ليلتصق بالجدار متخليًا عن أي أملٍ في النجاة، ولأن لا أعز من الروح ولا أحلى من الحياة جرى (إياد) فجأة حول المهرج



الذي لم يتحرك وكأنه لم يلاحظه، كان يستهدف (محمد، وفريدة) وقف على باب الغرفة المغلق، ونظر لـ(محمد، وفريدة) قائلًا: " أنا آسف"!!

***

كان بإمكانه أن يحمل أي شيء ويضرب به المهرج، أن يدفعه بعيدًا عنهم عله يسقط على منشاره ويموت، أن يقاتله كي يبتعد عنهم، أن يشتته علهم يستطيعون الهرب لكنه اختار أسلم الطرق؛ الجبن.. الجبن هو الحل في هذه المواقف، ومن خاف سلِم!

فتح الباب متجاهلًا نظراتهم الهلعة. الغير مصدقة. المندهشة. المصدومة، فلتقل ما تريد فليس هناك كلام في العالم يكفي لوصف شعورهم، أكل السلم بدرجاته أكلًا، لم يكن يعرف أين سيذهب، تجاهل أو تناسى أن الأبواب و النوافذ كلها مغلقة، تجاهل الكائن الذي قابلوه، كان كل ما يهمه هو أن ينفذ بجلده.

أن يهرب.

انتهى السلم وانتهت معه الحيلة، لم يجد ما يفعله، فكر في الصعود للأعلى لكنه لم يعرف ماذا سيفعل، امتلأت عينيه بالدموع لكنه لن يسمح لها أن تهبط، مشى بغير هدي لا يعرف ماذا سيفعل قبل أن



تصطدم قدمه بشيء صلب، قفز فزعًا وكاد يصرخ لكنه تماسك، نظر للشيء الراقد أرضًا وهو يعرف الآن ماذا عليه أن يفعل!

***

داخل الغرفة كان الفزع حاضرًا، حاضرًا ليزاحم الرعب في القلوب، دقات قلبيهما ربما كانت أعلى من صوت المنشار، ارتعاش أقدامهما ربما زاد عن دوران النصل الحاد له، الشيء الوحيد الذي لم يكن له مثل أو يزيد كان الجنون الصافي الذي يلتمع في أعين هذا المهرج، اقترب منهما حتى حاصرهما في ركن الغرفة الصغير، حصارًا لا فكاك منه، بصوتٍ خافت قال (محمد) لـ(فريدة): "يجب أن نتفرق لنشتته".

أمسكت بيده بهلع؛ لاحظ برودة يدها ومدى ارتعاشاتها فقرر أن افتراقهما الآن ليس هو الخطة الأفضل لكن تمسكهما ببعضهما يعني موتهما، ربما الافتراق يعني نجاة واحد منهما فقط لكن السؤال الأهم الذي دق أبواب قلبه قبل عقله: "إذا استطاع هو الهرب بينما نال منها المهرج ومنشاره! هل سيستطيع العيش فيما بعد؟"

بإجابةٍ سريعة؛ قرر عقله أن يُغلِّب المنطق فأخبره أن تلك الأمور تمر، لذا خلق الله لنا نعمة النسيان!



و بإجابةٍ أخرى؛ قرر قلبه أن يُغلِّب العاطفة فأخبره أن تلك الأمور لا تمر، لذا خلق الله نعمة التذكر!

حاول أن يصل لقرارٍ، لكن نصل المنشار الذي يقترب منه ببطءٍ شديد أخبره أنه يجب أن يترك التفكير جانبًا الآن، ربما في وقتٍ آخر سنفكر جميعًا!

كان المهرج يتحرك ببطء كي يشبع جنونه، كأنه يملك الوقت كله، كانت عيناه تلتمعان بنشوةٍ لا مثيل لها وهو يراقب بكاء (فريدة) وصراخها، اهتزاز (محمد) وارتعاده خوفًا، كانت تلك اللحظة التي قرر فيها إنهاء الأمر تمامًا، رفع منشاره عاليًا وهوى به

وتفجرت الدماء!

***

أمسك (محمد) بالمسدس في غير تصديق، هل بعثه الله له في هذا التوقيت ليكون منقذًا لأصدقائه؟

هل وضع الله خطة الهرب في رأسه كي ينقذ أصدقائه من ذلك المهرج المجنون؟

هل سيستطيع أن ينقذهم ويكسب ثقتهم مرة أخرى؟



هل سيستطيع أن ينظر في وجوههم مرة أخرى بعد أن خذلهم؟

هل سيجرؤ على التصويب على ذلك الكائن المختل؟

هل قضى وقتًا طويلًا يسأل نفسه أسئلة وجودية لا يعلم إجابتها إلا الله؟

هز رأسه نافضًا عنها هم تلك الأسئلة، قبل أن يبحث بعينيه في سرعةٍ عن حقائبهم الملقاة جانبًا، وجدهم أخيرًا، أسرع إليهم كالممسوس وهو يبحث بكلتا يديه حتى وجد ضالته، مشط ذخيرة وضع في مكانه فالتقمه المسدس ورمى الفارغ أرضًا، أسرع للغرفة بخطى سريعة تأكل السلم أكلًا قبل أن يصل للغرفة المغلق بابها وبمجرد أن وضع يده على مقبض الباب؛ سمع صوت المنشار يعلو وصوت (فريدة) تصرخ بذعرٍ لا حد له، ذعر لم يشهد له مثيل من قبل!

ربما فات الأوان!

***

أغلق (محمد) عينيه وصرخت (فريدة) بذعر وهي ترى المنشار يهوي عليهم بسرعةٍ قبل أن تنفجر الدماء، أطلق (إياد) رصاصته الأولى أصابت يد المهرج التي تحمل المنشار فهوى به تجاه الحائط والدماء تنفجر من



يده، تهشم جزء من الحائط، حاول المهرج أن يرفع المنشار مرة أخرى برغم إصابته.

أمسك (محمد) بيد (فريدة) وهرعوا هاربين من تحت المهرج، في اللحظة الأخيرة قبل أن يهوي المهرج بيدٍ جريحة على الأرض بمنشاره فهشمها تمامًا، وقفوا خلف (إياد) الذي أمسك بالمسدس مصوبًا إياه تجاه المهرج الذي اشتعلت عيناه غضبًا، شعر (إياد) بيد (محمد) تجذبه، في اللحظة التي ضغط بها على الزناد، طاشت الرصاصة فأصابت قلب المنشار بدلًا من رأس المهرج، انفجر المحرك بصوتٍ عالٍ قبل أن يكف عن العمل معترضًا على إصابته، نظر له المهرج محاولًا أن يعيده للعمل مرة أخرى لكنه رفض تمامًا، ألقاه جانبًا وهو يزمجر بغضب، نظر (إياد) لـ (محمد) بحنق، وهو يقول: "هل أنت سعيد الآن؟ لقد أغضبناه".

كان (إياد) يعرف تمامًا أن مهرجًا مجنونًا مسلحًا أقل خطرًا من مهرجٍ غاضبٍ جريح!

أخرج المهرج من ملابسه سكينًا حادًّا لمع نصله قليلًا، صرخ وهو يتحرك بسرعةٍ للمرة الأولى محاولًا طعن (إياد)، جذبه (محمد) وجروا خارج الغرفة دون أن ينظروا خلفهم، أغلق (محمد) الباب وأمسك مقبضه بقوةٍ محاولًا منع المهرج من فتحه، لحظات عصيبة مرت، المهرج أقوى منهم جميعًا، حاول فتح الباب مرارًا و تكرارًا لكن الله وقف بجانبهم فمد (محمد) بالقوة اللازمة لمنعه، أخيرًا توقف المهرج تمامًا، للمرة الأولى



منذ ساعات يسود الصمت في تلك المصحة النفسية المجنونة بقاطنيها المتوحشين، ساد الصمت تمامًا وبدا كما لو أن المهرج صمت تمامًا، ربما يكون قد استسلم.

نظر (محمد) لـ (إياد) الذي يقف خلفه، ترك الباب برفق متمهلًا حذرًا لكن شيئًا لم يحدث، تراجع خطوة للخلف وهو لا يبعد الباب عن نظره، كان يدعو الله أن تمر الأمور على خير، لحسن الحظ شيئًا لم يحدث، استمروا في التراجع للخلف ببطءٍ شديد دون أن يبعدوا أنظارهم عن الباب، كان هذا حين شعروا بدفءٍ من خلفهم قبل أن يصطدم (محمد) بشيء صلب يقف خلفه.

وقف (محمد) مكانه مغلقًا عينيه متمنيًا من الله ألا يحدث ما يخشاه، كان هذا حين سمعوا الزئير المروع!

# ((15-ثيولات))

كانت وفاة والده هي نقطة التحول، لو كانت قصة حياته رواية لكانت وفاة والده هي ما يسموه العقدة، بينما زواج والدته من بينجامين – عمه القاسي – لم يكن حل العقدة، كانت عقدة أخرى فوقها، تضخمت العقد حتى كادت تبتلع حياته.

عاش أيامًا قاسية منذ مات أبيه، وجد مسؤوليته تزداد، بعد أن كان مسؤولًا عن اللعب مع أقرانه تحول لمسؤولٍ عن محل أبيه، مسؤول عن ثلاثة أفواه تنتظر طعامًا يسكتها ومسؤول عن أم عاقرت الخمر حتى صارت مسخًا لا وجود له، مجرد امرأة سكيرة تنتظره يوميًا على باب منزله كالكلب ليلقي لها ببضع عملات تسد جوعها للخمر، كان يعرف أن (جورج) يبيعها خمرًا مغشوشًا لكنه لم يهتم، آثر الصمت فخمر (جورج) رخيص، خاف أن ينبهها فتتحول لحانةٍ أخرى أسعارها أعلى، صمت وهو يراها تعود من الخارج كل ليلة ثملة تترنح قبل أن تستلقي على الأريكة وتنام، أحيانًا كانت تنام صامتة وأحيانًا كانت تتحدث وتصيح لكن كل هذا كان مقبولًا.

لكن حين عادت للبيت ومعها رجل ثمل، حاول اعتراضهما فشقيقتاه بالداخل نائمتان، ماذا ستشعران لو استيقظتا لتجدا أمهما بصحبة



رجلٍ غريب، حاول اعتراضهما فضربه الرجل، وقع أرضًا وجرحت رأسه. نظر لدمائه صامتًا باكيًا، كان صغيرًا على أن يتخذ موقفًا لكنه في تلك اللحظة، وفي تلك اللحظة تحديدًا عرف كم يكرهها!!

كان يومه تقريبًا لا يتغير، يفتح المحل في السابعة صباحًا، يأتيه (إيزاك) صاحب المحل المجاور في التاسعة ليتناولا طعام إفطارهما سويًا قبل أن ينهمك في العمل حتى الساعة الثالثة، يغلق المحل ولا ينسى وضع لافتة يعتذر بها للزبائن عن حلول وقت الغذاء، يشتري مستلزمات الغذاء يومًا بيوم، يحب الأكل الطازج، ينهمك في صناعة الطعام ويطعم شقيقتاه ويتأكد من استذكارهما لدروسهما قبل أن يهرع ليعود للمحل سريعًا، يفتحه مرة أخرى في حوالي الساعة السادسة ويستمر بالعمل حتى العاشرة، يعود للمنزل ليجد أمه تناولت طعامها وتركت له الأطباق متسخة!

تبًا لتلك المرأة، لا تستطيع حتى تغيير ملابسها لو تبولت على نفسها من شدة ثمالتها، يطمئن على شقيقتيه ويتناولوا طعام العشاء قبل أن يجلس على أريكةٍ قديمة ذات رائحة من كثرة قيئها عليها لينتظرها، عندما تدخل للمنزل ينصرف لينام، ينام ليبدأ يومًا جديدًا لا تتغير تفاصيله أبدًا.

أو هكذا كان يعتقد!...



يومًا ما تغيرت كل الأمور، سمعوا أن قوات الجيش الألماني النازية اقتحمت القرية المجاورة لهم، دمروها شر تدمير، يبحثون عن بعض الهاربين أو بعض رجال المقاومة، المقاومة التعسة التي تجتمع لتقرر ولا تنفذ.

سمعوا أنهم متجهين لقريتهم، كانت تلك القشة التي قصمت ظهر البعير، عاد للمنزل مبكرًا، كانت حوالي الواحدة بعد ظهر اليوم عندما دخل للشقة، أمه ملقاة على وجهها ولعابها يسيل من فمها المفتوح ليغرق الأريكة، تركها و توجه لغرف شقيقتيه، انهمك في حزم الأمتعة، المهم أولًا ثم الأخف وقبلهما الأقيم، انتهى من حزم أمتعة ثلاثتهما بحلول وقت عودتهما للمنزل.

دخلت شقيقتاه للمنزل، تأملتا أمهما، لم يكن غريبًا عليها أو عليهما، استقبلهما على الباب بالحقائب وقال لهما أنهم يجب أن يرحلوا، حكى لهما بشكلٍ مقتضب وأخبرهما أنهما يجب أن يرحلوا، يجب أن يصلوا للقرية المجاورة لهم قبل أن يحل الليل، أنهى كلماته ليلاحظ نظرة الرعب التي تألقت في أعينهما، نظر خلفه ليجدها تقف خلفه، شعرها ثائر حول رأسها، لعابها سائل من فمها وعينيها ضائعتان بسبب ما تشربه، الغضب يلتمع في عينيها، نظرت للحقائب فوجدتها ثلاث، نظرت لهم فوجدتهم أربع، سألته بغضب: "هل كنت ستتركني؟"



نظر لها وتجاهلها، حمل حقيبته وحاول الرحيل لكنها أمسكته، صفعته، وقع أرضًا، سال دمه من زاوية فمه، مسح فمه بكم قميصه، نظر للفتاتين وطلب منهما أن تحملا الحقائب وتنتظراه بالخارج، أغلق الباب خلفهما و دوت الصرخة!..

حين خرج، كانت يديه ملوثة ببضع الدماء البسيطة، مسحهما بمنديل قماشي وألقاه أرضًا، طلب منهما ألا تسألا فأخبرتاه أنهما لم تكونا تنتويان السؤال ورحلوا، كانوا ثلاثة رابعهم الصمت.

غربت الشمس وهم في منتصف الطريق، عن يمينهم غابة وعن يسارهم بحيرة، من أمامهم طريق مفتوح مهجور ومن خلفهم يرون النيران و يسمعون الصرخات، لقد أحسن وقت الرحيل، بحلول الفجر كان قد وصل للقرية المجاورة شمالًا بعيدًا عن قريته والقرية الأخرى التي اجتاحوها.

وصل ليجد الجيش النازي في انتظاره مبتسمًا، قبضوا عليه وألقوه مع شقيقتيه في عرباتٍ خشبية مهشمة تسير بقوة الدفع، وصلوا لمعسكر (أوشفيتز) بعد ثلاثة أيام قضوها دون طعامٍ أو شراب، ثلاثة أيام كالجحيم أو أشد طرًا، عندما وصلوا افترقوا.

فصلوهم بلا رحمةٍ أو هوادة، ألقوه في زنزانةٍ لا يخرج منها مع أقرانه سوى للعمل الشاق، يكدون في العمل حتى يشعرون أن أجسادهم ستنهار



لم يلقون لهم بضع فتات لا تسمن ولا تغني من جوع، حتى جاء اليوم المشهود، دخل بضع جنود للزنزانة التي ينامون بها، داسوا بأحذيتهم على أجسادهم، دهسوا البطون والوجوه، اختاروا منهم عشر وقادوهم للخارج، كان معهم ، كان من ضمنهم وكان خائفًا..!

قادوهم ليقفوا أمام طبيبٍ شاب ذا وجهٍ نحيل، أمرهم بخلع ملابسهم قبل أن يستبعد منهما اثنين عرفوا فيما بعد أنهم قادوهم لغرف الغاز لا للزنزانة، ربما كانوا أسعد حظًا منهم، قادوهم بعد ذلك لغرفٍ واسعة حيث ضربتهم خراطيم الماء لتنظيفهم، ولغرفٍ أخرى تشبه المكعبات الزجاجية قادوهم، غرف صغيرة حيث حوائطها زجاجية وسقفها زجاجي، في كل غرفةٍ دخل أحدهم وحول كل غرفة وقف طبيب وممرض يشاهدان باهتمام.

شعر بتلك اللحظة بشعور الحيوانات التي تؤسر لتوضع بأقفاصٍ في حدائق الحيوان، مر الطبيب النحيل مرة أخري وهو يفض غلاف إحدى قطع الحلوى ويلقيها بفمه ليلوكها بغير اهتمام، بنظراتٍ قاسية تفحصهم، تفحص أجسادهم العارية قبل أن يغادر ليجلس خلف جدارٍ زجاجي يفصله عن تلك الغرفة، أعطاهم إشارة البدء وبدأ الأمر!

***



سمعوا هسيسًا خافتًا للحظاتٍ قبل أن ينتبهوا لتلك الفتحة الصغيرة التي خرج منها غاز أصفر اللون، ربما يميل للون البرتقالي قليلًا. حاول أن يكتم أنفاسه لكنه تنشق القليل، كانت رائحته شبيهة بعض الشيء بالثوم أو البصل، مر بعض الوقت قبل أن يتنفس بعمق، كادت رئتاه تنفجران، هذه المرة لم يشم رائحته، ربما تبدد الغاز، لكنه لاحظ أن لونه لازال حاضرًا هائمًا في فراغ الغرفة الزجاجية. في البداية شعر بالحكة، جسده يحكه وتلقائيًا مد يده ليحك جلده ولكنه شعر بألمٍ رهيب، كأنه يحك جلده بمئات الإبر المعدنية، ألم رهيب يصيبه بالدوار و الغثيان! أم أن هذا تأثير الغاز؟

شعر بشيءٍ يحرق صدره أو لمزيدٍ من الدقة يحرق مجراه التنفسي، كأن أحدهم صب حمضًا في حلقه، شعر بالغثيان يزداد، استند بيده على اللوح الزجاجي، تلاقت عيناه مع الطبيب المنكب على تدوين تفاصيل ما يحدث له بالتفصيل الممل، شعر بالحمض يتصاعد سريعًا من معدته فلم يملك إلا التقيؤ، تقيأ كل ما كان بمعدته وزادها قليلًا حتى شعر أنه كاد يقيء معدته ذاتها.

أما القيء فمقدور عليه ولكن الإسهال حالة أخرى، أمر آخر، شعر بالخجل والفزع وهو لا يستطيع التحكم في جسده، شعر بالسائل المقزز يغطي قدميه بعد أن قفز من مؤخرته غاضبًا، حاول أن يختبئ و لكن أين له أن يختبئ في غرفةٍ زجاجية، دارت عيناه بفزعٍ يتأمل باقي الغرف



الزجاجية، منها ما كان مليئًا بالدماء، ومنها ما كان مليئًا بالدماء والخرء، كان هذا ما يراه قبل أن يشعر بالغاز يحرق عينيه، كأن أحدهم أدخل إبرة في حدقة عينه، ألم رهيب يجتاح جسده، حتى مؤخرته المسكينة طالها ألم قاتل.

غامت الدنيا أمام عينيه كأنه يشاهدها من خلف زجاجٍ بلوري معتم، لم يعد يرى باقي الغرف الزجاجية، على أية حال ليس هذا هو المهم، المهم حاله هو، يجب أن يجد مهربًا أو حلًّا من هذا الجحيم، قيؤه يزداد، تبرزه يؤلمه، جلده يحكه، عيناه أصابها عمى مؤقت من شدة الألم، حاول مسح الدموع التي تسللت من عينيه، كانت هذه هي اللحظة التي رأى بها يده، اللحظة التي اكتشف بها الحروق المؤلمة التي انتشرت بيده، رأى جلده يتقشر ويتساقط ليكشف لحم جسده عاريًا، لا يدري هل كان هذا أكثر ما أثار هلعه أم أن كمية الدماء التي سالت من جسده هي التي أرعبته أكثر؟ لا يهم، المهم أنه خائف... مرعوب... متألم!!

سقط أرضًا ينتحب، سقط وسط بركة مقرفة من دمائه وبوله وخرئه، سقط ليضيف لها القليل من دموعه، ترك جسده ينهار أرضًا فهذا الألم لا حمل له به، شعر بالظلام يحاول أن يحاصره، ترك نفسه له وتركه يسيطر على حواسه، على عالمه بأكمله ولكن قبل أن يسيطر الظلام على عالمه سمع جلبة، ضوضاءً مزعجة، صفير إنذارٍ وصراخ، فتحوا أبواب الغرف الزجاجية وجذبوهم، كانوا يرتدون أزياءً من تلك



التي لا تسمح لأي شيء أن يصيب الجسد، كرواد الفضاء. بذات حماية، جذبوهم لمنتصف الغرفة، ثمانية أجساد ملقاة أرضًا بلا حراك، فتحوا خراطيم الماء تضرب أجسادهم فتؤلمهم أشد ألم، تذيب أعصابهم الحسية من شدة الألم، يحاولون تخفيف حدة الغاز.

انتهوا من تنظيفهم، مر الوقت والثمانية أجساد بلا حراك حتى شعر صاحبنا أنه يريد أن يسعل، سعل فخرجت مصحوبة ببعض دماء تناثرت أرضًا بالقرب من وجهه، صاحوا بالطبيب الجالس بغضبٍ خلف الزجاج: "أحدهم حي لكنه يحتضر".

سمع الطبيب يصرخ بهم من خلف الزجاج في حنق: " ألقوه في الزنزانة صفروأحرقوا بقيتهم".

تساءل أحد الأطباء بصوتٍ منخفض: " لماذا ننقله للزنزانة صفروهو يحتضر، لنتخلص منهم جميعًا، سيكون هذا أسهل"

و كأنه سمعه صاح به بعصبيةٍ مفرطة، احمر وجهه وبرزت عروقه وهو يقول : "عله ينجو فنعرف هل من مضاعفاتٍ جديدة لا نعرفها عن هذا الغازأيها الأحمق"!

***



هكذا أتم الفتى حكايته وهو ينظر لـ (سامي) ويخلع قميصه ليريه حروقه التي حفرت جسده وشوهته، حروقه التي أنهت استقراره النفسي، أراه جسده بأكمله قبل أن يبتسم وعيناه تدمعان وهو يقول: " لولا هؤلاء الأشخاص ما كنت نجوت أو حييت، لولاهم لكنت نسيًا منسيًّا".

ربتوا على كتفيه، وأحدهم يقول: " تبًّا لعالمٍ فيه المسوخ خارج الأسوار، وضحاياهم بداخله أسرى"!

هزوا رؤوسهم في اقتناعٍ تام بكلامه دون أن يعقب أحدهم على أية كلمة مما قيل، كانت موافقة جماعية.



## ((16–ذو العيون وآخرون))

حين سمع (محمد) الزئير يأتي من خلفه تمنى من الله أن يكون أصابه السمع أو أن يكون قد أصابه مرضًا جعله يتخيل هذا الزئير، لكن نظرة منه في عيون (إياد، وفريدة) الذين تراجعا للخلف في هلع، أعينهم المتسعة رعبًا وأجسادهم المرتجفة هلعًا، تراجعه تجاه باب الغرفة التي يستكين بداخلها مهرج بائس شرير يريد قتلهم بسكينٍ حاد يجب أن يكون خوفًا من شيءٍ ما أخطر وأكبر.

هكذا فكر وهو ثابت مكانه كمن داس على لغمٍ يخاف أن يتحرك كي لا ينفجر فيه، حاول أن يتقدم خطوة للأمام لكنه شعر بيدٍ تمسكه من كتفه، نظر ببطء لتلك اليد الباردة لكن أكثر ما أثار هلعه هو العين التي كانت تنظر له بغضب، تلك اليد كانت تحمل عينًا تراقبه بغضب، تنظر له كأنما تريد قتله، انتفض جسده خوفًا وقفز ليجاور زملاءه، حينها وقعت عيناه على (الشيء) الذي يقف أمامهم، رجل ضخم البنيان جسده مليء بالعضلات، عارٍ تمامًا إلا مما يستر عورته، برغم ضخامته وجسده العاري إلا أن هناك شيئًا كان مميزًا أكثر منهما، شيئًا يخطف الأعين تمامًا، هذا الجسد توجد به مئات الأعين، كل الأعين تنظر بشراسة، لا ترمش إحداها مع الأخرى وكأنهن جميعًا لديهن إرادة مستقلة، شعروا



بالقشعريرة تغزو أجسادهم، هناك نوع من أنواع (الفوبيا) أو الخوف يسمى (تريبوفوبيا) أو رهاب النخاريب، لا أنصحك أن تبحث عنه على الإنترنت فلن يعجبك ما قد تراه، تخيل أن هذه الثقوب مليئة بأعين غاضبة تتأملك جميعًا، على الذراعين وعلى القدمين، الصدر، البطن، الأجناب وحتى الظهر، كان يحمل في يده سيفًا عاتيًا يلتمع بوحشية.

بمجرد أن ابتعد (محمد) هوى السيف مكانه تمامًا، نظر (محمد) للسيف الذي كاد يبدأ خصومة لن تنتهي أبدًا بين رأسه وجسده قبل أن يبتلع ريقه ويقول بصوتٍ خافت، وهو يتأمل هذا الشيء الذي ازداد غضبه : " ماذا سنفعل؟"

قال (إياد) بصوتٍ حاول أن يخفي العصبية فيه: "أرى أن ندخل للمهرج المجنون فسكينه أصغر، ومظهره ألطف".

كانت هذه هي اللحظة التي سمعوا فيها الباب يُفتح وسمعوا فيها ضحكة المهرج المجنون تتردد، شعرت (فريدة) بالفزع، قاومت ارتعاشة جسدها وقلبها الذي يكاد يمزق صدرها خوفًا وهي تنظر للمهرج المجنون الذي يلوح بسكينه يشق به الهواء شقًّا بينما (الشيء) ذو الأعين يرفع سيفه عاليًا وهو يلعق شفتيه بتلذذ، كانت أمامهم فرصة واحدة فقط للهرب من هذا الجحيم.



بنظرةٍ أشار (إياد) لـ (محمد) بعينيه على المهرب، كانوا يعلمون أن فرصتهم صغيرة ولكن أن تموت محاولًا النجاة خير من الاستسلام!

أمسك (محمد) بيد (فريدة) وضغط عليها بقوة، كانت عيناها دامعتين وفيهما نظرة يأس لم يرها من قبل، أشار لها بعينيه على السلم، لكنها لم تفهم، تحولت نظرة اليأس في عينيها لنظرة غباءٍ تستحق عليها جائزة الأوسكار لكن برغم كل شيء أشار لـ (إياد) أنهم جاهزون، لم تمر سوى لحظة حتى تحرك (إياد) بسرعةٍ خاطفة، جرى ناحية اليسار وسط ذهول الجميع، السلم مكانه يمينًا وهو يعدو يسارًا.

استغل (محمد) تأثير المفاجأة وجذب (فريدة) من يدها وهم يعدوان تجاه السلم، تشتت الوحوش بين هذا وذاك فاغتنم (إياد) الفرصة ودار حول (الشيء) محاولًا الهروب، لم ينس أن يدفعه بكل قوته تجاه المهرج، اختل توازن (الشيء) فكاد يسقط فوق المهرج الذي ابتعد عنه بغضب، كادت شرارة معركة حامية الوطيس تندلع بينهما ولكن لأن هدفهما واحدًا نحوا كل الخلافات الثانوية جانبًا منتظرين أن يصطادوا فرائسهم أولًا.

كان (إياد) نجح بخطته الصغيرة أن ينجو وينجي زملاءه من بين براثن هذه الأشياء، هبطوا درجات السلم في سرعة، كانت (فريدة) تصرخ خوفًا وهي تهبط درجات السلم بسرعةٍ مع (محمد)، صرخت فيه : " انتظر قليلًا، آلمتني قدماي"!



نظر لها نظرة لا نستطيع أن نجد لها وصفًا، وهو يصرخ فيها بعصبية: "فلترتاحي قليلًا إذا كنتِ تستمتعين بصحبتهما"!

أنهى جملته وهو يشير للوحشين اللذين يقفان على السلم يراقبانهم وهم يهبطونه بسرعة، توقف (إياد) في منتصف السلم فجأة، نظر له (محمد) بدهشة، رفع (إياد) حاجبيه وسمات التفكير تبدو على وجهه، وهو يسأل (محمد) بهدوء: "لماذا لا يطاردوننا؟"

أجاب سؤاله الشخص ذو العباءة السوداء ورأس التيس المغطاة بقطعةٍ من القماش الأبيض وهو يقفز أمامهم على السلم ويزأر بقوة، كان يسد أحد مداخل السلم بينما يترك الجهة الأخرى فارغة، أمسك (محمد) بيد (فريدة) وركض، تفاداه سريعًا، تبعهم (إياد) لكن لدهشته لم يحاول أن يمسك بهما، لمعت عينا (إياد) وهو يمسك يد (محمد) ليوقفه، نظر له (محمد) بغضبٍ وهو يصرخ فيه: " هل نأتي بمقاعد لنجلس بجوارهم، كلما تتاح لنا فرصة هرب تقف وتوقفني معك"!

امتص (إياد) غضبه بتوترٍ، وهو يقول: " إنهم يقودوننا لفخ يا محمد، ألا ترى أننا نساق ونوجه؟"

صرخت (فريدة) وهي تكاد تبكي من فرط الرعب: " فليسوقوننا للجحيم حتى، المهم أن نهرب منهم بأسرع ما يمكن، لن أقف لأتأمل خلقهم البائسة المرعبة وأموت خوفًا".



هرعوا يستكملون ركضهم وهم يسمعون خطوات (الشيء) ذي الأعين وقهقهات المهرج المرعبة وزئير الرجل التيس، كانوا يمشون خلفهم ببطء، بطء مخيف مرعب، حاولوا أن يهربوا لبابٍ آخر لكن ظهرت أمامهم.

سيدة نحيفة ذات وجه أشبه بالدمية، كانت ابتسامتها البلاستيكية مرعبة، المرعب أكثر من ابتسامتها كان أنها حقيقية تمامًا، وجهها كان بلاستيكي، لم تكن ترتدي قناعًا بلاستيكيًا فوق وجهها، كانت المرأة الدمية تمسك بيدها سكينًا معدنيًا ملوثًا بالدماء، كانت تلعقه باستمتاع غريب، عيناها تطل من خلف وجهها البلاستيكي لتلتمع بنكهةٍ جنونية لم يروها من قبل، لسانها الرفيع الذي يخرج من شق صغير يلعق السكين ويتلذذ بالدماء، كانت تقف أمام أحد الأبواب المفتوحة لتمنعهم من الاقتراب منها!

وقفوا أمامها يتأملونها برعبٍ، قبل أن يقول (محمد): " يا إلهي، ما هذا الجنون"!

كان (محمد) يشعر بالفزع يجتاح قلبه وترتعش قدماه بشدة، يقاوم الإحساس الذي يسيطر عليه أنه يكاد يبول على نفسه من شدة الخوف.

بينما (فريدة) ترتعد بطريقةٍ مبالغ فيها، تصطك أسنانها ببعضها البعض، تقاوم شعورها بالإغماء الذي يحاصر عقلها وتطرد الظلام الذي يتسلل لعينيها شر طردة.



(إياد) كان أكثرهم تماسكًا برغم قلبه الذي يكاد يشق صدره من كثرة الدق، كان يخيل له أنه يسمع صوت دقاته بينما يرتعد لكنه كان أكثرهم تماسكًا وصفاءً للذهن، كان باب غرفة جدران الدم مفتوحًا واللون الأحمر القاتم للدماء يناديهم، متعطشًا لخوفهم، جائعًا لفزعهم وعطشًا لهلعهم، تحركوا بخطواتٍ بطيئة للخلف، يتراجعون بظهرهم للمجهول بينما نصب أعينهم كائنات لا يعرفون كنهها، مخلوقات غريبة وخلق مشوهة، لم يعد أمامهم من مهرب إلا الباب، غرفة جدران الدم التي هربوا منها من قبل، ولكي يكتمل نصاب خوفهم: كتب على بابها بالدم:

((منها هربتم

وبها ستموتون

أمن الموت مهرب؟ ))

اصطدم بظهرهم حائط بارد، هذه المخلوقات البشعة تقترب، المهرج يضحك وهو يلهو بسكينه، رأس التيس يزأر بغضبٍ وعينيه تشتعلان غضبًا، المرأة ذات وجه الدمية تلعق سكينها بجنون، وذو الأعين يتأملهم بعيونه وهي تشتعل جنونًا، ماذا سيفعلون؟ أغلقوا عيونهم وكل منهم يردد الشهادة في سره، شعوز مرعب أن تنتظر موتك بلا أي قدرةٍ على المقاومة.

صرخت (فريدة) بهيستيريا: "النجدة يا رب"!



و كأن الله استجاب لها، وكأن النجدة كانت تنتظر صرختها، و كأنه ليس موعدهم مع الموت اليوم، دوت صرخة هادرة بصوتٍ قوي هادر: " يكفي"!

و توقفت كل هذه المخلوقات تمامًا، توقفت كأنها استجابت لصاحب الصوت، تحركوا ببطء بعيدًا عنهم، انزووا لأركان المصحة المظلمة، اختفوا كأنما لم يكونوا، دون نقاش، دون زئير، دون صراخ ودون غضب!

و في وسط الصالة وتحت السلم مباشرة وقف، وقف في الظلام مبتسمًا كأنه يملك العالم بما فيه!



## ((17- داخاو))

هو غجري!

ربما تكون هذه ليست هي البداية الأنسب لقصته لأنهم هنا كلهم شيء واحد. أسرى

أسرى حرب لم يرتكبوا في حياتهم ذنبًا يعاقبوا عليه سوى اختلاف سياسة دولتهم مع سياسة دولةٍ أخرى.

هكذا نحن الشعوب ضحايا الاختلاف السياسي على مدار التاريخ؛ بينما صانعو القرار يأكلون الكافيار ويصدمون كؤوس شرابهم متمنيين لبعضهم البعض دوام الصحة!

لكنه بدأ قصته بذكر أنه غجري، هكذا الغجر دائمًا يفخرون بهذا جدًّا، كان يجلس وسط عائلته أو قبيلته، يأكلون ويشربون حول النار، النساء عند النهر يغسلون الملابس والأطفال يعدون خلف بعضهم البعض مقهقهين ضاحكين.

كانوا قبيلة غجرية كأي قبيلةٍ أخرى، يهتمون بأمورهم ولا يختلطون بأي شخصٍ آخر، لا يدخل أي شخصٍ غريب لمعسكرهم على الإطلاق



سوى بعض الأغراب الذين يأتون لـ (ناديا) الغجرية قارئة الكفوف وأوراق التاروت!

(ناديا) قديمة، كالشجرة العجوز برغم كبر سنها إلا أن جذورها متمسكة بالأرض بقوة، امرأة عجوز منحنية الجسد، شعرها الطويل أبيض وعيناها تلتمعان بالذكاء، تنصب خيمتها على حدود المعسكر بعيدًا، يراقب الأولاد من بين أوراق الشجر الغرباء وهم يدخلون لها، منهم من يدخل ساخرًا ليخرج باكيًا غير مصدق!

منهم من يدخل حزينًا ليخرج فرحًا سعيدًا، لم يدخل لها فرد وخرج على حاله، كلٌّ يتغير، لا يظل أحد على حاله، (ناديا) كالدنيا، دوام الحال عندها من المحال.

جرب أن يدخل لها في مرة، كانت خيمتها مظلمة، معبأة بأدخنة البخور، يبدو أنها تضع شيئًا في بخورها لأنه شعر بدوارٍ خفيف، سمع من قبل أن الدجالين والسحرة يضعون مخدرًا في بخورهم ليؤثر على المتلقي ويسهل مهمة خداعه، جلس أمامها على المقعد، كانت تعبث في نارها وتقذف بها بأشياء، تقرقع النار بسعادةٍ فتتبسم (ناديا) برضا، قبل أن يتكلم نظرت له بحدة، نظراتها الحادة جعلت القشعريرة تصيبه فغض بصره عنها متأملًا الأرض من تحته، بصوتٍ حالم سألته: "هل جئت بشأن صوفيا؟"



لم يكن قد أخبر مخلوقًا عما يدور في ثنايا قلبه المتألم، دمعت عيناه وهو يهز رأسه موافقًا إياها، هطلت دموعه ببطء على وجنتيه لم يعرف هل يبكي أطلال قلبه المحطم أم أن الدخان قد أحرق عيناه، ابتسمت وهي تقول: "لا خير لك فيما لم يكتب لك"!

مسح عبراته وهو يسألها بحرص: "ألا يوجد أي أمل؟"

هزت رأسها وهي تلقي بالمزيد في النار التي قرقعت بعادةٍ فبادلتها (ناديا) الامتنان بابتسامة رضا، قبل أن تقوم من على كرسيها لتفتح له باب الخيمة وتقف بجوارها في إشارةٍ على أن المقابلة قد انتهت!

فرح (صوفيا) بالغد على هذا الوغد (باوليستا)، (صوفيا) بنت عمه وحب حياته، كان متأكدًا أن هذا الوغد قد قام بسحرها، رآه من قبل يتحدث مع بعض السحرة المشهورين بأعمالهم القذرة، خرج دامع العينين ذليل القلب ليلقي بجسده بتهالك بجوار شجرةٍ عملاقة خضراء أوراقها، كاد يبكي لولا سمع جلبة شيطانية، من بين دموعه رآهم، ثلاثة ضباط ألمان يتطوحون سكارى وقد أرهقتهم الثمالة، يدخلون لـ (ناديا) صوتها يزعق في غضب، ضحكاتهم الساخرة، صوت صفعة، يخرجون ووجه أحدهم محمر!

نصف ساعة فقط وكانت قواتهم تثير الخراب تزرع الدماريين جنبات المعسكر، بعد أن انتهوا كانوا قد أحرقوا خيامهم، ذلوا نساءهم وضربوا



رجالهم وأهانوا أطفالهم، ماتت ماشيتهم وسرقت أموالهم، هتكوا أعراضهم وأراقوا شرفهم بالتراب، وحين انتهوا نظروا لـ (ناديا)، لم يهنها أحد لكن رصاصة صغيرة زينت منتصف جبهتها بثقبٍ كان امضاءً للموت وبوابة لمغادرة روحها لعالمنا، ماتت (ناديا) كما لو كانت كلبة صغيرة!

قبل أن ينتهوا منهم هبط طبيب مستدير الوجه ناعم الشعر، ملامحه قاسية كالصخر، تجول بينهم للحظات قبل أن يختار منهم عشر شباب أقوياء الجسد، كان منهم فتانا العاشق، كان جسده قويًّا وعضلاته بارزة، قادوهم كالخراف لمعسكر عرفوا فيما بعد أنه معسكر (داخاو)، أحد أقسى معسكرات النازية وألعنها.

وفي ليلةٍ سوداء مظلمة توارى فيها القمر خائفًا ألقوهم بزنانة واسعة يشرف عليها الطبيب (هاينز) شخصيًّا.

هاينز بومختور... أحد أقسى أطباء النازية وأكثرهم شرًّا!!

***

تركوهم في هذه الزنزانة لمدة خمسة أيام، لا طعام ولو لقيمة صغيرة، ولا شراب ولو رشفة ماء، تركوهم بدون حتى أي أوامر، هكذا ملقون كخرق القماش البالية، مجموعة من السجناء الذين لا يفهمون بأي ذنبٍ جلبوا هنا !



مجرد شباب غجر لا يفقهون حتى لغة الجنود. في البداية تحدثوا، ثم اختلفوا. تفجر الغضب فتشاجروا. تعبوا فناموا، جاعوا فنادوا الجنود. تجاهلوهم فغضبوا، تشاجروا فتذكروا جوعهم، وهكذا إلى أن مرت عليهم الأيام وهم جائعون عطشى يتوقون ولو للقيمة صغيرة محشوة بالتراب.

فكروا أن يشربوا من بولهم أو أن يأكلوا برازهم، لكن أجسادهم القوية أبت الفكرة وساعدتهم على التحمل، في بداية اليوم السادس سمعوا المفاتيح تفتح الأبواب المعدنية، صر الباب في عنف كأنه فرح لفتحه للمرة الأولى منذ خمسة أيام، قاموا من نومهم يتلمسون الانتباه، دخل خمسة من الجنود، ثلاثة ليحموا زملاءهم، الاثنان الآخران كانوا يحملون دلاء من الماء، دخلوا وخرجوا عدة مرات إلى أن استقر الأمر على عشر دلاء رصت بجوار بعضها البعض.

خرجوا من الغرفة والشباب متوقفون، لا يتحركون خشية إيذاء أو غدر، أخيرًا تحرك أحدهم بحرصٍ وعيناه على الباب مثبتتان تراقبان أي رد فعل غريب، وصل للدلو فخطفه بقوةٍ واتجه لأحد الأركان سريعًا غير عابئ بالماء الذي سال من الدلو، انتحى جانبًا ورشف رشفةً من الماء قبل أن يبصقها بقرف وهو ينظر لزملائه قائلًا بغضب: " يسقونا ماء البحر المالح.. الخنازير"!



لم يصدقه الآخرون، ربما لفضولٍ بشري قتل القط كما يقولون أو ربما لأنهم خافوا غدره، خافوا أن يكون قد أبعدهم عن الدلاء كي يشرب وحده حتى يرتوي، ذاق كل منهم رشفة ماء قبل أن يبصقها بقرف، جلسوا أرضًا يستندون بظهورهم للحائط في يأسٍ وكل منهم يبادل الآخرين النظرات، أخيرًا قام أحدهم وقد اتخذ قراره، كان العطش قد تملك منه حد الجنون، أمسك الدلو وشرب حتى شعر بالشبع، لم تمر لحظات إلا وكان الملح قد زاده عطشًا على عطشه!

تقيأ بعنفٍ بجوار الجدار قبل أن يجلس بجوار زملائه شاعرًا بالوهن، جلسوا ينظرون لبعضهم البعض، الجوع والعطش يقرصون بطونهم، الدوار يكتنف الرؤوس والإعياء يحتل الأجساد، أما لهذا العذاب من نهاية؟

لم يعد أمامهم حل آخر، شرب كل منهم وحاولوا ألا يقيئوا، أخيرًا ثبتت المياه المالحة في حلوقهم ومرر الملح طعم أفواههم، جلسوا لاعنين اليوم الذي قادوهم فيه لهذا المعسكر.

استمر الوضع لعدة أيام حتى بدأ الدوار، العالم يدور من حولهم، الصداع يضرب رؤوسهم، الدموع تملأ الأعين والإعياء يهاجمهم، الوهم يسيطر عليهم، حاولوا التماسك لكن الضعف معدي، الضعف هاجمهم فجلسوا أرضًا خائري القوى لا يقدرون حتى على الكلام.



العطش الشديد يقرص بطونهم فتتلوى معداتهم ألمًا. جف ريقهم تمامًا ولم يعد به من لعابٍ يسيل. الدوار فرض سيطرته على العالم فصار ملكًا وجعل من الصداع فرضًا يجب على كل محكوميه أن يلبوه صاغرين. دمعت عيونهم فزادت قلوبهم وجعًا. كانت صدورهم ترتجف. في البداية اعتقدوه بردًا ثم برروه وهنًا.

لكن الحقيقة التي لم يدركوها أن الجفاف يسيطر عليهم. يأسرهم كرعايا بلا حقوق. اختفى عرقهم تمامًا وأصبح بولهم داكنًا كلون الكهرمان. استمر الوضع لأيام. عذاب حسي و جسدي. حرمان من الطعام ودلاء من الماء المالح فقط. أنهكهم الإعياء فصاروا كعرائس (ماريونت) انقطعت خيوطها فشُلت تمامًا. تركوا لهم الأبواب مفتوحة. زحفوا أرضًا كي يخرجوا. رغم قوتهم إلا أن أجسادهم كانت قد استسلمت.

يذكرون أنه في يومٍ كانوا يمسحون المكان. عملية نظافة عادية تكرر مرة في الأسبوع. زحفوا كالمجانين ليلعقوا المياه الممزوجة بصابون التنظيف. لكن (هاينز) كان عبقريًا حد الجنون فأمر بالقيام بعمليات التنظيف باستخدام الماء المالح أثناء فترة إجراء التجربة. بدأت أجسادهم تستسلم للوهن تمامًا. بدأ الظلام يأخذهم بلا رجعة. مات منهم من مات. تبقى ثلاثة من عشرة فقط لم يموتوا. حين جاءتهم الأوامر من (أوشفيتز) أنهم بحاجة لأسرى للقيام بتجارب. سقوهم ماءً عذبًا.



هؤلاء الثلاثة رشفوا حتى ارتووا. ألقوا لهم ببضع لقيماتٍ لم تسد جوعهم القارس لكنها كانت كافية ليظلوا على قيد الحياة.

شحنوهم كالخراف في عرباتٍ خشبية متهالكة لم تقيهم شر البرد، مات أحدهم في الطريق بينما قادوا الاثنين المتبقيين لمعسكر (أوشفيتز)، مات الآخر أثناء تجربةٍ أخرى بينما القوا الفتى العاشق هنا في الزنزانة صفر.

كان هذا هو الذي ضرب الفتى حين دخل، الألم يدمي القلوب والغضب يعمي العيون، ضرب الفتى لأنه رأي فيه ابن (صوفيا و باوليستا)، بالطبع لا يعلم مصيرهما لكن الشيطان صورها له هكذا وهو رآها فاندفع كالثور الغاضب.

كان يحكي قصته وهو جالسًا منكس الرأس وحيدًا، كانوا كلهم يسمعونه بلا أي رد فعلٍ سوى بعض مظاهر التأثر على بعض الوجوه.

أنهى العاشق كلماته، هكذا انتهوا جميعًا من قص قصصهم و حكي حكاياتهم، هكذا انتهى وقت الحكي والكلام وحان موعد الأفعال.

تأكد الرجل من أن (سامي) حفظ حكاياتهم عن ظهر قلب، تأكد أنه لم ينس حرفًا مما سمع وتأكد أن لن ينسى حرفًا مهما حيا، ذكره بأخته، توأمه التي ماتت وتأثره بعذابها، ذكره بأمه التي قادها حظها للموت أمام أعينهم بلا رحمة.



تأكد أنه لن ينسى أي شيء، أي شيء مهما كان صغيرًا، كان (سامي) قد نسى كل شيء في حياته إلا أنه الناجي، حفرت كلماتهم وتجاربهم وآلامهم في قلبه الصغير بحروفٍ من ألمٍ وذل وهوان!

احتضنوه واحدًا تلو الآخر، احتضنوه ربما لأنها المرة الأخيرة، سيموتون في سبيل نجاته.

سيموتون في سبيل هروب الناجي الصغير.



## ((18-المصحة))

الصمت حضر ملكًا متوجًا على المكان، الجميع صامت تمامًا، الممسوخ انسحبوا بصمتٍ ليتواروا في الأركان المظلمة، يبتلعهم الظلام فيتجشأهم سكوتًا.

أما هو فوقف في منتصف الصالة أسفل السلم بثقة ملك، منتصب الظهر مرفوع الرأس، راقبوه بأعين تنتفض هلعًا وراقبهم بأعينٍ تفيض ثقةً، كان يبدو كمن ملك المكان، يبدو كمن توج أميرًا على الزمان فلا يمر الوقت إلا بإذن منه.

راقبوه بهلعٍ وبأجسادٍ مرتعشة انتهكها الخوف فضعفت، أخيرًا تشجع (إياد) فابتعد عنهم قليلًا واقترب منه بهدوء، يرتعد خوفًا بداخله لكن خارجه صلدًا متماسكًا، نظر في عينيه لوهلةٍ قبل أن يجول على جسده المجهد، ملابسه الممزقة، رأسه المربوط وذراعه المعلق قبل أن يسأله بهدوء: "من أنت؟"

ابتسم الرجل بحزن، وهو ينظر للأسفل يتأمل طرف حذائه: "هل ستصدقني إذا قلت لك أنني لا أتذكر؟"

بدون أي تفكير اندفع (إياد) قائلًا: " لا بالطبع، لن أصدقك"!



أمسكه (محمد) من الخلف واضعًا يده على كتفه مهدئًا إياه، بأي حالٍ من الأحوال هذا منقذهم، همس له (محمد): " اهدأ قليلًا يا صاحبي، الرجل يبدو منهكًا".

بعصبيةٍ صاح (إياد) وهو ينظر للرجل متحديًا إياه: "منهكًا أم لا، أريد أن أعرف لِمَ سمعت هذه الوحوش لكلماته؟ لماذا أطاعوه؟"!

كان الرجل ينظر لهم بصمتٍ، وقد سالت دمعة على وجنته، دمعة حزن جرحت قلب (فريدة) التي توجهت لـ (إياد) ممسكة بيده، تجاهلت نظرة (محمد) النارية لها وهي تقول: " فلنهدأ قليلًا ونستمع للرجل، يبدو أن لديه ما يقوله".

ظهر على وجه الرجل الاهتمام، وهو يقترب منهم ليتأمل (فريدة) بأعينٍ جزعة وهو يقول : "مالكِ يا صغيرتي ، لماذا ترتدي هكذا؟"

ظهر على وجهها الحرج، لكن (محمد) أجابه بهدوء محاولًا تمالك نفسه: " قصة طويلة سنقصها لك إذا أخبرتنا؛ من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟"

قفز (إياد) كالملدوغ و قد تنبه لهذا الأمر، أمسك الرجل من رقبته وهو يكاد يخنقه قائلًا: "كيف دخلت إلى هنا يا هذا؟"!

احتقن وجه الرجل وحاول أن يدافع عنه نفسه بيده الحرة لكن (إياد) كان قويًا بحق، احمر وجهه لكن (محمد) تدخل سريعًا وهو يفصل



بينهما ويقود (إياد) بعيدًا مهدئًا إياه، سعل الرجل بعنف وهو يلتقط أنفاسه، وجه أنظاره لـ (محمد) شاكرًا إياه بصوتٍ مرهق: " أشكرك يا صديقي، أدين لك بواحدة".

هز (محمد) رأسه متفهمًا ودعا الرجل للبدء بالحديث، دفعه (إياد) بعيدًا وهو يشير للرجل على عينيه في إشارةٍ معناها أنه تحت المراقبة، جلس الرجل أرضًا وبدأ يقص عليهم قصته الصغيرة.

***

فتح عينيه ببطء والضوء يغشيهما فتنغلقان بخجل، حاول أن يحرك يده ليضعها أمام عينيه لكن ألمًا حادًا ألمَّ بها، تأوه بألمٍ ونظر عن يمينه فوجد ممرضة سمينة، سمراء لا مبالية تقف بجانبه تراقبه، نظر لها وهو يحاول أن يرفع يده التي تؤلمه متسائلًا: "هل لي في القليل من المساعدة؟"

نظرت له بعدم اكتراث، وهي تمط شفتها السفلى وتقول: "يدك مكسورة"!

هز رأسه خائب الأمل، وهو يقول لها: " أريد أن أعتدل على الفراش، لم أطلب تقريرًا طبيًا".



نظرت له وهي ترفعه عن الفراش؛ لتعدل من وضعه قائلة: "أصابك ارتجاج في المخ، لكنه كان بسيطًا".

نظر لها وهو يرفع حاجبيه بدهشة: " لم أسأل والله"!

نظرت له بغضبٍ وهي ترحل قائلة: "هناك كدمات وسجحات بجسدك أيضًا".

نظر لها مندهشًا قبل أن يأتيه صوت قوي من الجانب الآخر، انتفض جسده هلعًا فهو لم يتوقع هذا، ظن أنه وحيدًا بالغرفة، بلغة تقريرية أخبره صوت الممرضة الأخرى الخشن: "سيارتك تدمرت تمامًا".

تركته ورحلت وهو يهز رأسه مندهشًا ويبحث في باقي الغرفة عن آخرين مختبئين قائلًا لنفسه: "هل هذا مشفى المتخلفين عقليًا؟"

بعد عدة دقائق سمع طرقًا على الباب، فُتح الباب ودخل طبيب شاب مبتسم يحمل بيده تقريره الطبي، توقف أمامه وهو يقول: "كيف حالك الآن يا سيد هادي؟"

تأمل الرجل الغرفة قبل أن ينظر له بدهشةٍ قائلًا: " أنا السيد هادي؟"

ظهرت على ملامح الطبيب الشاب الدهشة وهو يقول: "ألا تتذكر؟"



هز الرجل رأسه قبل أن يقول: " للأسف أنا لا أتذكر أي شيء، ما الذي حدث لي؟"!

حك الطبيب رأسه لوهلةٍ قبل أن يقول: " يبدو أنك ستخضع لمزيد من الفحوصات، يبدو لي أنك فقدت الذاكرة؟"

ابتسم هادي بحزن، وهو يقول: " يبدو، ألم تتأكد بعد؟"

شعر الطبيب الشاب بالخجل وهرع ليخرج من الغرفة، ناداه (هادي) بغضب: " أنت يا .... ، أنت يا هذا، فلتهدأ قليلًا وتقل لي ماذا حدث ومن أنا؟"

توقف الطبيب قليلًا، وهو يقول: " أنت الطبيب هادي محمد السيد، من القاهرة، طبيب نفسي، انقلبت بك سيارتك منذ أيام ومن وقتها وأنت ضيف الغيبوبة ويبدو أنك فقدت الذاكرة نتيجة الارتجاج".

صمت (هادي) قليلًا وعيناه تلتمعان كأنما وجد ضالته: "طبيب نفسي... المصحة"!

سأله الطبيب بدهشة: "أي مصحة؟"

ابتسم (هادي) وهو يتمتم بصوتٍ خافت: " يجب أن أكون هناك في أقرب وقتٍ ممكن".



***

نظر له (إياد) بقسوة وهو يقول: "حسنًا، حكاية لطيفة وبها عظة وعبرة، لكنك لم تجب السؤال الأهم، كيف دخلت إلى هنا؟"

هز (محمد) رأسه كأنه انتبه لوهلة أن (هادي) لم يجب على السؤال الأهم، فسأله: "أجل، كيف دخلت إلى هنا؟"

صاح (إياد) بغضب وهو يقول: "يجب أن تجيبنا الآن وفورًا وإلا" ....

أكمل (محمد) حديثه: " أجل، يجب أن تجيبنا الآن وفورًا".

نظر له (إياد) بضيق: " وماذا تكون أنت؟ صدى لصوتي؟"

ابتسم (هادي) رغمًا عنه، وهو يجيبهم: "لا أتذكر كيف دخلت إلى هنا؟"

اختفت ابتسامته ولاحت في عينيه نظرة حزن على عجزه، وهو يطرق برأسه أرضًا، صاح به (إياد) بغضبٍ قائلًا: " اسمع يا هذا، هل ستقنعني أنك تذكرت قصة حياتك منذ استيقظت في المشفى ونسيت كيف دخلت هنا منذ دقائق؟ حسنًا دعنا من هذا السؤال وقل لي: لماذا سمعت الوحوش كلامك؟"!

صاح (محمد) خلفه: " أجل، لماذا سمعت الو...... "




نظر له (إياد) نظرة نارية، وهو يقول بغضب: " أقسم لك بالله أنك إن أكملت حديثك سألقيك وحيدًا في فك هذا المهرج المجنون أو بين براثن هذا الرجل التيس، اصمت".

صمت (محمد) وصمتت (فريدة) بدورها خشية انفجار(إياد) بغضب مرة أخرى، أجابه الرجل: "أقسم لك أنني لا أعرف كيف دخلت إلى هنا؟ لا أعرف لماذا أنصتت لي هذه الوحوش؟ كل الذي أعرفه أنني وجدتهم يكادون يفترسونكم، أضعف الإيمان كان أن أحاول إيقافهم ولو بصيحة مني ويبدو أن الله استجاب لي، من الأفضل أن تشكروني لأنني أنقذت حياتكم".

أجابه (إياد) بضيقٍ، وقد انتبه لأنه فعلًا أنقذ حياته ويجب أن يكون شاكرًا له: " أنا لا أحبك، ولا أثق بك".

قالت (فريدة) بتعبٍ: "أنا مرهقة، أريد أن أنام قليلًا".

هز الجميع رؤوسهم، قال (إياد) وهو يتثاءب:." أنا سأحرسكم، لن ننام ونترك أنفسنا فريسة لهؤلاء الوحوش، إذا شعرت بالتعب فأقوم بإيقاظ (محمد) ليتولى مسؤولية الحراسة قليلًا".

رفع (هادي) يده، وقال: "من الممكن أن أساعدكم".

أجابه (إياد): "عليك أن تدعو الله فقط ألا أقتلك أثناء نومك".



مط (هادي) شفتيه بغضبٍ، وهو يدير ظهره للجميع متوسدًا ذراعه غارقًا في النوم سريعًا، مرت لحظاتٍ قليلة قبل أن ينام الجميع بعمقٍ و(إياد) يقاوم النعاس متوليًا أولى دوريات الحراسة.



## ((19-الناجي الصغير))

كان الأمر سهلًا للغاية، بهدوء كسروا الدلو الصغير المعيّن لقضاء الحاجة لقطعٍ صغيرة، بضع ضرباتٍ في حائطٍ صلب و كانت النتيجة تحطمه تمامًا، استلوا أجزاءً منها، ابتسم الفتى الصغير الذي اغتصب والدته الثور وتقدم للمنتصف، رمى القطعة الخاصة به أرضًا وهو يقول: "أريد أن أضحي بنفسي من أجلكم، أريد أن أموت".

لم يكونوا في موضع للنقاش ولم يكن لديهم حرية الاختيار ورفاهية القرار، ثم إن الفتى تطوع فمن منهم يجرؤ أن يثنيه عن قراره، فالله وحده أعلم متى سيترشح أو يتطوع واحد آخر منهم.

دمعت عيناه فأدمت قلوبهم جميعًا، أخذ الرجل المترجِم الصبي الصغير (سامي) بعيدًا، وضع يديه على أذنيه وأمره بإغلاق عينيه ريثما ينتهوا جميعًا، لم يستغرق الأمر وقتًا كثيرًا ولم يستدعهم أن يبذلوا جهدًا كبيرًا.

كان الفتى ميتًا قبل أن يموت، ذبلت روحه وانتحرت نفسه بداخله، خنقه إحساس الذل والهوان والانكسار بحبالٍ سوداء التفت على رقبة كرامته فقتلتها في الحال، على الفور انهار بعد عدة طعنات، برغم ألمه



النفسي ورغم الجروح التي ملأت جسده ورقبته مات مبتسمًا، توقف صدره عن الحركة وتوقف قلبه المنكسر عن الحياة كأنما كان ينتظر الفرصة بفارغ الصبر، لطخ الجميع وجوههم وأيديهم بدمه قبل أن يواروا الجثة أحد الأركان المظلمة القذرة، جلس الفتى في الركن مغلقًا عينيه وواضعًا يديه على أذنيه بعد تخلي الرجل عنه وانضمامه لزملائه.

توجهوا بتدافعٍ محكم تجاه باب الزنزانة، صفعوا الباب وطرقوه وصرخوا بهيستيريا غير طبيعية، صرخوا بجنون كأنما الموت يلاحقهم، فتح الجندي الباب.

بنظرةٍ سريعة عدوا جنود الحراسة، جنديان لا ثالث لهما في هذا الوقت المتأخر، صرخوا بالجندي أن زميلهم نزف من فمه وأنفه وجميع فتحات جسمه حتى الموت، وأن جسده الآن يتورم حد الانفجار، أخبرهم من خلف الفتحة الصغيرة من الباب أنه سيذهب ليخبر أحد الأطباء.

رجوه أن يفتح الباب ليرى مظهر الجثة المقزز لكي يستطيع أن يخبر الطبيب بما حدث على أكمل وجه، تردد الجندي للحظة لكن الرجل المُترجم قال للجندي أن الطبيب يجب أن يأخذ حذره ربما كان الأمر معديًا، أخذ الجندي قراره، سيدخل خطوة واحدة فقط تسمح له أن يرى المنظر قبل أن يذهب ليستدعي الطبيب المختص.



كان الأطباء في اجتماعٍ مغلق مع (منيجيل) لكن طبيبًا أواثنين دائمًا ما يكونون متاحين لأي ظرفٍ طارئ ، دخل الجندي بجسده مشهرًا سلاحه أمامه وزميله من خلفه يراقب الوضع مستعدًّا لأي غدر، بمجرد أن دخل الجندي، حاولوا إغلاق الباب عليه وطوقوه بالقوة، حاولوا جذب سلاحه منه، حاول المقاومة بينما ضرب زميله طلقتان قبل أن يمسكوا بهما وينزعوا منهما السلاح بالقوة، ضربات الكعوب على الرؤوس عادة ما تؤدي لفقدان الوعي، سقط الجنديان مجندلان بالألم تحت أقدامهم، يبدو أن أحدهم قد عرف ما يحدث أو أن أحد الجنديان أرسل صرخة استغاثة قبل أن يسقط، ربما يكون صوت الطلقات هو السبب لكن صوت جرس الإنذار كان مزعجًا وهو يملأ المكان بأكمله.

بعد أن انتهوا منهما تحركوا جميعًا إلا الرجل المترجِم، وقف مصدومًا وعلامات الدهشة على وجهه، يبدو أنه كان أنانيًّا فطمع في طلقتي الرصاص بمفرده، أحدهما اخترقت رقبته والأخرى اخترقت صدره، سقط على ركبتيه بألمٍ وهو يشير لهم بيده ألا يتوقفوا، قابلت عيناه عينا (سامي) وهو يحاول أن يهمس له بكلمة أسفٍ لكن الموت كان أقوى منهما، انتزعه من وسطهم قبل أن يقول أي شيء!

حين يأتي وقت الخلاص فلا وقت للحزن أبدًا، أمسك رجلان منهم السلاحين وصوبا تجاه جهة من الحائط.



استضعفوها لأنها كانت تطل على الجزء الخارجي من المعسكر، تطل على قضيب قطارٍ مهجور و سورٍ عالٍ تزينه أسلاك شائكة وقطع زجاج حادة، لكن الثلوج المتراكمة بالأسفل ستكون خير مستقبِلٍ للفتى حين قفز من هذا الارتفاع.

طلقات من رصاصٍ اغتصبت ثبات الحائط فانهار قليلًا تحت وطأة اندفاعها، استكملوا الضربات بأقدامهم و أجسادهم، كانوا مستعدين للموت من أجل حريته، كان يراقب الحدث بفمٍ مفتوح وأعين تكاد تنخلع هلعًا وقلب يعتصر حزنًا، كان قلبه يحارب للخروج من خارج صدره ، نسي كل تعليمات الرجل بإغلاق عينيه وسد أذنيه وتابع جنونهم الكامل بإخراجه من هنا.

أخيرًا انهار جزء من الحائط تحت وطأة ضرباتهم، كان جزءًا صغيرًا لكنه يكفي مروره، نادوا عليه فانتفض جسده بهلع، أراد أن يتحرك نحوهم لكن الخوف شل جسده، الهلع اغتصب قدميه.

صيحة عالية انتزعته من مستنقع خوفه ليسبح سريعًا نحو بروعيه، تحرك نحوهم سريعًا وحشر جسده بالفتحة، كان المكان عاليًا لكنه سيقفز، الثلج بالأسفل سيخفف وطأة سقوطه، كانت الحفرة في الجدار الخارجي للمعسكر، منها سيقفز ومن ثم سيجد الطريقة المثلى للتصرف، سقط على الثلج، آلمه جسده بأكمله نتيجة السقوط ؛ ارتجف جسده من شدة الصقيع وتجمدت أطرافه سريعًا، وقف ونفض الثلج عن



ملابسه قبل أن يسمع صوت طلقاتٍ سريعة وصرخات غضبٍ ألمانية.
استمر الوضع للحظاتٍ قليلة قبل أن تهدأ كل الصرخات. قطرات الدم التي سالت من فتحة الحائط أخبرته أنهم جميعًا موتى وأن عليه الهروب من هنا الآن و فورًا؛ إذا أراد أن ينجح في تخليد ذكراهم ونقل آلامهم للعالم كله!

***

تحرك ببطء ، يبدو أن الجهة الخلفية للمعسكر مهجورة، لم ير أي أحدٍ يتجول هنا أو يقف هنا كما لم يلمح أي شخصٍ مسؤول عن الحراسة لكن الحذر مطلوب. تسلل برفقٍ بجوار الجدار الخارجي باحثًا عن مهرب؛ بحث قليلًا حتى وجدها، فتحة صغيرة لكن الثلج سدها، بيديه الصغيرتين وأظافره النحيلة بدأ يحفر مقاومًا برودة الثلج وازرقاق أطرافه، سمع صوت خطوات تقترب فبدأ يحفر بسرعةٍ أكبر، لكن دافعه الأكبر لم يكن الخطوات، صوت قطار يقترب.

لو أنه خطط لأن يهرب بهذه الطريقة ما نجح، كل ما عليه الآن هو أن يفتح هذه الفتحة، أن يزيل الثلج من مدخلها.

لكن التحدي أن يفعل هذا قبل مرور القطار أو قبل ظهور الحراسة أو قبل حدوث كلاهما معًا بوقتٍ كافٍ.



صوت الخطوات يقترب،

وصوت القطار يقترب،

والثلج يدمي يديه.

صلبًا كرأسه رافضًا أن يُزال، لم يعد أمامه سوى حلًّا وحيدًا، تراجع للخلف ينظر ليديه التي اغتصبها البرد فازرقت مرتعشة، رآهم بعيدًا يعدون نحوه، جرى للخلف قبل أن يقف ويندفع عدوًا نحو السور، هي فرصة لن تتكرر وأمامه فرصة واحدة لخطفها، كان القطار قد اقترب للغاية حتى رآه رأي العين، عدا نحو الجدار بسرعةٍ كبيرة وقبل أن يصل له ببضع أمتارٍ انحنى موجهًا رأسه نحو الفتحة واضعًا ثقل جسده كله من خلفها، اصطدم برأسه في الفتحة لكن الله وقف بجانبه تلك المرة، برغم الدماء التي ملأت وجهه لكن كان قد نجح وعبر إلى الجهة الأخرى من السور، قام وهو يشعر بالدوار، تجاهل الدماء التي تساقطت على عينيه، قاوم الدوار الذي اكتنف رأسه، قاوم الصرخات الغاضبة الألمانية التي تطارده ووضع أمام نفسه هدفًا واحدًا هو أن يلحق بالقطار، جرى بجواره للحظات قبل أن يمسك بقطعةٍ حديدية بارزة من القطار ويقفز.

كانت فرصة صعبة وفرصة تحقيقها ضئيلة، لكن تصميمه على هدفه وإصراره الغريب ساعداه، حينما وضع قدمه بداخل القطار مسح الدماء من على عينيه قبل أن يبكي وهو يتأمل معسكر (أوشفيتز).



المعسكر الذي قضى بداخله أيامًا لن ينساها وعاش به ذكريات ستطارده لآخر يومٍ بعمره، بكى وفاض به الدمع فناح، ترك جسده يسقط أرضًا وهو يبكي ورأسه ينزف حتى شعر بالظلام يحاصره، الظلام الذي ترك نفسه أسيرًا له!



## ((20- وردية حراسة))

كان (إياد) جالسًا على الأرض مسندًا ظهره للحائط البارد، يقاوم هجمات النعاس، يحاول ألا ينام، كانت مهمته الشخصية هي حراستهم وإبقاء عينيه مفتوحتين كيلا تهاجمهم الوحوش مرة أخرى، مهمة سهلة للغاية.

لكن حين ينام الجميع ويسود الهدوء وينتشر الغطيط يصبح الأمر أصعب، والنوم كما يقولون سلطان، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقاوم أحد أعتى السلاطين؟!

تأرجح رأسه أكثر من مرة، ثقلت جفونه للغاية حتى أصبح لا يقاوم هبوطها، استلذ النوم ولكنه في اللحظات الأخيرة كان يفتح عينيه بصعوبة، يرفع رأسه و ينفض النوم عن جسده وعن رأسه، وقف وحاول أن يمشي لكي ينسى النوم قليلًا، لكن الظلام والأصوات الخافتة التي تتردد بين حينٍ وآخر أخافاه وجعلاه يعود ليجاور الحائط مرتعدًا.

في الفترة الأخيرة؛ شعر أن (محمد) لا يستطيع أن يدير الأمور، منذ حادث (فريدة) والأمور خرجت من نطاق سيطرته؛ لأن المركب التي لها قائدان غارقة، والمركب التي لا قبطان لها هالكة، قرر أن يستجمع شتات نفسه ويلم أطراف تفكيره ليفرض سيطرته ووجهة نظره على



الأمر، وعلى الفور تراجع (محمد) غارقًا مع (فريدة) في خوفٍ لا مفر منه. قاومه (إياد) عالمًا إذا ترك نفسه للخوف فلن يستطيع التغلب عليه ما حيا.

فركِ يديه ببعضهما وضرب وجهه عدة مرات وهو يفتح عينيه على اتساعهما، كان يعرف جيدًا أنهم هناك يتربصون بهم في الأركان المظلمة، يقف الخوف له بالمرصاد منتظرًا أن ينام أو يهاجمه النعاس ولو قليلًا كي يعطيهم إشارة بالهجوم، ولكنه لم يكن ليسمح للخوف ولا لهم بافتراسهم. كان إصراره يزيد على الخروج من هنا كلما مر الوقت، بقولون أن الظلام سيء والضوء الخافت أسوأ، لكن (إياد) في هذه اللحظة شعر أن الظلام هو أسوأ شيءٍ ممكن، ففي الظلام تتجسد أبشع الكوابيس وأكثرها شرًا لتتراقص أمامك دون أن تراها بعينيك، لكنك تشعر بها بقلبك جيدًا، تعلم عنها علم اليقين حين يخبرك حدسك أن هناك شيئًا خاطئًا يحدث، وعليك دائمًا أن تثق بحدسك.

سقط رأسه على كتفه؛ استلذ النوم والراحة فلم يقاوم، حاول أن يفتح عينيه أو أن يعدل من وضع رأسه لكنه كان أضعف من أن يقاوم، كان الإرهاق يحتل جسده بأكمله فترك نفسه للنوم مستسلمًا.

لم يعرف كم مر من الوقت حينما سمع صوتًا خافتًا حوله، وقع قلبه حين تخيل أحد هؤلاء الوحوش يتربص بهم ويستعد للهجوم، بهدوءٍ فتح عينيه وتأمل المكان من حوله في الظلام، كان يقف يتأملهم بِشرّ، (هادي)



واقفًا بكامل نشاطه يتأملهم جيدًا ليتأكد من استغراقهم بالنوم، لطالما عرف أن هناك شيئًا خاطئًا بهذا الرجل، تحرك (هادي) ببطء كأنما يخشى أن يسبب أي صوتٍ كي لا يقلق منامهم، مشى بضع خطوات قبل أن ينظر خلفه فجأة، كان (إياد) يراقبه من بين عيونه المغلقة منتظرًا أن يرى ما الذي سيحدث، مشي (هادي) حتى وصل للسلم، نظر خلفه للمرة الأخيرة ليرى هل من أحدٍ مستيقظ أو من مراقب؟ حين اطمأن صعد السلم بخطواتٍ واثقة.

***

برغم الظلام كان (هادي) واثقًا من خطواته، كان يتحرك بثقة شخصٍ حفظ المكان وآلفه، لا يفكر مرتين قبل أن يضع قدمه، كانت لديه القدرة أن يطوف المكان بأكمله معصوب العينين دون أن يصطدم بأي شيء، تحرك (إياد) من خلفه بهدوءٍ محاولًا ألا يصطدم بأي شيءٍ أو يحدث أي صوت، اختبأ خلف سور السلم يراقبه وهو يصعد السلم ببطء، حين انتهى (هادي) من صعود السلم؛ صعده (إياد) منحنيًا متسللًا كاللصوص، كان يعرف أن هذا الرجل خلفه سر كبير، سر لابد من كشفه.



وصل لنهاية السلم وبحث بعينيه عن (هادي) فلم يجده، لحسن حظه لمح أحد الأبواب التي كانت مغلقة مفتوحًا قليلًا، تسلل للباب في هدوءٍ متلفتًا خلفه حريصًا على ألا يشعر به (هادي)، وقف بجوار الباب وقد ألصق ظهره بالحائط ، كما يفعلون في الأفلام، انحنى بهدوءٍ ومد رأسه كي ينظر من انفراجة الباب الصغيرة، كانت غرفة صغير ضيقة، غريبة الشكل.

لا يوجد بها سوى مكتبة كبيرة مليئة بالكتب الضخمة وأريكة تواجه تلك المكتبة... فقط

كأنها غرفة للاطلاع أو للقراءة ولكن؛ ماذا تفعل غرفة اطلاعٍ في مصحة نفسية مهجورة؟! نظر (هادي) خلفه فجأة، لكن (إياد) كان أسرع منه فانتحى جانبًا سريعًا، دعا الله في سره كثيرًا ألا يكون (هادي) رآه، ويبدو أن حظه الجيد وقف بجانبه تلك المرة، وقف للحظاتٍ يحاول السيطرة على دقات قلبه الخائف، نظر مرة أخرى بهدوءٍ فوجد (هادي) يمشي بيديه على الكتب، يتلمسها برفق، تصرف غريب من شخصٍ غريب في مكانٍ أغرب.

تحلى بالصبر وهو يراقبه بهدوء، مد (هادي) يده ليمسك بكتابٍ أزرق اللون، مجموعة من الكتب المتشابهة في الغلاف، يبدو أنها سلسلة ما أو موسوعة ما، أمسك (هادي) كتابًا منها بهدوء وهو يخرجه من المكتبة، مد يده خلف الكتاب بهدوء كأنه يبحث عن شيء، مرت لحظات قبل أن



يخرج يده ويضع الكتاب مكانه بهدوء، عاد للخلف خطوتين قبل أن يسمع (إياد) صوتًا خافتًا، لم يعرف مصدره.

بعد دقيقة أو ما يقارب الدقيقة؛ بدأت المكتبة تنفتح من المنتصف، توارى نصفها يمينًا أما النصف الآخر فخاصمه واتجه شمالًا، استمر الأمر لبضع ثوانٍ قبل أن يبتعدان عن بعضهما البعض ليكونا ما يشبه الباب، قبل أن يدخل (هادي) من الباب وقف لثوانٍ كأنه يفكر.

كان (إياد) في حيرةٍ من أمره، إما أن يتدخل الآن ليضع حدًا لكل هذا الغموض، أو يترك (هادي) يدخل الغرفة السرية وربما يغلق الباب خلفه!

للمرة الأولى؛ تذكر (إياد) المسدس، المسدس الذي نسيه تمامًا في خضم هذه الأحداث الكثيرة التي ألمت بهم في هذا الوقت الضيق، أمسك بالمسدس الذي كان يختفي بين ثنيات ملابسه وقد توارى عن ذاكرته تمامًا، حسم أمره تمامًا وعرف ما سيفعل.

سبقه مسدسه في دخول الغرفة، وهو يقول بنبرةٍ حاول أن يضيف لها الكثير من الثقة المخلوطة بالقوة: " كنت أعرف أن وراءك سرًا يا هذا"!



انتفض (هادي) وهو يقفز فزعًا من المفاجأة، نظر له (هادي) بأعينٍ تتقد شرًا وهو يقول له بعد أن تغلب على أثر المفاجأة: "لا داعي لأن تورط نفسك بالأمر".

صمت قليلًا قبل أن يضيف بهدوء: "الأمر أكبر منك ومن أصدقائك، الأمر أخطر وأكثر تعقيدًا".

أجابه (إياد) بضيقٍ من نبرة الهدوء التي ظهرت بحديث (هادي) على غير المتوقع: " أعتقد أنني أعرف جيدًا الأمور التي من المفترض ألا أتورط فيها، أما هذا الأمر فأنا تورطت فيه حتى النخاع".

هز (هادي) رأسه رافضًا حديث (إياد)، وهو يجيب بقوة: "لا... صدقني الأمر أكبر منك... أنت لا تعرف شيئًا، لا تعرف هؤلاء البشر ولا تعرف شيئًا عن مرضهم، لا تعرف ما الذي" ....

قاطعه (إياد): "أي بشر وأي مرضى، منذ دخولنا إلى هنا لم نر سوى وحوشًا و مسوخًا".

ظهر الحزن في عيني (هادي) قائلًا: "ألم أقل لك، ليسوا وحوشًا، هم بشر وضحايا".

تحسس (هادي) ذقنه، وهو يقول: " يصعب أن أصدق أنهم ضحايا بعد أن طاردني مهرج مجنون بمنشارٍ كهربائي... أما أنهم بشر... هذا أمر يستحيل تصديقه".



أشار له (هادي) على الأريكة، وهو يقول: "ضع مسدسك جانبًا واجلس قليلًا، وسأشرح لك كل شيء".

جلس (إياد) وهو لا يزال مشهرًا مسدسه أمامه، أشار له (هادي) أن ينحيه جانبًا لكنه رفض تمامًا، قبل أن يبدأ (هادي) بشرح كل شيء؛ سمعوا صوت (محمد) يتساءل غاضبًا: "هل نحن مدعوون لهذه الحفلة أم أنها حفلة خاصة؟"!

كان يقف على الباب والنوم ينسحب من عينيه الغاضبتين وخلفه تتوارى (فريدة) الخائفة حد الرعب، أشار لهما (إياد) أن يجلسا بهدوءٍ وكفاهما ضجيجًا فجلسا بلا أي مقاومة، كان (محمد) بأمس الحاجة للرحيل من هنا بينما (فريدة) كان جسدها يرتجف بلا توقف، استغل (هادي) فرصة حديثهم وضغط زرًّا سريًّا لم يره أي منهم.

في هذا الزر... هلاكهم!!

***

بدأ (هادي) حديثه بهدوء وبابتسامةٍ واثقة: "في البداية يجب أن أعترف لكم أنني لست فاقدًا للذاكرة، أنا الطبيب هادي محمد السيد، الأول على دفعتي طوال سنين الدراسة وأحد أبرع الأطباء النفسيين في



مصر كلها، يقولون عني أنني قاربت على الجنون، لكنني أجد نفسي عبقريًا".

بغضبٍ وفقدان صبرٍ صاح به (إياد): "لسنا هنا لنسمع خطبتك، أسرع قليلًا"!

اتسعت ابتسامة (هادي) وهو يقول بهدوء: "صبرًا يا صديقي، أنا صاحب هذه المصحة، المصحة التي أصررت على بنائها في وسط الصحراء، دفعت أطنانًا من المال كي لا تسجل في سجلات الحكومة أو وزارة الصحة، كي تظل مجهولة، استعنت بأبرع الأطباء الشباب في كافة التخصصات، و بالطبع زوجتي الراحلة -رحمها الله- كانت خير سند وخير صديق، بنيت مصحتي منذ الصفر، كان هدفي الأول والأخير هو تنفيذ وصية جدي لي، الحصول على المرضى النفسيين في مصر سهل للغاية، بضع آلاف الجنيهات وأهلهم يبيعونهم لك تمامًا، نجحت بعض تجاربي وفشل الباقي، لكن في النهاية خرج الأمر عن المألوف وخالف توقعاتي تمامًا".

نظر (محمد) لـ (إياد) وهو يسأله: "هل فهمت شيئًا؟"!

هز (إياد) رأسه نافيًا قبل أن يقول لـ (هادي): " هل لنا بمزيدٍ من التوضيح، من فضلك؟"

صمت قليلًا قبل أن يضيف: "وأسرع قليلًا كي لا أقتلك".



ابتسم (هادي) ومد يده ليتناول كتابًا بني اللون ذات غلافٍ جلدي ضخم، أمسكه بيده وهو يقول: "هذا ميراث جدي ومنه تبدأ القصة بأكملها".



## ((21– قطار... دفء... سفينة))

تبدد الظلام من حوله قليلًا، كانت سحب الظلام تنقشع لتبرز شمس الوعي تنير عقله وتضرب أجراس الإنذار لعينيه كي تنفتحان، كانت أجراس الإنذار تدغدغ قلبه لتنبئه أن هناك شيئًا هامًّا يحدث.

قاوم أطنان الثقل التي تعلقت بأجفانه والدوار الذي يكتنف رأسه وهو يفتح عينيه على اتساعهما إلا قليلًا، أمام عينيه كانت هناك امرأة عجوز بيضاء البشرة تنظر له بطيبةٍ بالغة، كانت تتمتم ببضع كلماتٍ لم يفهم معناها، لكن الطيبة والحنان اللذين فاضا من عينيها ونظرة القلق التي غمرتها جعلته يغلق عينيه باطمئنانٍ مستسلمًا للظلام، هذه امرأة لن تؤذيه ولن تسمح لغيرها بإيذائه.

***

الدفء هو ألذ شيء في الدنيا، حينما غزا الدفء جسده وتسلل لوعيه؛ تقلب برفقٍ على الفراش الوثير، سحب الغطاء الصوفي ليغطي به أذنيه، هكذا تعود أن ينام، تمطى بقوةٍ وهو يعدل من وضع جسده على



الوسادة القشية، أصدر أنين راحة لذيذ وهو يغلق عينيه بقوةٍ محاولًا استجداء النوم ليعود مرة أخرى.

ابتسم برفقٍ وهو ينتظر أن يسمع صوت أمه تناديه في أي لحظة، لكن صوت الرصاصة التي قتلت أمه وصوت صراخ أخته وهي تتعذب قبل أن تموت، نظرات المترجم قبل أن يسقط أرضًا وهو يحاول أن يهمس له ببضع كلمات، شكل يديه وقد اغتصبهما الثلج فازرقتا، صوت طلقات الرصاص وقطرات الدماء النابعين من الزنزانة صفر، كلها أشياء ضايقته وعذبته. فتح عينيه بهلعٍ وهو يعتدل على الفراش بقوةٍ نافضًا الغطاء عن جسده النحيل، آلمه رأسه، شعر أن نهرًا من الألم قد فاض من الجحيم ليضرب رأسه بكل ما أوتي من قوة، أمسك رأسه بقوةٍ ليفاجأ بضمادة قماشية بدائية تلتف حول رأسه؛ تحميها شر النزيف.

تحسس رأسه بدهشةٍ قبل أن يتأمل المكان الذي يجلس فيه، فراشه الصغير عبارة عن غطاءٍ سميك يحميه برد الأرض وفوقه غطاء صوفي يبعث الدفء في أوصاله، أمامه مدفأة صغيرة من تلك التي تعمل بالحطب، تشتعل بها النار لتلتهم قطع الحطب الجافة فتقرقع بسعادة، بجوار فراشه منضدة صغيرة بجوارها كرسي متهالك لكنه يقضي بغرضه.

تأمل المكان بدهشة وهو يتحسس رأسه، آخر ما يتذكره أنه كان يراقب المعسكر اللعين بعينين مليئتين بالألم، سمع طرقاتٍ على الباب فانتبه، شعر بالخوف، وقف بسرعةٍ لكن الدوار هاجمه مرة أخرى، حاول



التماسك لكنه كاد يقع لولا أنه استند بيده على المنضدة التي انزعجت فأتت بصريرٍ خشبي. دخلت العجوز التي رآها في القطار وهي تبتسم، نظرت له بجزعٍ وهي تسرع الخطى لتسنده بيدها وتساعده في الجلوس على المقعد، بصوتٍ حنون قالت له" nie ruszaj " :

لم يفهم ما قالت لكنه هز رأسه بهدوء، في الحقيقة كانت تأمره ألا يتحرك بالبولندية، خرجت من الغرفة بينما دفن رأسه بين يديه مقاومًا الألم إلى أن سمعها تدخل الغرفة وهي تحمل صحنًا ساخنًا ينبعث منه البخار، وضعته أمامه وقالت" zupa " :

أشار للصحن، وقال بلغةٍ عربية: "حساء".

كررت الكلمة خلفه بعربيةٍ كسيحة فهز رأسه مبتسمًا، أمسكت بملعقةٍ خشبيةٍ نظيفة، أشارت بها للحساء ثم إلى فمها وهي تقول jeść " :
"

ابتسم الفتى ولم يقاوم، كان الجوع ينهش بطنه وينتهك معدته، تناول حساءه سريعًا، دب الدفء في أطرافه، أكل ثم شكرها بصوتٍ رقيق لكنه شعر أن الشكر لا يكفي، قام مستندًا على المنضدة ؛ صاحت به بغضبٍ مصطنع" usiąść " :

ابتسم وهو يقول: "لا أفهم منك شيئًا." وصل لها فقبل رأسها برفق وهو يعود مكانه، ابتسمت بحنان، كادوا يكشفونها أكثر من مرة في القطار



لكنها قالت لهم أنه حفيدها وأن أحد الأشقياء ألقى حجرًا من نافذة القطارفأصاب رأسه؛ صدقوها مرتابين لكن الأمور مرت على ما يرام.

خرجت لثوانٍ قبل أن تعود وبيدها خريطة مهترئة، أشارت لبولندا على الخريطة وهي تقول" Polska " :

أشارت على الأرض وعلى نفسها؛ كرر الفتى كلمتها بصوتٍ هامس: " بولسكا" .

كررت الإشارة على نفسها وعلى الأرض مرة أخرى قبل أن تشيرله وهي تنظر للخريطة، نظر للخريطة قليلًا، كان يعرف مكان موطنه على الخريطة لذا وجده سريعًا، أشارلها ثم لنفسه وهويقول بعزة : " سوريا . "

هزت رأسها وهي تقول" Syria ... Arabowie " :

هزرأسه، داربينهما حواركحوارات الصم والبكم، تغلبه لغة الإشارة، لكنه أوصل الرسالة كاملة، حكى لها عن أمه التي ماتت هي وشقيقته، حكى لها أنه بمفرده في هذا العالم، يريد الهروب من الجنود بأسرع وقت، ربما فهمت وربما لم تفهم.

أمسك بالخريطة وهو يشيرلنفسه ثم لبولندا ثم لسوريا، نظرت له وهي لا تفهم، أشارلنفسه أولًا فهزت رأسها، أشارلبولندا ثم أشارلسوريا



راسمًا خطًّا خياليًا بإصبعه الصغير يصل بينهما، هزت رأسها بفرحٍ وهي تقول له" Chcesz podróżować " :

رسمت بيدها خطًّا خياليًّا فهز رأسه فرحًا، نظرت له قبل أن تشير إلى بحر البلطيق في الخريطة وهي تقول" port " :

أشارت بيدها لترسم له بالهواء شكل سفينة، هز رأسه فرحًا وهو يكاد يقفز لولا ألم رأسه منعه، أشارت له بيدها أن ينام الآن وفي الغد يرحلون للميناء.

كان متعبًا فوافقها فورًا، سندته حتى الفراش وتأكدت من أن الغطاء يبعث به الدفء، ألقت المزيد من الحطب الجاف كي لا تموت نارها، خرجت من الغرفة وهي تدمع، أخرجت من صدرها سلسلة أعطاها لها ابنها، البالغ من العمر اثنى عشر عامًا قبل أن يقتلوه أمام عينيها، أغلقت الباب وتمنت له نومًا هنيئًا.

***

في الصباح الباكر شعر بحركةٍ خافتة في غرفته، انتفض في فراشه واعتدل كالثعبان وهو يتأمل العجوز التي فاجأها بحركته، اعتذر لها بصدق، كان لا يزال يشعر بالخوف، لم ينس بعد أيامه الصعبة التي



قضاها في معسكر الموت (معسكر أوشفيتز) ، لم يطمئن قلبه ولا يعتقد أن قلبه سيطمئن في يومٍ من الأيام.

ابتسمت له العجوز بحنان وهي تشير له بيدها على مكان الساعة كي تخبره أن الوقت قد حان، كانت تحمل بيدها دلوًا كبيرًا وسطلًا فارغًا، وضعتهما أمامه وخلعت عنه ملابسه، ساعدته على الاستحمام سريعًا كي لا يتأخرا، خرجا من باب الكوخ الصغير ليجدا بغلًا صغيرًا في انتظارهما، سار بهما البغل لقارعة الطريق كما لو كان يعرف وجهتهما، وصلا لأول الطريق و هبطا، انهمكت المرأة في ربط بغلها في عمودٍ خشبي صغير، وقفا قليلًا في وسط اللا شيء، أخذ الفتى يراقب البخار المتصاعد من فمه حينما يتنفس؛ بينما المرأة كانت تراقب الطريق بأعينٍ قلقة، الجميع هنا يعرف أنها وحيدة بلا ونيس أو جليس. أخيرًا وصلت نجدتها؛ عربة خشبية صغيرة يجرها حصان نحيل يرتجف جسده من شدة البرد، صعدت المرأة بجوار السائق بينما أشارت للفتى أن يختبئ وسط بركة كبيرة من القش كانت تنتظره في الخلف.

مده القش بالدفء وطال عليه الطريق فمل ونام.

بعد الكثير من الوقت شعر بيد تهزه لتوقظه، كانت المرأة وكعادتها تبتسم له وعينها مليئتين بالحنان الذي يكاد يفيض منهما، اعتدل وتأمل المكان من حوله، أمامه كان ميناء ضخم مليء بالبشر، كل منهم لا يملك



الوقت ليتدخل في مصالح الآخرين فكل منهم يملك أطنانًا من العمل الذي لا ينتهي، هكذا دأب البحارة منذ بدء الخليقة.

أشارت له على الميناء وهي تقول ببطء كي يسمعها وسط هذا الضجيج "Gdynia" :

كرر الكلمة خلفها ببطء كأنه يلوكها خشية أن يفقدها أو ينساها: " غدينيا".

أشارت له أن عليه أن يتسلل ليبحث عن سفينةٍ ما تنقله لموطنه، ابتسمت له وهي تودعه، كان الرجل صاحب العربة يستعجلها كي يعود لعمله، حان وقت الفراق، دمعت عيناه وهو يراها تبتعد لتركب السيارة، تابعها بعينيه قليلًا قبل أن يعطيها ظهره غاضبًا، لكم يكره لحظات الفراق ودقائق الوداع التي لطالما أدمت قلبه، حاول أن يتحرك لكن ضآلته أمام الميناء الضخم أشعرته بالعجز، توقف لثوانٍ يتأمل الميناء الضخم والسفن العملاقة والأشخاص اللذين يعدون كأنها خلية نحل لا توقف فيها، برغم الضجيج وصوت الرياح. والأمواج التي تتكسر على رصيف الميناء، برغم كل شيء سمع صوتها الحنون وهي تناديه بلين O " : rany "



استدار ليجدها تقف جوار العربة وهي تفتح ذراعيها في حنان، جرى كالملهوف ليدفن نفسه وسط أحضانها؛ بكت وهي تتحسس رأسه وتقول له بصوتٍ مجروح" Zostań ze mną " :

أشارت له بيدها أنها تريده أن يبقى معها، هز رأسه رافضًا ففي رقبته أمانة يجب أن يسعى بكل الطرق لتوصيلها وعلى كتفيه عبء ثقيل لن يرتاح إلا إذا نفذ وعده ونشر حكاياتهم كما طلبوا.

تركها تبكي ورحل بخطواتٍ سريعة كأنما يخشى أن تخونه نفسه، سمع صوت العربة ترحل فانهارت معنوياته وترك عينيه تبوحان بسرهما الذي أخفاه، بكى على فراقها، بكى بدموعٍ من ندمٍ وألم.

مسح دموعه في ملابسه ومشى لداخل الميناء، توجه للرصيف باحثًا عن شخصٍ ما يسأله، وجد عجوزًا يبدو عليه الهدوء يجلس معطيًا ظهره للميناء ومدليًا قدميه بالماء غير عابئ بطرف بنطاله الذي ابتل؛ ممسكًا بزجاجةٍ خضراء قاربت على النفاذ، اقترب منه الفتى وبلمسةٍ خافتة ربت على كتفه؛ زمجر العجوز صائحًا بغضب" Mit akar? " :

لم يعرف الفتى ما هذه اللغة الجديدة، في حقيقة الأمر كانت اللغة المجرية أو الهنغارية كما يطلقون عليها، ربت الفتى على كتفه مرة أخرى، وهو يقول باللغة العربية بخفوت: " من فضلك".

التفت له العجوز وتأمله بغضبٍ، وهو يكرر سؤاله" Mit akar " :



كان الرجل يسأله عما يريد وكان الفتى ذكيًا كي يفهم هذا الأمر، أشار له على نفسه ثم على السفينة والبحر وهو يقول: " سوريا".

كرر الرجل خلفه" Szíria " :

هز الفتى رأسه وهو يقول بفرح: " أجل، أجل... سوريا".

تساءل الرجل بفضول" arabok " :

هز الفتى رأسه مرة أخرى، وهو يقول: " أجل، سوريا العربية".

هز الرجل رأسه وهو يعتدل، ويقول له بنظرة شك" jöjjön velem " :

أشار له أن يتبعه، مشى خلفه حتى مكان معتم خلف أحدى السفن وأشار له أن ينتظر هنا، مشى حتى وصل لمكانٍ خالي وسرق أحد الصناديق الخشبية الضخمة، بطنه جيدًا بالقش وساعد الفتى على الدخول؛ أعطاه زجاجة ما والكثير من الخبز وأغلق الصندوق جيدًا، دفع الصندوق أمامه وأشار للعمال الأقوياء وهو يخرج من جيبه ورقة نقدية و يقول " : arabok "

تناول العمال الورقة وشحنوا الصندوق في إحدى السفن، مر الكثير من الوقت وشعر الفتى بالمركب تتحرك، سمع صوت خطواتٍ تقترب قبل أن يحاول أحدهم فتح الصندوق وأمام عينيه وقف أحد العمال وهو يشير له بالخروج من الصندوق، خرج لسفح السفينة التي تمخر عباب



البحر يتأمل الماء، كان مشهد (بولندا) وهي تبتعد هو أسعد مشاهد حياته، لا يعرف الفتى لِمَ ساعده الرجل؟! ولكنه لم يهتم، المهم الآن هو أنه ساعده.

و الآن ها هو الألم يمضي بعيدًا وها هي حياته تقترب كثيرًا!



## ((22- الكتاب))

نظر الجميع للكتاب بدهشة، كتاب قديم ويبدو عليه التلف، لا يبدو أنه مدعاة للفخر ولا يبدو قيمًا أو غاليًا ليتكلم عليه (هادي) بكل هذا الفخر والعزة، نظروا للكتاب بحيرة، بدأ (هادي) بفخرٍ يقص عليهم قصته، بصوتٍ هادئ ونبرةٍ قوية يغلب عليها العزة والفخر: "هذا الكتاب يحوي بين ضفتيه أبشع التجارب الحقيقية والعمليات الجراحية، يحمل بين دفتيه كل التجارب الجراحية ذات الأفكار المجنونة والأفكار العبقرية، العمليات التي تحوي الجنون والعبقرية معًا، التجارب التي حرمها الأطباء الحمقى والمتظاهرون بالطيبة والتعقل، في حضرة العلم وفي سبيله لا مجال للتعقل أو للطيبة، في سبيل العلم يجب أن يموت الآلاف بل والملايين من أجل علو شأن الآخرين".

صمت قليلًا قبل أن يستكمل حديثه: "منذ مئات السنين وتحديدًا في وقت الحرب العالمية الثانية ظهر الشيطان الجميل أو ملاك الموت كما كانوا يسمونه، الطبيب العبقري الخالد (يوسف منيجيل)، ابنًا لإمبراطور الصناعة الألماني من أصل سوري كارل منيجيل، تخرج يوسف في كلية الطب - جامعة ميونيخ بتفوقٍ ساحق وبدأ فورًا في التحضير لرسالته الأولى؛ رسالة الدكتوراة الأولى الخاصة به كانت بعنوان:



"الاختلاف بين الأعراق في التركيب التشريحي للفك السفلي." ، بعدها بفترةٍ قليلة بدأ بتحضير رسالته الثانية والتي كانت بعنوان: "دراسة عامل الوراثة في الشفة الأرنبية، سقف الحلق والفك." ، كانت عناوين رسائله هي أول ما جذب الانتباه له، إيمانه الكامل بمعتقدات النازية كان واضحًا وضوح الشمس في اختياره لمواضيع رسالاته، في العشرين من عمره انضم لمؤسسة (ستاهلهلم) التابعة للمعسكر النازي، ثم بعدها تم الموافقة على طلبه للانضمام للمعسكر الطبي النازي، حصل على سمعته السيئة – من وجهة نظر الحمقى – أثناء فترة الواحد وعشرين شهرًا التي قضاها بمعسكر (أوشفيتز)، لُقب بملاك الموت، كان يذهب هو وباقي أطباء المخيم لملاقاة السجناء الذين يتم إرسالهم ليحدد من يتم إرساله للعمل ومن يتم إرساله لغرفة الغاز فورًا، سعداء الحظ هم من كانوا يرسلون لغرف الغاز، أما التعساء منهم والمساكين هم من عاشوا ليعاصروا تجاربه على البشر".

اتسعت ابتسامته وهو يحكي: "في هذا الكتاب شرح مفصل لأبشع تجارب الدكتور (يوسف منيجيل) ومساعديه، وصف دقيق مفصل استغرقت كتابته ما يزيد عن العشرين عامًا، في هذا الكتاب رحلة متنها العبقرية والجنون، متنها التحليق عاليًا في سماء الأفكار لرفعة العلم، لو أن هذا الكوكب يحترم العباقرة لسموه بأكمله باسم (منيجيل)، لكننا في كوكب الحمقى والملاعين، كوكب يطلق على عبقري العباقرة اسمًا بشعًا



مثل (ملاك الموت)، هل لك أن تقول لي ما أهمية بعض السجناء في سبيل الوصول لكشفٍ يغير من علم الوراثة بأكمله؟ هذا الكتاب هو أغلى ما ورثت من جدي، أغلى حتى من النقود والأملاك والأطيان، هذا الكتاب قد أفنى حياة جدي بأكملها تضحية في سبيله".

قاطعه (محمد) سائلًا بفضول: "ما علاقة الكتاب بجدك وما علاقة جدك بيوسف منيجيل، هل لنا أن نطمع في مزيدٍ من التوضيح من سيادتك؟"

***

البحر خلاص، منفذ، مستمع جيد وكاتم للأسرار، هذا ما سيقوله أي شخص محب للبحر إذا طُلب منه رأيه فيه.

البحر مقبض، مخيف، واسع وسارق للأرواح، هذا ما سيقوله أي شخص كاره للبحر إذا طُلب منه رأيه فيه.

بالنسبة لـ (سامي) كان الأمر مختلفًا تمامًا، البحر كان مهربه ورفيقه، كان منقذه من بين براثن الألمان الشرسة، وكان أيضًا مفرقه عن السيدة الحنون التي فارقها مكرهًا.



كان يراقبه بأعينٍ تتسع هولًا من ضخامته وعملقته وشعوره بالعجز والضآلة في حضرة ملكوته، مر على وجوده بالمركب بضعة أيام، عد حتى تعب ثم توقف عن العد، كان يأكل الفتات التي يُحسنون عليه بها من المطبخ قبل أن يرموها للأسماك.

بواقي الوجبات والأكلات التالفة أو المحروقة، لم يهمه الأمر قدر ما كان يهمه أن يظل على قيد الحياة ليُسلم رسالته ويوفي بأمانته.

مرت أيام تليها أيام، بدورها تجر خلفها أيام، يتعلق بأذيالها أيام حتى كاد يفقد الأمل في الوصول حين صاح البحارة سعداء بقرب وصولهم لوجهتهم.

في الحقيقة غالبًا ما يكون البحارة سعداء لأنهم سيهبطون للبر، يلمسون الأراضي الصلبة بأقدامهم، يقضون أيامهم بين أحضان النساء، يشربون الخمور حتى ينسون أسماءهم ومهنهم، لكن الفتى كان فرحًا لقرب انتهاء معاناته، ها هي سوريا تقترب، ها هو يشم هواء وطنه ويتنسم عبير أراضيه.

لكن الصدمة التي كانت تنتظره هي لافتة صغيرة مكتوب فيها: "ميناء الإسكندرية "!

حسب ما يتذكر من دروسه لا وجود لمدينة إسكندرية في دولةٍ عربية سوى في أم الدنيا مصر فقط، دعك عينيه جيدًا وهو يمسك بكم أحد



القريبين منه دون أن يحرك عينيه من على اللوحة، لم يعرف حتى هوية الذي يمسكه أو جنسه وسأل بفزع: "أين نحن؟"

جاءه صوت أجش يقول بخشونة: "نحن بمصر، والآن اتركني أيها الفتى".

تركه مذهولًا، يبدو أن البحار المجري الأحمق لم يميز بين مصر وسوريا، يعرف أنها دول عربية وكفاه هذا من العلم كي يرسل الفتى لأقرب دولةٍ عربية، ها هو الآن بمصر.

كاد يحزن على فراق (سوريا) الغالية لكنه نظر لنصف الكوب الممتلئ، ها هي فرصته تأتيه دون تخطيط، بداية جديدة في وطنٍ جديد، ابتسم نصف ابتسامة وهو يتحرك مع المتحركين لا يعرف أين ستأخذه قدماه.

كان يمشي تائهًا لا يعرف أين سيذهب أو ماذا سيفعل؟ حين سمع صوتًا مهذبًا يناديه: "يا فتى، أنت أيها الفتى".

نظر حوله باحثًا عن مصدر الصوت ليجد سيدًا مهذبًا تبدو عليه علامات الأبهة والوجاهة يبتسم له بلطفٍ، وهو يقول: " نعم أنت أيها الصغير".

اقترب منه وقد ارتاح لمرآه، فسأله الرجل: "هل أنت حمّال في الميناء؟"



هز الفتى رأسه رافضًا، فابتسم الرجل وهو يقول: "حسنًا، حتي لو لم تكن حمالًا، هل تساعدني في نقل حقائبي لخارج الميناء".

هز الفتى رأسه موافقًا، حمل حقيبة ثقيلة، كان قويًا رغم صعوبة الأيام الماضية عليه؛ خرجوا لبوابة الميناء، أشار الرجل لعربةٍ يجرها بغل، ساعد سائقها الفتى في وضع الحقائب فوقها وساعد الرجل على الصعود، كاد يرحل لولا أن الرجل قد ناداه، التفت ليرى ما يريد، قذف له الرجل بقرشين، كان مبلغًا صغيرًا لكنه وضعه في جيبه وابتسم، عرف كيف سيبدأ رحلته هنا، عاد للداخل ينادي في المارة: "حمّال، حمّال، من يريد حمالًا صغيرًا لكنه قويًا".

و لظرفه وحسن خلقه استجاب له الكثير من المارة، لم يحدد أجره أبدًا وإنما قبل بكل ما جاد عليه به السادة حتى لو كانت مجرد كلمة شكر، كان يتقبلها ويرحل باحثًا عن آخر يساعده متجاهلًا آلام عضلاته التي كانت تصرخ به طالبة العفو والسماح.

في نهاية اليوم كان قد جمع مبلغًا محترمًا، خرج من الميناء يبحث عن بضع لقيماتٍ ساخنة ترم عظامه وتسد جوعه و تسكت عصافير معدته التي تئن ألمًا، ربع دجاجة مشوية ورغيف ساخن قاما بالواجب، بحث عن أي ماخور أو فندق رخيص يقضي فيه ليلته، قضى وقته نهارًا بين العمل والأكل وليلًا بين النوم والكتابة.



كان يكتب في أي أوراقٍ تقابله ويجمعها سويًا برباطٍ مطاطي يربطها ببعضها البعض فيمنع فرار شيءٍ منها، مرت سنوات حين أنهى كتابه أخيرًا.

كان الآن متزوجًا ويعول، أموره المادية استقرت بعد أن حول رزقه للتجارة فمنَّ الله عليه وفتحها عليه من وسع، خرج من غرفة مكتبه حاملًا أوراقه التي تراها زوجته للمرة الأولى، هذا المكتب محرم عليها أو على أولادها تحريمًا تامًا، هبط للمطبعة القريبة من المنزل، أعطاهم الأوراق ووصاهم بكتابتها بحروفٍ واضحة وخط جيد، ثم إرسالها للمدبغة حيث قام بتوصية العم (مدبولي) صاحب المدبغة بصنع غلافٍ جلدي مكتوب عليه اسم الكتاب، الناجي الصغير!

لكنه لم ينشره يومًا، خاف... خاف على العالم من قسوة كلماته وشرور تجاربه، خاف أن تنتشر التجارب فتفتح باب تجاربٍ أخرى أقسى وأبشع.

مرت سنون وراء سنون وعمله يزدهر وفروعه تتكاثر، كبر أولاده والتحقوا بركب تجارته وكان خير خلف لخير سلف.

حين شعر أن (ملاك الموت) حضر ليقتص منه ويسلبه حق الحياة بعد أن قضى بها ما كتبه الله له من عمر؛ استدعى أكبر أولاده، قص عليه



الأمر بأكمله متجاهلًا نظرات الدهشة التي تلتمع في عين ولده، وصاه ألا تعرف أمه أو إخوته شيئًا عن هذا الكتاب.

آخر كلماته كانت أن الكتاب أمانة في رقبته ليوم الدين وعليه تسليمها لأكبر أولاده قبل أن يموت كما فعل معه.

حين تأكد من أن ولده قد فهم ووعي جيدًا ما قال، تبادل نظرة مع صديقه القديم، ملاك الموت الذي وقف بركن الغرفة منتظرًا أن يأتي أجله أو يأذن له الله بأخذ روحه، تبادلا نظرة صغيرة وابتسم كل منهما للآخر.

أغلق (سامي) عينيه مودعًا هذا العالم، وتحرك ملاك الموت من ركن الغرفة للمرة الأولى!

***

"كما وصاه والده، أبلغ (السيد بن سامي) أكبر أولاده، (السيد) حفظ السر وصان الأمانة إلى أن شعر بالموت يرفرف بجناحيه من حوله فاستدعى (محمدًا) أكبر أولاده وأقربهم لقلبه وأمنه الأمانة وحمله الرسالة، مرت الأيام والسنون واقترب العام 2000 حين شعر (محمد) باقتراب أجله وقرب موعد رحيله من عالمنا استدعى أكبر أولاده وحمله الأمانة، كان أكبر أولاده رجلًا منذ صغره، حمل الأمانة لكنه على عكس كل



الرسل الذين سبقوه كان مجنونًا فقرر ألا يتحمل الأمانة وحده، قرر أن الوقت قد حان لينفذ أحدهم ما جاء بالكتاب، هذا الفتى يقف أمامكم الآن... الطبيب (هادي محمد السيد سامي الكردي)"!!

صمت الجميع تحت تأثير الدهشة؛ أعطى (إياد) المسدس لـ (محمد) وقام بقوةٍ يخطف الكتاب من بين يدي (هادي) ويتصفحه سريعًا، قرأ سريعًا عن تجربة غاز الخردل، التجميد، تجربة التوائم، تجربة التلقيح الصناعي وغيرها من التجارب البشعة التي نقلها (سامي) من معسكر (أوشفيتز)، تأمله (إياد) وهو يحمل الكتاب بيديه و يسأله: " أنت هادي حفيد سامي، حفيد الناجي الصغير"!!

أخذ (هادي) منه الكتاب وهو يبتسم، ويقول بصوتٍ هادئ: " أجل أنا، ولدي خبرين سعيدين سيسرك أن تسمعهما".

نظروا له جميعًا بدهشة، قال وابتسامته تتسع: "الخبر الأول هو أنكم لن تخرجوا من هنا أحياء".

أخرج من جيبه خزانة المسدس الذي يحمله (محمد) وهو يبتسم بشدة، تأمل (محمد) المسدس سريعًا فوجده دون خزانة، ألقاه أرضًا وهو يسب بصوتٍ مسموع متجاهلًا ارتعاشه (فريدة) التي كان جسدها يرتجف كورقة شجرٍ ذابلة تتعلق بيأسٍ بفرعٍ صغير مترنح يقاومون سويًا عاصفة لا مثيل لها، ابتسم (هادي) بسخرية وهو يقول: "الخبر الثاني هو



أنك ضعيف الانتباه، لم تلاحظني وأنا أضغط زر الاستدعاء الصغير الموجود هنا".

صمت قليلًا مشيرًا بيده على زرٍ صغير للغاية وهو يستكمل: "يطلق هذا الزر موجاتٍ فوق صوتية لا يسمعها البشر، لكنهم يسمعونها جيدًا".

أنهى كلماته مشيرًا للباب برأسه، على الباب كان يقف نتاج تجاربه الوحشية التي قام بها ليستكمل تجارب الطبيب (يوسف منيجيل)، المهرج المجنون وذو الأعين والرجل التيس والمرأة الدمية، يقفون جوار بعضهم البعض يزأرون بوحشية، نظر لهم (هادي) مبتسمًا وهو يقول: "هم لكم وأنتم لهم، أما أنا فسأفر من هنا حالًا".

أمسك كتابه وهو يعطي الوحوش إشارة الهجوم، و قبل أن يفهم ماذا يحدث؛ قفز (إياد) صارخًا به: "ربما كنت ذكيًا لترى المسدس، لكنك لم تكن فطنًا حين تجاهلت السكين".

أخرج سكينًا صغيرًا أشبه بالمطواة من جوربه وهو يطعنه في رقبته بقوة، أمسك (هادي) رقبته بذهول محاولًا كتم سيل الدماء الذي سال، خطف (إياد) من يده الكتاب وهو يصرخ بـ (محمد، وفريدة): "هيا، ماذا تشاهدون أيها الحمقى؟"!!

جروا تجاه الغرفة السرية التي فتحها (هادي)، كانت حجرة مراقبة صغيرة بها عدة أجهزة حاسوب تنقل على شاشاتها ممرات المصحة



الفارغة. كانت الحجرة تخفي بابًا آخرًا في نهايتها. سمعوا الوحوش تزأر بعنفٍ وهي تقترب من (هادي). سمعوا (هادي) يصرخ. وهو يقول لهم: "لن تنجوا أيها الأوغاد. سأقتلكم".

فتحوا الباب الذي استجاب بسهولةٍ وهم يسمعون (هادي) يصرخ بوحشية. لم يجرؤ أحدهم أن يلتفت ليرى ما الذي يحدث له. لكن صوت القضم والتقطيع كان يرسل رسالة واضحة وضوح الشمس. فتحوا الباب ليصدمهم نور الشمس. كان سلمًا يقودهم لسطح المصحة. صعدوا السلم عدوًا وحين وصلوا فوجئوا بأنهم يقفون على سطح البناية بلا وسيلة هبوط. اقترح (محمد) أن يقفزوا وليحدث ما يحدث. خلفهم كان (هادي) يقف وهو يصارع الموت. الغضب والألم يتصارعان من الوحشية في عينيه. خلفه الوحوش كانت تمسك به. يحاولون قتله. أكله. التهامه.

بيده كان هناك جهاز يشبه القلم. ضغط (هادي) على رأسه قبل أن يغلق عينيه مبتسمًا مستسلمًا لمصيره التعس.

قبل أن يفهم أحدهم ماذا يحدث. كان الانفجار قد حدث. انفجار ضخم هز صحراء الواحات. كانت وسيلة الدفاع الأخيرة التي يملكها (هادي).



أطنان المتفجرات التي وزعها بكل مكانٍ في المصحة لكي تنفجر وتلتهم الأمر بأكمله، كان على الحارس الغبي (بدوي) أن يفعل هذا لولا جبنه وخوفه، مات الجميع في الانفجار.

انتهى حلم (هادي) في التوصلّ لتجارب جديدة تغير علم الوراثة.

انتهى حلم الثلاثة شباب في الالتحاق بالفرع الجديد للمخابرات العامة.

انتهى حلم الوحوش في أن يحيوا حياة طبيعية!

انتهت كل الأحلام والتهمتها النار تمامًا!!!

((تمت))



## ((ما بعد النهاية))

جلس (خالد) الصغير كعادته وحيدًا يتأمل الصحراء حين دوى الانفجار عاليًا، خلع الانفجار قلبه الصغير، هدأ الأمر قليلًا لكن عيني خالد تعلقتا بورقةٍ صغيرة نجت من الانفجار، تهادت تتدلل بين صفحات الريح قبل أن تهبط بسلامٍ بين قدمي خالد، أمسكها وتأملها، كان هناك شكلًا تشريحيًّا مرسومًا فيها وبضع كلماتٍ بلغةٍ أجنبية لم يفهمها!

أمسكها وتأملها والبلادة تبدو على وجهه الذي لوحته الشمس قبل أن يقرر أن يصحبها لـ (جسّام)، شقيقه الأكبر والطالب بكلية الطب، كان (جسّام) نائمًا حين أيقظه (خالد) ليعطيه الورقة.

أمسكها (جسّام) قليلًا قبل أن يعتدل على فراشه بسرعةٍ وهو يقول: "رجل برأس تيس"!

نظر لـ (خالد) وسأله من أين أتى بالورقة؛ أخبره الصغير أنها نجت من الانفجار الذي حدث، بدا الغباء على وجه (جسّام) وهو يسأله لماذا لم يوقظه صوت الانفجار؟!



همس (خالد) وهو يغادر الغرفة أن يوم القيامة لو قام و(جسّام) نائم لا يمكن أن يستيقظ، أمسكها (جسّام) وعينيه تلتمعان بجنون قائلًا: "فكرة عبقرية، سأحتفظ بها وحين أتخرج في الكلية سأجربها".

أخفى الورقة وهو لا يعلم أن كلماته ستتحقق؛ سيجربها وستنجح، لكن هذا حديث آخر!

(( تمت بحمد الله ))



## ((ملحوظة هامة))

1- كل التجارب التي وردت في هذه الرواية تجارب حقيقية قام بها الطبيب (يوسف كارل منيجيل)، الطبيب النازي الشهير، أعاد صياغتها الكاتب ووظفها في أحداثه الروائية طبقًا لما يتناسب مع أحداث الرواية، لكنه لم يقم بتغيير أي تفاصيل خاصة بالتجارب أبدًا.

2- كل الأشخاص الواردين في الرواية من الناجين من معسكر (أوشفيتز) وتواصل الكاتب معهم أو مع أهلهم بشكلٍ شخصي، طلب الإذن بنشر أحداث خاصة حدثت في حيواتهم مع القيام بالقليل من التغيير في الأسماء وأسماء المدن بناءً على طلب بعضهم، وقام بتغيير النهايات قليلًا طبقًا لما يتناسب مع وجهة نظره الروائية.

الكاتب



## المراجع:


1 - Maus - Art Spieqelman

2 - An Underground Life – Gad Barker

3 - A Scrap Of Time – Ida Fink

4 - The Journal – Helena Beer

5 - The Last Jew Of Treblinka – Chil Rajchman

6 - The Way For The Gas – Tedeusz Borowski

7 - Women Heroes Of World War 2 – Kathryn J.Atwood

8 - Things We Couldn't Say – Diet Eman

9 - Boy 30529 – Fleix Weinberg

10 - Rena's Promise – Rena Kornreich Gelissen

11 - But You Didn't Come Back – Marceline Loridan Erans

12 - Cabbages And Geraniums – Valerie Furth



13 - Gizelle , Save The Children – Gizelle Hersh

14 - Hope Is The Last To Die – Halina Birenbaum

15 - Sentenced To Life – Cecilie Klein

16 - I Was Doctor In Auschwitz – Gisella Perl

17 - Dancing With The Enemy – Paul Glaser

18 - Helga's Diary – Helga Weiss

19 - Surviving The Angel Of Death – Eva Mozes Kor

20 - Out On A Ledge – Eva Libitzky

21 - By Bread Alone – Mel Mermelstein

22 - A Small Town Near Aushwitz – Mery Fulbrook

– 23العديد من المقالات الصحفية و التقارير التليفزيونية.

– 24العديد من مواقع الإنترنت.

– 25موسوعة ويكبيديا.

– 26بعض المقالات على موقعArageek



## إهداء أخير

إهداء للرجالة الجدعان أوي، رفقاء الدرب و اخواتي اللي جننتهم أثناء فترة الرواية و وريتهم حاجات عمرهم ما شافوها وهما استحملوني و وقفوا جنبي عشان الرواية تطلع لكم بالمنظر اللي انتم شايفينه ده

1/محمد علي علي

2/ عبد الرحمن جاويش

3/أحمد ناصر

4/كابتن أحمد إبراهيم

و إهداء للحلوات اللي خلوا السنة دي شكلها حلو وطعمها حلو

1/لارا فايز

2/راندا عيطة

3/ إسراء طه

4/ميسون خالد




# منيجيل

في البداية كانت الآلام المبرحة . آلام لأول مرة يشعر بها أو يتخيل أنها موجودة، كان يشعر أن الأطراف الحسية الخاصة بنقل الألم تصرخ بفزع، كأن عملاقًا قرر أن يدق جسده بمطرقة حديدية ضخمة، الألم يجتاح جسده، عظامه تأن بقوة و رأسه يكاد ينفجر، يجري الألم في عروقه مجري الدماء و ينبض قلبه بالآهات، يصرخ و لا أحد يبالي، يبكي و لا أحد يهتم، صرخاته كانت تملأ المكان بينما الطبيبين منهمكين في الكتابة وهما يراقبان جسده الذي يتلوى ألمًا، كان يصرخ و يبتهل لربه أن ينقذه، الألم يكاد يصيبه بجنون تام، الآهات تدوي بلا حساب و الحياة تزوي في عينيه.

تصميم الغلاف كريم آدم


ISBN 9789777780995

